واقعة غدير خم

مقاربة أدبية
على ضوء السيرة والتاريخ

شاكر عبد الحسين الشرابي

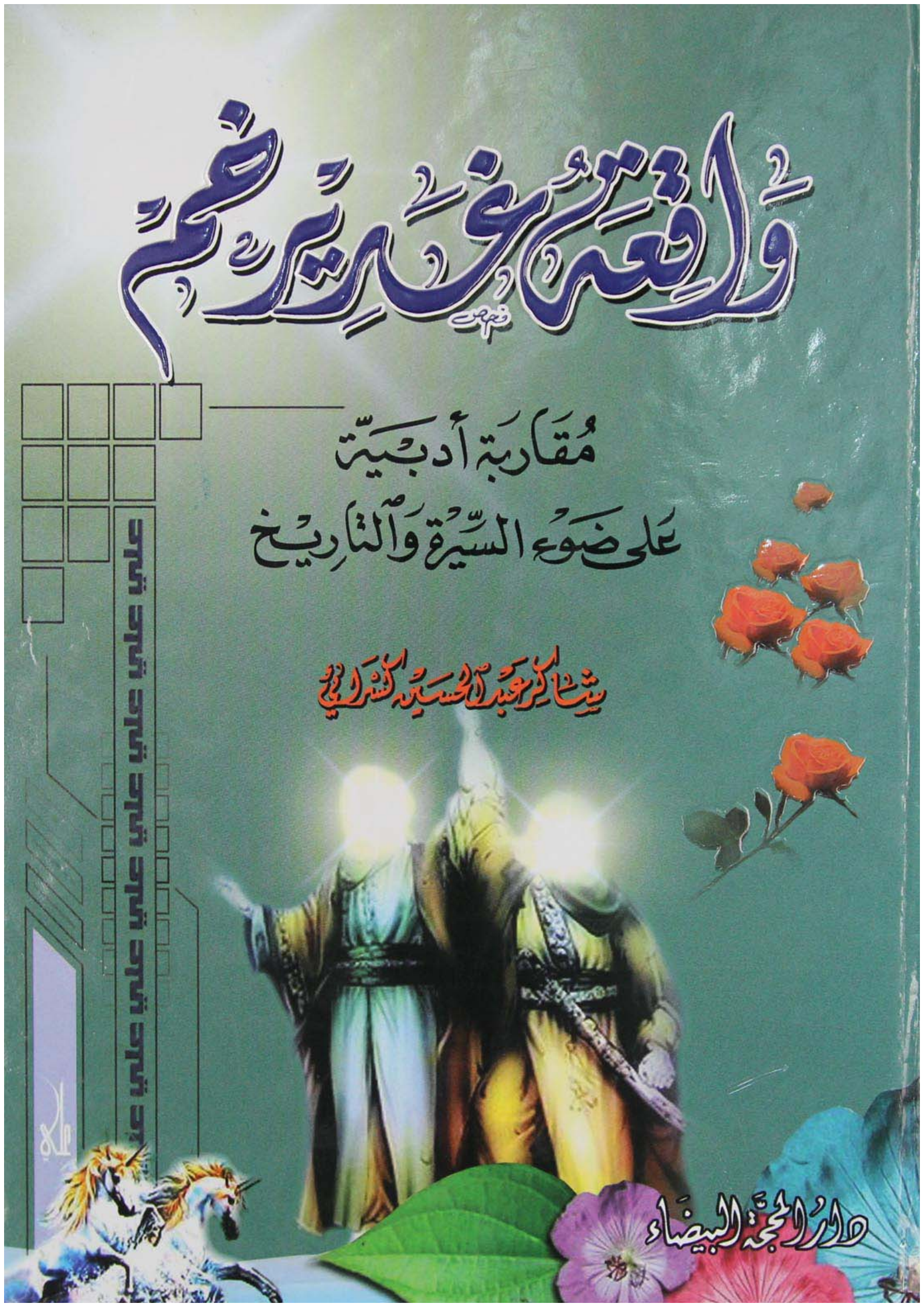

دار المحجة البيضاء

www.haydarya.com

واقعة غدير خم

مقاربة أدبية على ضوء السيرة والتاريخ

شاكر عبد الحسين الكرائي

دار المحجة البيضاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

مكتبة العتبة العلوية المقدسة
النجف الأشرف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إنَّ البحث في واقعة غدير خم لا يعتبر عملاً سهلاً ويسيراً، بل هو عمل صعب ومعقد، إذ لا بد لمن يحاول ذلك من التعرف بدقة على آراء الشيعة ومقارنتها بآراء أهل السُّنة، كما يجب عليه التزام جانب الحياد التام في عرض موضوع شائك يتعلق بواقعة غدير خم.

وقد أخذتُ نفسي بالقيام بهذه الدراسة على خطورة هذا الموضوع وكثرة المزالق فيه، لعلي أتمكن من الإسهام ولو بصورة جزئية في كشف الغوامض التي لم يتوصل إليها المؤرخون والباحثون في السابق والحاضر ولا تزال تشكل إحدى الأسباب الرئيسية في اختلاف أهل السنة والشيعة.

واقعة غدير خم هي من إحدى أهم الأحداث الإسلامية التي وقعت في أيام رسول الله ﷺ، ولم يكن لهذه الواقعة أثر كبير في حياة المسلمين في زمن الرسول، لأن المسلمين لم يختلفوا بعد حول من سيخلف النبي في أمر المسلمين ومن سيكون الخليفة بعده، لكن بعد وفاة الرسول انقسم المسلمون إلى أحزاب وفرق إثر اختلافهم حول من يتولى أمور المسلمين بعد رسول الله ﷺ.

فالشيعة ترى بأن المسلمين بعد وفاة النبي إن أطاعوا أمره في يوم غدير خم ونصّبوا علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً عليهم، لأراحوا أنفسهم والأجيال التالية من شرِّ المنازعات والإختلافات الطائفية التي دامت قروناً طويلة وأُريقت على أثرها دماء زكية وأزهقت نفوس بريئة ولا تزال كذلك

حتى يومنا هذا، لكن أعداء علي اغتصبوا الخلافة منه وخالفوا أمر رسول الله يوم غدير خم، وبهذا أنحرفوا عن الطريق الذي رسمه لهم النبي وسلكوا سبيل الضلال.

وقبل البحث عن الزوايا التي درستُ فيها واقعة غدير خم ومن هم الذين بحثوا حول هذا الموضوع، أرى لزاماً عليَّ أن أذكر لماذا اخترتُ هذا الموضوع مع أن هنالك مئات الموضوعات التي تستحق الدراسة والبحث والتحقيق؟

هنالك أسباب عديدة لاختيار موضوع غدير خم، فهي أولاً ما لغدير خم من أهمية كبيرة عند الشيعة وما أثار هذا الموضوع من بحث وجدل بين المسلمين والسبب الآخر الذي يكمل الأول هو أن غدير خم لم ينل من مؤرخي الأدب العربي ما هو جدير به من العناية والدرس والتحقيق، فظل تاريخه وأخباره خليطاً من الروايات تطويها بطون الكتب. يضاف إلى هذين السببين سبب ثالث هو أن غدير خم أوجد تراثاً أدبياً قيماً يجدر دراسته عن كثب والتبحر فيه وإخراجه بصورة جديدة بعيداً عن تقليد القدامى.

وكان السؤال التالي يطرح نفسه بإلحاح وهو: هل من الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع؟ وكان الجواب: نعم، لأنّ هذا الموضوع يستحق كتابة رسائل تدرس كل منها زاوية من زوايا غدير خم. فموضوع الغدير من الناحية التاريخية قد بحث في عشرات الكتب قديماً وحديثاً، أما الغدير من الناحية الأدبية فلم يبحث حتى الآن بحثاً كما يجدر به. وقد أُلف كتابٌ حديث تحت عنوان: «الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب» للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، حرص مؤلفه على دراسة شعر شعراء الشيعة الذين أشاروا في أشعارهم إلى واقعة غدير خم بصورة خاصة منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر من الهجرة أي عصرنا الحاضر. وقد رتب الأميني هؤلاء الشعراء حسب عصورهم وأزمنتهم.

ويؤخذ على الأميني في كتابه أنه لم يبحث الغدير بحثاً أدبياً ولم يدرس تطورات هذا الشعر عبر العصور والقرون. وقد رأيت أن أدرس غدير خم من زاوية أخرى تختلف عن الدراسات السابقة والبحوث التي قدمت حول هذا الموضوع، أي دراسة هذا الشعر الذي وصلنا عن الشعراء الشيعة في مختلف العصور على أساس أغراض الشعر في كل عصر ودراسة التطورات التي طرأت على هذا الشعر في كل عصر. ولم أجد بإمكاني دراسة شعر شعراء الشيعة من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر وذلك لكثرة عدد الشعراء وغزارة أشعارهم لكنني خططت رسالتي على أساس البحث في شعر الغدير منذ القرن الأول من الهجرة حتى القرن الرابع الهجري، أي درست شعر الغدير في العصور الثلاثة التالية: العصر الإسلامي والعصر الأموي والعصر العباسي.

على ضوء ما تقدم من أسباب، رأيتُ أن أجمع موضوع غدير خم في إطار محدد بحيث يشمل مدخلاً وبابين وخاتمة.

أما المدخل فسميته المقدمة، واعتبرتها ضرورية للدخول إلى جو الدراسة، لأنها تحدد بواعثها وغاياتها وتعرض بمصادرها وقيمتها.

أما الباب الأول فسميته: غدير خم في التاريخ، وبحثته في مدخل وفصلين، أظهرت في المدخل خطة السير في هذا الباب فدرستُ في الفصل الأول غدير خم من الناحية التاريخية، وقسمتُ هذا الفصل إلى سبعة مباحث: تناولت **في المبحث الأول**: غدير خم في اللغة والاصطلاح، **وفي المبحث الثاني**: واقعة الغدير، **وفي المبحث الثالث**: خطبة الغدير، وذكرت مصادر ومراجع واقعة الغدير وخطبته، **وفي المبحث الرابع**: آية الكمال، **وفي المبحث الخامس**: انتشار خبر الغدير أو العذاب الواقع، **وفي المبحث السادس**: مناشدة علي في الرحبة، **وفي المبحث السابع**: آراء أهل السنة والشيعة حول واقعة غدير خم.

أما الفصل الثاني فكان عن عيد الغدير عبر التاريخ، وتناولت هذا الفصل في ستة مباحث، فدرست **في المبحث الأول**: العيد في اللغة، **وفي المبحث الثاني**: عيد الغدير في عهد الرسول، **وفي المبحث الثالث**: عيد الغدير عند الأئمة من أبناء علي، **وفي المبحث الرابع**: عيد الغدير في العراق، **وفي المبحث الخامس**: عيد الغدير في عهد الفاطميين بمصر، **وفي المبحث السادس**: عيد الغدير في العصر الحديث.

وتناولت الباب الثاني في فصول ثلاثة فذكرت **في الفصل الأول**: شعر الغدير في عصر صدر الإسلام وعالجت هذا الفصل في أربعة مباحث، وذكرت في كل مبحث من المباحث الثلاثة الأولى أحد أغراض الشعر في هذا العصر وهي على التوالي: الوصف، الفخر والمدح، وذكرت في المبحث الرابع خصائص شعر الغدير في عصر صدر الإسلام.

وفي الفصل الثاني: بحثت شعر الغدير في العصر الأموي وذلك في خمسة مباحث، بينت في المباحث الثلاثة الأولى أغراض الشعر في هذا العصر وهي على التوالي: الرثاء، المدح والوصف، وذكرت **في المبحث الرابع**: خصائص شعر الغدير في العصر الأموي، **وفي المبحث الخامس**: تطور الشعر في هذا العصر. **وفي المبحث الثالث**: عالجت شعر الغدير في العصر العباسي وذلك في ستة مباحث. درست في المباحث الأربعة الأولى أغراض الشعر في هذا العصر وهي على التوالي: المدح، الهجاء، الرثاء والفخر. **وفي المبحث الخامس**: الغدير في شعر الرجز، **وفي المبحث السادس**: عيد الغدير في شعر العصر العباسي، **وفي المبحث السابع**: خصائص شعر الغدير في العصر العباسي، وأوردت القصائد الغديرية في الملحق رقم ١ في نهاية هذا الفصل.

أما الخاتمة فلخصت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

فالكتب التاريخية التالية كانت ذات أهمية خاصة عند بحث الغدير من الناحية التاريخية: السيرة الحلبية: الحلبي، السيرة النبوية: لأحمد زين دحلان، الطبقات الكبرى: لابن سعد، الخطط المقريزية: للمقريزي، أسد الغابة: لابن الأثير، الإصابة في معرفة الصحابة: لابن حجر، البداية والنهاية: لابن كثير، تاريخ اليعقوبي: لاحمد بن أبي يعقوب.

والكتب التالية كان لها أهمية كبيرة عند بحث معنى غدير خم وكلمة العيد: لسان العرب: لابن منظور، القاموس المحيط: للفيروز آبادي، تاج العروس: للزبيدي، أساس البلاغة: للزمخشري، تهذيب اللغة: للأزهري، معجم البلدان: للحموي، ومعجم متن اللغة: للشيخ أحمد رضا.

وكتب التفسير التالية اعتمدت عليها عند تفسير معنى الآيات القرآنية الواردة في الرسالة: جامع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، التفسير الكبير: للرازي، تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبري، محاسن التأويل: للقاسمي، تفسير البيان: للطوسي، تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا وظلال القرآن: للسيد قطب.

والكتب الأدبية التالية كان لها أهمية خاصة عند بحث الغدير في الأدب: معجم الأدباء: للحموي، الأغاني: للأصفهاني، طبقات فحول الشعراء: لابن سلام الجمحي، خزانة الأدب: للبغدادي، نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصبهاني، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: للثعالبي، معجم الشعراء: للمرزباني، والعمدة: لابن رشيق.

لم أعتمد في دراستي لغدير خم من الناحية التاريخية والأدبية على قراءة آثار أهل السنة فحسب، بل رجعت إلى آثار وكتب الشيعة أيضاً، فعنيت بالمصادر الشيعية عناية واسعة واعتمدت عليها كما اعتمدت على

غيرها من كتب أهل السنة ومصنفاتهم. من أهم الكتب الشيعية التي عتمدت عليها: بحار الأنوار: للمجلسي، مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب، الكنى والألقاب: للقمي، الاحتجاج: للطبرسي، غاية المرام: للبحراني، كشف الغمة: للأربلي، الفصول المهمة: للصباغ، ينابيع المودة: للقندوزي، تذكرة خواص الأمة: لابن الجوزي، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرگ الطهراني، أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين، وأخيراً الغدير في الكتاب والسنة والأدب - للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي.

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، على ما بذلت فيه من جهد وعناء وما لقيت في سبيله من صعوبات ومشاق، ولست أدعي لعملي الكمال، فما هو إلّا مساهمة متواضعة في محاولة لدراسة الأدب الشيعي.

الباب الأول

غدير خم في التاريخ

مدخل

تناولت هذا الباب في فصلين. فدرست في الفصل الأول غدير خم من الناحية التاريخية، وكان في سبعة مباحث. بحثت **في المبحث الأول**: غدير خم في اللغة والاصطلاح، **وفي المبحث الثاني**: واقعة الغدير، **وفي المبحث الثالث**: خطبة الغدير، وذكرت مصادر ومراجع واقعة الغدير وخطبته، **وفي المبحث الرابع**: آية الكمال، **وفي المبحث الخامس**: انتشار خبر الغدير أو العذاب الواقع، **وفي المبحث السادس**: مناشدة علي في الرحبة، **وفي المبحث السابع**: آراء أهل السنة والشيعة حول واقعة غدير خم.

أما الفصل الثاني فكان عن عيد الغدير عبر التاريخ، وقد احتوى على ستة مباحث: أوضحت **في المبحث الأول**: العيد في اللغة، **وفي المبحث الثاني**: عيد الغدير في عهد الرسول، **وفي المبحث الثالث**: عيد الغدير عند الأئمة من أبناء علي، **وفي المبحث الرابع**: عيد الغدير في العراق، **وفي المبحث الخامس**: عيد الغدير في عهد الفاطميين في مصر، **وفي المبحث السادس**: عيد الغدير في العصر الحديث.

الفصل الأول

غدير خم في اللغة والاصطلاح

المبحث الأول:

الغدير لغة

ورد في لسان العرب، **الغدير**: القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها، قال ابن سيّده: هذا قول أبي عبيد فهو إذاً فعيل في معنى مفعول على اطرّاح الزائد، وقد قيل: إنّه من الغدر لأنه يخول ورّاده فينضبُ عنهم ويغدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة إليه، ويقوي ذلك قول الكميت:

ومن غدره نَبزَ الأولون بأن لقّبوه، الغدير الغديرا

أراد من غدره نَبزَ الأولون الغدير بأن لقّبوه الغدير، فالغدير الأول مفعول نَبزَ والثاني مفعول لقّبوه.

وقال اللحياني: الغديرُ اسم ولا يقال هذا ماء غدير، والجمعُ غُدرٌ وغُدْرانٌ. واستغدرتْ ثم غُدرٌ: صارت هناك غُدرانٌ. وفي الحديث: إن قادماً قدم على النبيّ ﷺ، فسأله عن خصب البلاد فحدث أن سحابة وقعت فاخضرّت لها الأرض، وفيها غُدرٌ تناخسُ والصيد قد ضوى إليها؛ قال شمر: قوله غُدُرٌ تناخسُ أي يَصُبُّ بعضها في إثر بعض. وقال الليث: الغدير مستنقع الماء ماء المطر، صغيراً كان أو كبيراً، غير أنه لا يبقى إلى القيظ إلا ما يتّخذه الناس من عِدٍّ أو وَجْدٍ أو وقطٍ أو صهريجٍ أو حائر. قال أبو منصور: العدّ الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمّى الماءُ الذي

يجمع في غدير أو صهريج أو صِنع عِدّاً، لأن العِدَّ ما دام ماؤه مثل ماء العين والرّكيّةِ. قال المؤرخ: غَدَرَ الرجلُ يَغدِرُ غَدْراً إذا شرب من ماء الغدير، قال الأزهري: والقياس غَدِرَ يغدَرُ بهذا المعنى لا غَدَرَ مثل كَرِعَ إذا شربَ الكرَعَ. والغديرُ: السيف، على التشبيه، كما يقال له اللُجُّ. والغديرُ: القطعة من النبات، على التشبيه أيضاً، الجمع والغديرُ: اسم رجل وآل غدران: بطن[1].

○ خُم: لغة:

خم البيتَ والبئر كنسها. كذا في النسخ والصواب كنسهما (كاختمهما) وفي الصحاح خمَّ البيت يخمُّها بالضمّ أي كسحها ونقّاها وكذلك البيتَ إذا كنسته والاختمام مثله. وخمّ الناقة يخمّها خمّاً جلها.

خمّ اللحم يَخِمُّ بالكسر ويخُمّ بالضمّ خمّاً وخموماً وهو خمّ أي انتنَّ أو تغيّرت رائحته.

قال ابن دُرَيْد: وأكثر ما يستعمل في المطبوخ والمشوي. فأمّا النيء فيقال فيه صل وأصل. وقال أبو عبيد في الأمثلة: خمَّ اللحمَ إذا تغيّر وهواء شواء وقديد. وقيل: هو الذي ينتن بعد النضج. وخمَّ اللبن خمّاً غيّره خبث رائحة السقاء وأفسده كأخمّ فيهما. وأنشد الأزهري: أخمَّ أو قد خمَّ بالخموم. والمِخَمّة (بالكسر) المكنسة والخُمامة (بالضم) الكناسةُ مثل القمامة. وأيضاً ما يخم من تراب البئر. وقال اللحياني خمامة البيت والبئر ما كسح عنه من التراب فألقي بعضه على بعض. وخمامة المائدة ما ينتشر. هكذا في النسخ والصواب ما ينتشر بالمثلثة من الطعام فيؤكل ويرجىء عليه الثواب. وفي الحديث: خير الناس المخمومُ القلب. قيل يا رسول الله ما المخموم القلب؟ قال: الذي لا غش فيه ولا حسد. وفي رواية سئل: أيّ

(١) ابن منظور - لسان العرب، ج٥، ص٩، وراجع أيضاً الأزهري: تهذيب اللغة ج٨، ص٦٧.

الناس أفضل؟ قال: الصادق اللسان المخموم القلب. وفي رواية ذو القلب المخموم واللسان الصادق. ويقال هو النقيّة من الغلّ والحسد. وقيل من الغش والدغل. وقيل من الدنس وكل ذلك مجاز مأخوذ من خممت البئر أي نظفتها. ومن المجاز هو يخم ثيابه إذا كان يثني عليه خيراً. وفي النوادر يقال خمه بثناء حسن يخمّهُ خمّاً وطرّه يطرّه طرّاً وبلّه بثناء حسن ورشه كل ذلك إذا اتبعه بقول حسن. والخمّ (بالفتح) القطع كالاختمام قال:

يـاابـن أخـي كـيـف رأيـت عـمّـكـا أردت أن تـخـتـمّـه فـاخـتـمّـكـا

والخمّ: الثناء الطيّب. يقال خمّهُ بثناء حسن يخمّهُ خمّاً إذا اتبعه وقد تقدّم قريباً. والخَمّ: البكاء الشديد.

والخِمّ (بالكسر) البستان الفارغ أي لا أشجار به ولا ثمار. والخمُّ (بالضمّ) قفص الدجاج. قال ابن سيّده: أرى ذلك لخبث رائحته. وخُمَّ الرجل (بالضم) إذا حُبس فيه وهو محبس الدجاج. وخُمٌّ وادٍ ويُفتحُ. وأيضاً بئر حفرها عبد شمس بن عبد مناف بمكّة. وثم شعب خمّ يتدّلى على أجياد الكبير قاله نصر. قلت وكأنّه الذي أراده المصنف بقوله واد ويفتح ويقال فيه أيضاً خمى وربى.

وقال السهيل عن ابن إسحاق: وخمٌ: بئر كلاب بن مُرّة.

وخمٌّ أيضاً ورُمٌّ: بئران حفرهما عبد شمس بن عبد مناف، وقال:

حـفـرتُ خـمّـاً، وحـفـرت رُمّـاً حـتـى تـرى الـمـجـد لـنـا قـد تُـمّـا

وهما بمكة؛ وقال محمد بن اسحاق الفاكهي في كتاب مكة: بئر خُمّ قريبة من الميثب حفرها مُرّة بن كعب بن لؤيّ، قال: وكان الناس يأتون خمّاً في الجاهلية والإسلام والدهر الأول يتنزهون به ويكونون فيه، حدثنا محمد بن منصور حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار قال: سمعت عبد الله بن عمر وهو نجمّ يقول: بكاء الحي على الميت عذاب للميت؛ وقال: لا نستقي إلا بخُمّ والحفر.

وذكر صاحب المشارق: أن خمّاً أو خمّ: اسم غيضة هناك بها غدير ماء سمّ لم يولد بها أحدٌ فعاش إلى أن يحتلم إلا أن ينتقل منها. وأرى ذلك لرداءة هوائها وخبث مائها. والخُمُّ حفرة في الأرض يجعل في أسفلها الرماد ثمّ توضع السخّال فيها ج: خممه كقرده.

والخُمُّ أيضاً: القوصره فيها التبن لتبيض فيه الدجاجة أو تفرخ.

وخُمٌّ: اسم رجل صبّاغ أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة[١].

○ غدير خم - اصطلاحاً:

أجمع اللغويون والمؤرخون على أن غَديرَ خُمٌّ: موضع بين الحرمين [مكة والمدينة] خطب فيه النبي ﷺ خطبته المعروفة بعد منصرفه من حجة الوداع. واختلفوا حول موقعه ومكانه، سنحاول - جاهدين - في هذا البحث ذكر ما تيسّر من معاني غدير خمّ في كتب اللغة والتاريخ..

غدير خم: على ثلاثة أميال، بالجحفة بين الحرمين[٢].

غدير خم: على ثلاثة أميال من الجحفة[٣].

غدير خم: على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة الطريق وتصُّب فيه عين وحوله شجر كثير[٤].

---

(١) الزبيدي: تاج العروس، ج٨، ص ٣٨٣، وراجع أيضاً الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج٤، ص ١٠٩، الأزهري: تهذيب اللغة، ج٧، ص ١٦، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد ٣، ص ٣٨٩، الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة، المجلد ٣، ص ٣٣٧، الزمخشري: أساس البلاغة. محمد زكريا الكاندهلوي: حجة الوداع، ص ١٩٣ - ١٩٧، تبريزي - برهان قاطع (بالفارسية) جلد دوم، ص ٧٦٨.

(٢) الفيروز آبادي - القاموس المحيط: ج٤، ص ١٠٩، الزبيدي: تاج العروس، ج٨، ص٣٨٣.

(٣) ياقوت الحموي - معجم البلدان، المجلد ٢، ص ٣٨٩.

(٤) المقريزي - الخطط المقريزية، المجلد ٢، ص ٢١٩. النويري: نهاية الارب، السفر الأول، ص ١٨٤. الكاندهلوي: حجة الوداع، ص ١٩٣ - ١٩٧.

غدير خم: ماء يُدعى خمّاً بين مكة والمدينة وهو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الحسنة عندها غدير مشهور يضاف إليه الغيضة فيقال غدير خم[١].

وقال نصر دون الجحفة على ميل بين الحرمين الشريفين وأنشد ابن دُريدٍ لمعن بن أوس المُزني:

عفا وخلا ممّا عهدتَ به خُمُّ وشاقك بالمسحاء من سرف رسْمُ
عفا حِقباً، من بعد ما خفّ أهله وحنّت به الأرماح والهُطل السُّجمُ[٢]

وقال عرّام: ودون الجحفة على ميل غدير خمّ ووادیه یصبّ في البحر، لا نبت فيه غير المَرْخ والثمام والأراك والعُشر[٣].

غدير خم: بين مكة والمدينة بينه وبين الجحفة ميلان[٤].

والغدير في وادي الأراك على عشرة فراسخ من المدينة وعلى أربعة أميال من الجحفة عند شجرات خمس دوحات عظام[٥].

غدير خم: غدير معروف بين مكة والمدينة بالجُحْفة، وهو غدير خُمٍّ وقال ابن دُريدٍ: إنما هو خُمٌّ، بضمّ الخاء[٦].

غدير خم: موضع بالجحفة بين الحرمين خطب فيه النبي ﷺ خطبته المعروفة بعد منصرفه من حجة الوداع[٧].

وقال الحازمي: خُمٌّ واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده

---

(١) صحيح مسلم - بشرح النووي، ج١٥، ص ١٧٩.
(٢) الزبيدي: تاج العروس، ج٨، ص ٣٨٣.
(٣) ياقوت الحموي - معجم البلدان، المجلد ٢، ص ٣٨٩.
(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ١١١، وراجع أيضاً الكاندهلوي.
(٥) المجلس - بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٥٨، الكاندهلوي - حجة الوداع.
(٦) ابن منظور - لسان العرب، المجلد ١٢، ص ١٩١.
(٧) الشيخ أحمد رضا - معجم متن اللغة، المجلد ٢، ص ٣٣٧.

خطب رسول الله ﷺ، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة[١].

مكان (موضع) بين مكة والمدينة قريب من الجحفة[٢].

وغدير خم: يقرب من الما ء المعروف بالخرار بناحية الجحفة[٣].

وغدير خم، محل بين مكة والمدينة بقرب رابغ[٤].

وغدير خم: هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه، ماء المطر أبداً وبه أناس من خزاعة وكنانة غير كثير[٥].

وغدير خم: ليس بموضع إذ ذاك يصلح للمنزل لعدم الماء فيه والمرعى[٦].

وجاء ذكره في الحديث قال ابن الأثير: هو موضع بين مكة والمدينة تصب فيه عين هناك وبينها مسجد سيدنا رسول الله ﷺ[٧].

وغدير خم: يبعد ٨٢ ميلاً عن مكة[٨].

(١) الحموي - معجم البلدان، المجلد ٢، ص ٣٨٩، والكاندهلوي - حجة الوداع، ص ١٩٣ - ١٩٧، شرف الدين - المراجعات، ص ٢٠٦.

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية، ج٣، ص ٥٨. وابن وضاح الأخباري - تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٩٣. مطبعة الغري - النجف.

(٣) المسعودي - التنبيه والاشراف، ص ٢٢١.

(٤) الحلبي - السيرة الحلبية، ج٣، ص ٢٨٨.

(٥) الحموي - معجم البلدان، المجلد ٢، ص ٣٨٩.

(٦) المفيد - الإرشاد، ص ٨٠.

(٧) الزبيدي - تاج العروس، ج٨، ص ٣٨٣، وابن منظور - لسان العرب، المجلد ١٢، ص ١٩١.

(٨) زندكاني حضرت محمد ﷺ پيانبر اسلام - محمد علي خليلي، ص ٥٧٤.

المبحث الثاني:

واقعة الغدير

أزمع رسول الله ﷺ على الخروج إلى الحج في السنة العاشرة من الهجرة[١] فأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به في حجته تلك التي يقال عنها حجة الوداع[٢] ولم يحج غيرها منذ أن هاجر إلى أن توفاه الله[٣].

فخرج الرسول ﷺ من المدينة مغتسلاً متدهناً مترجلاً متجرداً في ثوبين صحاريين إزار ورداء، وذلك يوم السبت[٤] لخمس ليال أو ستّ بقين من ذي القعدة، وأخرج معه نساءه كلهن في الهوادج، وسار معه أهل بيته وعامة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس[٥].

---

(١) ذكر يطروشفسكي في إسلام درايران، ص ٣٧ بأن السنة العاشرة من الهجرة تصادف سنة ٦٣٢ ميلادية.

(٢) وسميت بحجة الوداع، لأنه ودع الناس فيها وبعدها ما عرف وداعه حتى توفي بعدها.
وتسمى حجة الإسلام، لأن النبي لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها.
وتسمى حجة البلاغ، لأنه بلغ الناس الشرع في الحج قولاً وفعلاً.
وتسمى حجة التمام والكمال، لأن الله أنزل الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
راجع السيرة الحلبية - الحلبي، ج٣، ص ٢٨٨، وأحمد زين دحلان - السيرة النبوية، ج٣، ص ٣، وابن سعد - الطبقات الكبرى المجلد ٢، ص ١٧٢.

(٣) وكان ابن عباس يكره أن يقال حجة الوداع ويقول حجة الإسلام. راجع الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٢، ص ١٧٢.

(٤) ورد في السيرة النبوية، ج٣، ص ٣ «وكان خروجه ﷺ لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر».
وفي السيرة الحلبية ج٣، ص ٢٨٨ «وكان خروجه ﷺ يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة وقيل يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة».

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ١٧٢.

وعند خروجه ﷺ أصاب الناس بالمدينة جدري أو حصبة منعت كثيراً من الناس من الحج معه ﷺ، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلاّ الله تعالى، قيل كانوا أربعين ألفاً، وقيل كانوا سبعين ألفاً، وقيل كانوا تسعين ألفاً، وقيل كانوا مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل وعشرين ألفاً، وقيل كانوا أكثر من ذلك[١] وهذه عدة من خرج معه، وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكة، والذين أتوا من اليمن مع علي وأبي موسى رضي الله عنهما[٢].

(١) الحلبي - السيرة الحلبية - ج٣، ص٢٨٨، وأحمد زين دحلان - السيرة النبوية، ج٣، ص٣.

(٢) وجاء في حديث أن الله وعد هذا البيت في كل سنة ستمائة ألف، فإن نقصوا كملهم الله بالملائكة (أحمد زين دحلان - السيرة النبوية، ج٣، ص ٣).

مسير رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة في حجة الوداع
وموقع غدير خم نقلاً عن «داستان غدير» ص ١٥

وبعد أن صلّى الظهر بالمدينة وصلى عصر ذلك اليوم بذي الحُليفة ركعتين. أصبح ﷺ يوم الأحد بيلملم، ثم راح فتعشى بشرف السيالة، وصلى هناك المغرب والعشاء، ثم صلّى الصبح بعرق الطبية، ثم نزل الروحاء، ثم سار من الروحاء فصلّى العصر بالمنصرف، وصلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به، وصلى الصبح بالأثابة، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج، واحتجم بلحى أجمل، (وهو عقبة الجحفة) ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلى هناك ثم راح من الأبواء ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد، وسبت فيه، وكان يوم الأحد بعسفان، ثم سار فلمّا كان بالغميم اعترض المشاة فصفوا صفوفاً، فشكوا إليه المشي، فقال: استعينوا بالنسلان (مشي سريع دون العدو) ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الاثنين بمرّ الظهران فلم يبرح حتى أمسى وغربت الشمس بسرف، فلم يصلّ المغرب حتى دخل مكّة، ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما فدخل مكة نهار الثلاثاء[1].

(١) وفي الامتاع: المقريزي، ص ٥١٣ - ٥١٧، والحلبي: السيرة الحلبية، ج٣، ص ٢٨٨: «وكان دخوله مكة الرابع من ذي الحجة يوم الأحد».

المبحث الثالث

خطبة الغدير

○ مقدمة الخطبة:

لما قضى رسول الله ﷺ من مناسك الحج(*) وانصرف راجعاً إلى المدينة، وصل إلى مكان يقال له غدير خم بقرب رابغ(١) التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر للهجرة(٢).

(*) حجة الوداع.

(١) الحلبي - السيرة الحلبيّة، ج٣، ص ٢٨٨، وراجع فصل غدير خم في اللغة والاصطلاح.

(٢) ذكرت المصادر الشيعية بأن الآية التالية نزلت على رسول الله يوم غدير خم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية، منهم من رأى أن هذه الآية نزلت في فضل علي بن أبي طالب، يوم الغدير، ومنهم من رأى غير ذلك.

فقال الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير» ج٣، ص ٦٣٤ عن ابن عباس والبراء بن عازب:

«نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلقيه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة». وقال السيوطي في تفسيره: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» ج٢، ص ٦٠ والشوكاني في «فتح القدير» ج٢، ص ٦٠:

قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: «إنّ الله تعالى لما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله أن يستخلف علياً كان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره بأدائه».

والطبرسي في تفسيره «مجمع البيان في تفسير القرآن» ج٦، ص ٢٢٣ عن ابن عباس وجابر بن عبد الله يقول: «أمر الله محمداً صلى الله عليه وآله أن ينصب علياً عليه السلام للناس، فيخبرهم بولايته، فتخوّف رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقولوا حابى ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه فأوحى الله إليه هذه الآية»

وكان أوائل القوم قريبين من الجحفة فأمر رسول الله أن يُردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم، في ذلك المكان، ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقمّ ما تحتهنّ حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهيرة عمد اليهنّ، فصلى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الرمضاء وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلمّا انصرف ﷺ من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته فقال:

نصّ خطبة الغدير

«الحمد لله نستعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن يضل، ولا مضّل لمن هدى. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[1].

= فقال بولايته يوم غدير خم».

كما أن مفسرين آخرين رأوا غير ذلك. فالطبري في تفسير «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ج١٠، ص ٤٦٧ يقول:

«وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيّه محمداً ﷺ بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين...».

والقاسمي في تفسيره المسمى «محاسن التأويل» ج٦، ص ٢٠٦٧ يقول: «نودي ﷺ بعنوان الرسالة تشريفاً له وإيذاناً بأنها من موجبات الإتيان بما أمر به من التبليغ مما يفصل مساوي الكفار، ومن قتالهم، والدعوة إلى الإسلام...».

راجع المفيد - الإرشاد ص ٨٠، القمي - الكنى والألقاب، ج٢، ص ٢١٨، وشرف الدين - المراجعات، ص ٢٠٩.

(١) ابن دريد - جمهرة خطب العرب، ج١، ص ٧١.

أما بعد..

أيها الناس:[١]

فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنه لم يعمّر نبيٌّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وأنّي أوشك أن أدعى فأجيب[٢] وأنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاك اللهُ خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنّته حق، وناره حقّ، وأن الموت حقّ[٣] وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللهم فاشهد.

ثم قال: أيها الناس، ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: فإنّي فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وأن عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة. فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر: كتاب الله، طرفٌ بيد الله عزّوجلّ، وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر: عترتي، أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[٤] فسألت ذلك لهما

---

(١) لم تذكرة السيرة الحلبية هذه المقدمة بل بدأت: «أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب..».

(٢) وفي السيرة الحلبية - الحلبي: ج٣، ص ٢٨٨: «وإني لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب».

(٣) زادت السيرة الحلبية: «وإن البعث حق بعد الموت».

(٤) وفي السيرة الحلبية، ج٣، ص ٢٨٨: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي: أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رئي بياض إبطيهما، وعرفه القوم أجمعون، وقال:[١] أيّها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟[٢]

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه[٣].

فمن كنت مولاه فعليّ مولاه

فمن كنت مولاه فعلي مولاه

فمن كنت مولاه فعلي مولاه[٤]

اللهمَّ وال من والاه، وعاد مَن عاداه، وأحب من أحبّه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيف دار.

ألا فليبلغ الشاهد الغائب[٥].

(١) وفي السيرة الحلبية، ج٣، ص ٢٨٨: «وقال في حق عليّ عليه السلام».

(٢) في إرشاد المفيد وأعيان الشيعة والبداية والنهاية «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ ألست أولى بكم من آبائكم؟ ألست أولى بكم من أمهاتكم؟ ألست؟ ألست؟ ألست؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه، فعلي مولاه».

(٣) في الإرشاد ص ٨٢: «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه».

(٤) تورد المراجع هذه العبارة ثلاث مرات ولكن مسند ابن حنبل أوردها أربعاً.

(٥) في تاريخ بغداد، ج٨، ص ٢٨٩، رواية بإسناد حبشون بن موسى الخلال تقول: إن عمر بن الخطاب عندما سمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم». راجع أيضاً خطب النبي صلى الله عليه وآله تحقيق ودراسة مصطفى اليحفوفي ص ٥٩، وما بعد.

أهم مصادر حديث غدير خم

١ - الإرشاد، الشيخ المفيد ص ٨٢.
٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البرّ ج٣، ص ١٠٩٩.
٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير المجلد الأول، ص٣٠٧.
أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير المجلد الأول، ص٣٦٧.
أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير المجلد الثاني، ص٢٣٣.
أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير المجلد الثالث، ص٣٠٧.
أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير المجلد الخامس، ص٢٠٥.
٤ - الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ج١، ص ٢٤٦.
الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ج١، ص ٢٧٣.
الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ج٢، ص ٢٤٨.
الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ج١، ص ٣٠٤.
الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ج٢، ص ٤٠١.
الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ج٣، ص ٥١٢
الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ج٤، ص ١٥٩.
الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ج٢، ص ٣٧٤.
٥ - الإمامة والسياسة أو (تاريخ الخلفاء)، ابن قتيبة الدينوري ج١، ص١٠٩.
٦ - بحار الأنوار، المجلسي ج٣٧، ص ١١٢.
٧ - البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٥، ص ٢١٣.
البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٥، ص ٢٠٩.
البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٥، ص٢١٠.
البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٥، ص٢١١.
البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٥، ص ٢١٢.
البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٥، ص ٢١٣.
البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٧، ص ٣٤٧.
البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٧، ص ٣٤٨.

البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير ج٧، ص ٣٨٩.
٨ - تاريخ بغداد أو (مدينة السلام)، الخطيب البغدادي ج٧، ص ٣٧٧.
تاريخ بغداد أو (مدينة السلام)، الخطيب البغدادي ج٨، ص ٢٨٩.
تاريخ بغداد أو (مدينة السلام)، الخطيب البغدادي ج١٤، ص ٢٣٦.
٩ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ج٢، ص ٩٣.
١٠ - تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، سبط ابن الجوزي ص ٢٩ - ٣٠.
١١ - تفسير البيان، الطوسي المجلد٣، ص ٤٣٥.
١٢ - تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني المجلد ٧، ص ٣٣٧.
١٣ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي ص٢٠٣.
١٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبي نعيم الأصبهاني ج٤، ص ٢٣.
١٥ - الخطط المقريزية المقريزي، ج٢، ص ٢١٩.
١٦ - السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ج٣، ص ٢٨٨.
١٧ - السيرة النبوية والآثار المحمدية، السيد أحمد زين دحلان ج٣، ص ٣.
١٨ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي ج٢، ص ٤١٦.
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي ج١٣، ص ٢٢٩.
١٩ - صحيح مسلم، شرح النووي ج١٥، ص ١٧٩.
٢٠ - صفة الصفوي، ابن الجوزي ج١، ص ١٢١.
٢١ - غاية المرام في حجة الخصام عن طريق العام والخاص، البحراني الفصل ٧١، ص ٨٧.
٢٢ - الكنى والألقاب، الشيخ عباس القميّ ج٢، ص ٢١٨.
٢٣ - المستدرك على الصحيحين في الحديث، الحاكم ج٣، ص ٥٣٣.
المستدرك على الصحيحين في الحديث، الحاكم ج٣، ص ١٠٩.
٢٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل المجلد ٤، ص ٣٧٢.
مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ج١، ص ١١٩.
٢٥ - المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الأسد آبادي ج٢٠، ص ١٤٤.
٢٦ - المناقب، الخوارزمي ص ٨٠.
٢٧ - نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد ج٦، ص ٢٧٣.

المبحث الرابع:

نزول آية الكمال

بعد انتهاء رسول الله ﷺ من خطبته في تلك الجموع الغفيرة من المسلمين في غدير خم، وقبل انصراف المسلمين وتفرّقهم نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر!! على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتي، والولاية لعلي من بعدي».

ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام، وممن هنأه في مقدم الصحابة أبي بكر وعمر وكلٌّ يقول:

«بخ بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»(١).

وقال إبن عباس: «وجبت والله في أعناق القوم».

فقال حسان بن ثابت: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن.

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية، ثم قال:

---

(١) المفيد - الإرشاد، ص ٨٢. وراجع أيضاً البغدادي - تاريخ بغداد، ج٨، ص ٢٨٩. وابن الجوزي - تذكرة الخواص، ص ٢٩. والقمي - الكنى والألقاب، ج٢، ص ٢١٨. وابن الأثير - البداية والنهاية، ج٥، ص ٢٠٩. والمقريزي - الخطط المقريزية، ج٢، ص ٢١٩. والمغني في أبواب التوحيد والعدل، ج٢٠، ص ١٤٤.

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمٍّ واسمع بالرسول مناديا
يقول فمن مولاكمُ ووليكم فقالوا ولم يبدو هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولا تجدن منّا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا عليّ فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليّهُ وكن للذي عادى عليّاً معاديا

ويروى أن النبي ﷺ لما سمعه ينشد هذه الأبيات قال له: يا حسان لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا أو نافحت عنّا[1].

للمفسرين آراء متباينة في تفسير هذه الآية:

فالرأي الأول يقول: بأن الآية نزلت بعد أن نصب النبي ﷺ علياً إماماً للناس يوم غدير خم بعد منصرفه من حجة الوداع. وهذا ما ذهب إليه الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان في تفسير القرآن) ج٦، ص ١٥٩. إذ يروي عن الزجاج عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «أنه إنّما أُنزل بعد أن نصب النبي ﷺ عليّاً عليه السلام علماً للأنام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع قالا وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى، ثم لم ينزل بعدها فريضة». ويضيف الطبرسي بقوله: «وقد حدثنا السيد العالم أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني عن سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الربّ برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي، وقال: من كنت مولاه فعليّ

(١) المفيد - الإرشاد، ص ٨٠. والطبرسي - الاحتجاج ج ١ ص ١٦١ وابن الجوزي - تذكرة الخواص ص ٣٣ والبحراني - غاية المرام، ص ٨٧. والأربلي - كشف الغمة، ج١، ص ٣٢٥. والقميّ - الكني والألقاب، ج٢، ص ٢١٨. وابن شهرآشوب - مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٠. والخوارزمي - المناقب، ص ٨٠. والمجلسي - بحار الأنوار، ج٣٧، ص١١٢.

مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

ويشاركه الرأي أيضاً كل من الطوسي في تفسيره (تفسير البيان) ج٣، ص ٤٣٥ الذي يروي الحديث الذي تقدّم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام.

والسيوطي في (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ج٢، ص ٢٥٩، إذ يقول: «وأخرج ابن مردويه وابن عساكر - بسند ضعيف - عن أبي سعيد الخدري قال: لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه بهذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. ويردف قائلاً، وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر - بسند ضعيف - عن أبي هريرة قال: لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة قال النبي صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، فأنزل ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

والكتب التاريخية التالية تؤيد هذا الرأي:

المجلسي - بحار الأنوار، ج٣٧، ص ٢٠١. البغدادي - تاريخ بغداد، ج٨، ص ٢٨٩. القمي - الكنى والألقاب، ج٢، ص ٢١٨.

والرأي الثاني: يقول نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة، يوم الجمعة. وهذا ما ذكره الطبري في تفسيره ج٩، ص ١٥٧، إذ يقول:

«نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة، يوم الجمعة، حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام وأخلص للمسلمين حجّهم، ويوافقه الرأي ابن كثير في تفسيره المسمى: (تفسير القرآن العظيم) ج٢، ص ١٤، بعد أن يروي الحديثين التاليين:

أولهما: عن أبي سعيد الخدري: إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم حين قال لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

ثانيهما: عن أبي هريرة، وفيه أن اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع.

فيقول عن (الحديثين)، «ولا يصح هذا ولا هذا، بل الصواب الذي لا شك فيه ولا فرية أنها أُنزلت يوم عرفة وكان يوم الجمعة. ويؤكد هذا الرأي ثانية في كتابه (البداية والنهاية) ج٥، ص ٢١٣.

وكان من الأفضل أن يذكر السبب في عدم صحة الحديثين تأكيداً لرأيه الذي قدمه.

والرأي الثالث: يقول إن الآية نزلت في حجة الوداع. وهذا ما ذهب إليه سيد قطب في (ظلال القرآن) ج٦، ص ٦٥١ قال: «اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية في حجة الوداع، أكمل الله هذا الدين، فما عادت فيه زيادة لمستزيد، وأتم نعمته الكبرى على المؤمنين بهذا المنهج الكامل ا لشامل، ورضي لهم الإسلام ديناً. فمن لا يرتضيه منهجاً لحياته - إذن - فإنّما يرفض ما ارتضاه الله للمؤمنين».

والرأي الرابع: يقول: إنه يحتمل أن نزلت الآية مرتين، مرة بعرفة، ومرة يوم الغدير كما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة. وهذا الرأي لابن الجوزي، فبعد أن نقل حديثاً عن أبي هريرة ومفاده: لما قال النبي صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فعلي مولاه نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، وأتممت عليكم نعمتي، قال: بأنه ضعيف ورواية مضطربة لأنه قد ثبت في الصحيحين أن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] نزلت عشية عرفة في حجة الوداع ويقول: «فإن سلمت رواية مشبون احتمل أن الآية نزلت مرتين مرة بعرفة ومرة يوم الغدير كما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم مرة بمكة ومرة بالمدينة[1].

---

(١) ابن الجوزي - تذكرة الخواص، ص ٢٩.

أما القاسمي ففي تفسيره (محاسن التأويل) ج٦، ص ١٨٣٠ فيروي الأحاديث التالية من غير أن يعطي رأيه فيها فيقول:

وروى ابن جرير من طريق العوني عن ابن عباس في الآية قال: ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس، ومن طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال: نزلت على رسول الله ﷺ في مسيره إلى حجة الوداع. وروى ابن مردويه من طريق أبي هارون العبيدي عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم، حين قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه. ثم رواه عن أبي هريرة وفيه: أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة يعني مرجعه عليه الصلاة والسلام من حجة الوداع.

المبحث الخامس:

انتشار خبر غدير خم

انتشر المسلمون في أرجاء البلاد الإسلامية، بعد أداء فريضة الحج مع رسول الله ﷺ وشاع أثر رجوعهم خبر غدير خم في البلاد والأمصار، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فقدم المدينة، فأناخ راحلته عند باب المسجد فدخل والنبي ﷺ جالسٌ وحوله أصحابه، فجاء حتى وقف بين يديه ثم قال:

يا محمد! إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله فقبلنا ذلك منك، وإنك أمرتنا أن نصلّي في اليوم أو الليلة خمس صلوات، ونصُوم شهر رمضان ونزكّي أموالنا، ونحج البيت، فقبلنا ذلك منك. ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء من الله أو منك؟

فاحمرّت عينا رسول الله ﷺ وقال: والله الذي لا إله إلا هو، إنّه من الله وليس منّي، قالها ثلاثاً.

فقال الحارث وهو يقول: اللهم، إن كان هذا هو الحق من عندك، وفي رواية، اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً، فأرسل علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم.

فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه فخرج من دبره فمات فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج: ١-٣] (١).

---

(١) وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، ج٩، ص ٣٥٠ - ٣٥٢ ومحاسن التأويل - لمحمد جمال الدين القاسمي ج١٦، ص ٥٩٢٤: والسائل في الآية، هو النضر ابن الحارث ابن كلدة. راجع ابن الجوزي - تذكرة الخواص، ص ٣٠.

المبحث السادس:

مناشدة علي يوم الرحبة

جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل:

قال سماك بن عبد الوليد العبسي: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى فحدثني أنه سمع عليّاً عليه السلام [١] في الرحبة[٢] قال: أشهد الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهده يوم غدير خم إلاّ قام ولا يقوم إلا من رآه فقام اثنا عشر رجلاً[٣] فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول اللهم وال

---

(١) كانت مناشدة علي في الرحبة أيام خلافته. انظر عبد الحسين شرف الدين: المراجعات ص٢١١.

(٢) رحبة مسجد الكوفة، البداية والنهاية، ج٥، ص ٢١١.

(٣) اختلفت الروايات حول عدد الذين شهدوا في الرحبة لعلي بأنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه. فيما يلي نذكر تلك الروايات.
في السيرة الحلبية ج٣، ص ٢٨٨: سمعه ثلاثون صحابياً وشهدوا به.
- في تاريخ بغداد ج١٤، ص ٢٣٦: اثنا عشر بدرياً.
- في المراجعات ص ٢٠٩ - ٢١٢: فقام ثلاثون صحابياً منهم اثنا عشر بدرياً.
- وفي البداية والنهاية ج٧، ص ٣٤٨، فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا.
- في الإصابة ج١، ص ٣٠٤: فقام اثنا عشر رجلاً منهم قيس بن ثابته وحبيب بن بديل بن ورقاء فشهدوا... راجع أيضاً البداية والنهاية: ج٥، ص ٢١٠.
- في البداية والنهاية: ج٧، ص ٣٤٨: وصفة الصفوي ج١، ص ١٢١، ثلاثة عشر رجلاً.
- في الإصابة ج٤، ص ١٥٩: فقام سبعة عشر رجلاً منهم أبو قدامة الأنصاري.
- في الإصابة ج٢، ص ٢٤٨ فأنشد سبعة عشر رجلاً منهم عامر بن ليلى الغفاري في البداية والنهاية ج٧، ص ٣٤٧: ستة عشر رجلاً.
- في أسد الغابة ج٣، ص ٣٠٧: فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري وأبو عمرة ابن عمرو بن محصن وأبو زينب وسهل بن حنيف وخزيمة بن ثابت وعبد الله بن ثابت الأنصاري وحبشي بن جنادة السلولي وعبيد بن عازب الأنصاري وأبو فضالة الأنصاري وعبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري.

من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته[١].

يعلق عبد الحسين شرف الدين في المراجعات على هذا الحديث بقوله:

«وأنت تعلم أن تواطؤ الثلاثين صحابياً على الكذب مما يمنعه العقل، فحصول التواتر بمجرد شهادتهم إذن قطعّيٌ لا ريب فيه، وقد حمل هذا الحديث، عنهم كل من كان في الرحبة من تلك الجموع، فبثّوه بعد تفرقهم في البلاد، فطار كل مطير. ولا يخفى أن يوم الرحبة إنما كان في خلافة أمير المؤمنين وقد بويع سنة خمس وثلاثين، ويوم الغدير إنّما كان في حجة الوداع سنة عشر، فبين اليومين - في أقل الصور - خمس وعشرون سنة،

= - في المرجع نفسه ج٢، ص ٢٣٣: فانتشر له بضعة عشر رجلاً منهم يزيد أو زيد بن شراحيل الأنصاري، وفي ج٥، ص ٢٠٥، فقام بضعة عشر فيهم أبو أيوب الأنصاري.

- في الإصابة ج٢، ص ٤٠١: فقام بضعة عشر رجلاً منهم أبو أيوب وأبو زينب وعبد الرحمن ابن عبد رب. وفي المرجع نفسه ج٥، ص ٥١٢ فانتشر له بضعة عشر رجلاً منهم أبو أيوب وناجية بن عمرو الخزاعي.

- وفي البداية والنهاية ج٥، ص ٢١٠: فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا، وفي المرجع نفسه ج٥، ص ٢١٢ نقل الإمام أحمد عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا قال كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فهذا مولاه. قال رباح فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار منهم أبو أيوب الأنصاري. ونقل الإمام عن رباح ابن الحارث قال: رأيت قوماً من الأنصار قدموا على علي في الرحبة فقال: من القوم؟ فقالوا: مواليك يا أمير المؤمنين.

- وفي البداية والنهاية ج٧، ص ٣٤٨: نشهد على الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا.

- وفي المرجع نفسه ج٧، ص ٣٤٧: فقام كثير من الناس. قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا... وفي المرجع نفسه ج٧، ص ٣٤٨: فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١، ص ١١٩، راجع أيضاً البداية والنهاية ج٥، ص ٢١٠.

كان في خلالها طاعون عمواس، وحروب الفتوحات والغزوات على عهد الخلفاء الثلاثة، وهذه المدة - وهي ربع قرن - بمجرد طولها وبحروبها وغاراتها، وبطاعون عمواسها الجارف، وقد أفنت جلّ من شهد يوم الغدير من شيوخ الصحابة وكهولهم، ومن فتيانهم المتسرعين - في الجهاد - إلى لقاء الله عزّوجلّ، ورسوله صلى الله عليه وآله، حتى لم يبق منهم حيّاً بالنسبة إلى من مات إلا قليل، والأحياء منهم كانوا منتشرين في الأرض، إذ لم يشهد منهم الرحبة إلا من كان مع أمير المؤمنين في العراق من الرجال دون النساء، ومع هذا كله فقد قام ثلاثون صحابياً، فيهم اثنا عشر بدرياً فشهدوا بحديث الغدير سماعاً من رسول الله صلى الله عليه وآله، ورب قوم أقعدهم البعض عن القيام بواجب الشهادة كأنس بن مالك[1] وغيره، فأصابتهم دعوة أمير المؤمنين عليه السلام، ولو تسنّى له أن يجمع كل من كان حيّاً يومئذٍ من الصحابة رجالاً ونساء، ثم يناشدهم مناشدة الرحبة، لشهد له أضعاف أضعاف الثلاثين، فما ظنك لو تسنت له المناشدة في الحجاز قبل أن يمضي على عهد الغدير ما مضى من الزمن؟ فتدبّر هذه الحقيقة الراهنة تجدها أقوى دليل على تواتر حديث الغدير».

ثم ينقل مؤلف المراجعات حديثاً عن الجزء الرابع من مسند الإمام أحمد ابن حنبل بإسناد زيد بن أرقم عن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم: «أنشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام»، فقام ثلاثون من الناس قال: وقال

(١) وينقل شرف الدين في المراجعات حديثاً عن ابن قتيبة الدينوري في كتابه المعارف آخر ص ١٩٤ حيث ذكر أنساً من أهل العاهات، وهو: قال علي عليه السلام لأنس: ما لك لا تقوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته يومئذٍ منه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت سني ونسيت، فقال علي: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا تواريها العمامة، فما قام حتى ابيض وجهه برصاً، فكان بعد ذلك يقول: أصابتني دعوة العبد الصالح. ويعلق على ذلك بقوله: وهذه منقبة مشهورة ذكرها الإمام ابن قتيبة الدينوري. راجع ص ٢١٢ من المراجعات.

أبو نعيم: فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للناس: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه، فهذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال أبو الطفيل: فخرجت وكأنّ في نفسي شيئاً - أي من عدم عمل جمهور الأمة بهذا الحديث - فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إني سمعت عليّاً يقول: كذا وكذا، قال زيد: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له.

يعلق عبد الحسين شرف الدين على هذا الحديث بقوله: «فإذا ضممت شهادة زيد هذه، وكلام عليّ يومئذٍ في هذا الموضوع إلى شهادة الثلاثين، كان مجموع الناقلين للحديث يومئذٍ اثنين وثلاثين صحابياً».

ويعتقد شرف الدين بأن مناشدة علي في الرحبة دليل على حكمته في نشر حديث غدير خمّ وإذاعته[1].

(١) راجع عبد الحسين شرف الدين - المراجعات، ص ٢٠٩ - ٢١٢.

المبحث السابع:

آراء أهل السُّنة والشيعة حول واقعة غدير خم

ذكرنا في البحوث السابقة واقعة الغدير وخطبته نقلاً عن مصادر أهل السُّنة والشيعة، نورد في هذا المبحث آراء أهل السُّنة والشيعة حول واقعة الغدير، لنرى ما يقوله كل فريق في هذه الواقعة.

نبدأ ببيان رأي أهل السُّنة في واقعة الغدير، إذ لم نجد لأهل السُّنة موقفاً واحداً محدداً بالنسبة لواقعة الغدير، بل لديهم في ذلك ثلاثة إتجاهات:

الاتجاه الأول: وهو أشدها تطرفاً نلتمسه عند الظاهرية وأهل السلف وبعض أئمة الحديث وعلماء الكلام فهم ينكرون تماماً كل ما وقع في هذا اليوم.

يقول ابن حزم: الذي صحّ في فضائل علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولأعطين الراية... وعهده أن علياً لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وأما من كنت مولاه فلا يصح[١].

ويقول الإيجي: لا صحة للحديث إذ لم ينقله أكثر أصحاب الحديث بل إن علياً لم يكن يوم الغدير مع النبي بل كان في اليمن، وإن سلم فرواته لم يرووا مقدمة الحديث[٢].

أما ابن تيمية فيستند في تكذيب واقعة الغدير إلى ما يأتي:

١ - لو صحت حادثة موت الحارث الفهري وهي مرتبطة بيوم الغدير لكانت آية من جنس آية أصحاب الفيل ولانتشرت وتواترت وكذلك الأمر بخصوص اجتماع الناس يوم غدير خم.

---

(١) الإيجي: المواقف ص ٤٠٥.

(٢) ابن تيمية: المنتق ص ٤٢٣.

أبو نعيم: فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للناس: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه، فهذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال أبو الطفيل: فخرجت وكأنّ في نفسي شيئاً - أي من عدم عمل جمهور الأمة بهذا الحديث - فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إني سمعت عليّاً يقول: كذا وكذا، قال زيد: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له.

يعلق عبد الحسين شرف الدين على هذا الحديث بقوله: «فإذا ضممت شهادة زيد هذه، وكلام عليّ يومئذٍ في هذا الموضوع إلى شهادة الثلاثين، كان مجموع الناقلين للحديث يومئذٍ اثنين وثلاثين وثلاثين صحابياً».

ويعتقد شرف الدين بأن مناشدة علي في الرحبة دليل على حكمته في نشر حديث غدير خمّ وإذاعته[1].

(١) راجع عبد الحسين شرف الدين - المراجعات، ص ٢٠٩ - ٢١٢.

المبحث السابع:

آراء أهل السُنة والشيعة حول واقعة غدير خم

ذكرنا في البحوث السابقة واقعة الغدير وخطبته نقلاً عن مصادر أهل السُنة والشيعة، نورد في هذا المبحث آراء أهل السُنة والشيعة حول واقعة الغدير، لنرى ما يقوله كل فريق في هذه الواقعة.

نبدأ ببيان رأي أهل السُنة في واقعة الغدير، إذ لم نجد لأهل السُنة موقفاً واحداً محدداً بالنسبة لواقعة الغدير، بل لديهم في ذلك ثلاثة إتجاهات:

الاتجاه الأول: وهو أشدها تطرفاً نلتمسه عند الظاهرية وأهل السلف وبعض أئمة الحديث وعلماء الكلام فهم ينكرون تماماً كل ما وقع في هذا اليوم.

يقول ابن حزم: الذي صحّ في فضائل علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولأعطين الراية... وعهده أن علياً لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق وأما من كنت مولاه فلا يصح[1].

ويقول الإيجي: لا صحة للحديث إذ لم ينقله أكثر أصحاب الحديث بل إن علياً لم يكن يوم الغدير مع النبي بل كان في اليمن، وإن سلم فرواته لم يرووا مقدمة الحديث[2].

أما ابن تيمية فيستند في تكذيب واقعة الغدير إلى ما يأتي:

١ - لو صحت حادثة موت الحارث الفهري وهي مرتبطة بيوم الغدير لكانت آية من جنس آية أصحاب الفيل ولانتشرت وتواترت وكذلك الأمر بخصوص اجتماع الناس يوم غدير خم.

---

(١) الإيجي: المواقف ص ٤٠٥.

(٢) ابن تيمية: المنتقى ص ٤٢٣.

٢ - أما آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧] فلم تنزل في ولاية علي بل هي رسالة التوحيد كلّف الله بها نبيه، والآية نزلت قبل يوم الغدير بمدة.

٣ - مع افتراض أن النبي قاله يوم الغدير فإنه لم يرد به الخلافة قطعاً ولكن الروافض يذكرون الحديث ويعتبرونه صحيحاً لأنه يوافق هواهم[١] [٢].

الاتجاه الثاني: يسلم بحديث النبي يوم الغدير مع اختلاف في نص الحديث من ناحية وفي تفسير معناه من ناحية أخرى لا سيما في المقصود من لفظ «المولى». ويبدو أن الاتجاه السني المعتدل يميل إلى هذا الرأي ويمثلهم الرازي وغلام محمد صاحب التحفة الاثني عشرية، وإن كان رأي الرازي يتأرجح بين قبول الحديث وبين رفضه فهو يقول: يدعي الشيعة كون الحديث متواتراً من كل المسلمين وأن الأمة أجمعت على صحّته. ولكن الأمّة تثبت به فضيلته أما الشيعة فتثبت إمامته[٣]، ثم يتضح تشككه حين يقول إن أئمة الحديث والسير كالبخاري ومسلم والواقدي وابن إسحاق وأبو داود والسجستاني وأبو حاتم الرازي قدحوا فيه، واستدلّوا على فساده أن عليّاً لم يكن عند منصرف النبي من الحج بغدير خم وأنه أخبار آحاد، ثم يقول: وإذا سلمنا بأصل الحديث لا نسلم بأصل المقدمة وهي قول الرسول: ألست أولى بكم من أنفسكم. وإن أكثر من روى الحديث لم يرو المقدمة ولم ينقل أحد أن عليّاً ذكرها يوم الشورى، ولا يفيد لفظ «مولى» معنى أولى، إذ لم يثبت أئمة النحو أن مفعل تكون بمعنى أفضل التفضيل،

---

(١) المنتقى ص ٤٢٣.

(٢) انظر كتاب نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية للدكتور أحمد محمود صبحي ص ٢١٤ وما بعدها.

(٣) الرازي: نهاية العقول ص ٢٦٣.

ويستدل الرازي على ذلك بخطأ تفسير أبي عبيدة لقول الله: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ١٥] أي أولى بكم لأن هذا يقتضي أن وجود الكفار في الجنة حق إلاّ أن النار أحق بهم وأولى، فذلك من لوازم أفعل التفضيل، ولو صرّح عليه السلام بقوله: «ألست أولى بكم من أنفسكم فمن كنت ناصره ومولاه فعلي ناصره ومولاه»، لكان الكلام منتظماً حسناً، أما أن مؤخر الحديث: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فهذا يقتضي أن يكون المولى بمعنى الناصر لأن الموالاة هنا ضد العداوة، ذلك لأن النبي أحس من قوم أنهم غير مخلصين في موالاته حيث دخل في الإسلام بعد الفتح من كان عليٌّ قتل أقاربهم فقرن النبي موالاة علي بموالاة نفسه ليزيل البقايا التي في نفوسهم، ثم إنكم تقولون إن عمر قال له أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة من غير إنكار من النبي وهذنا يدل على أنه أصبح مولى لكل المؤمنين مع أنه لم يصبح إماماً لهم فعلمنا أنه ليس المراد من المولى الإمامة.

أما صاحب التحفة الاثني عشرية فيرى في الحديث ما يدل على وجوب محبته ولو كان الحديث دالاً على وجوب إمامته بالنص لتقيد بلفظ بعدي، أي اللهم وال من والاه بعدي أما وكونه مطلقاً فهذا ما يفيد إمكان اجتماع الولايتين معاً: موالاة رسول الله وموالاة علي فلا تكون الولاية إلا بمعنى المحبّة حتى تكون موالاة رسول الله مستلزمة لولاية علي فتكون عامة في جميع الأوقات من جميع الوجوه، ولقد وقع لفظ الأولوية كثيراً بمعنى الأولى بالمحبة، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الاحزاب: ٦] (١).

أما نص الحديث كما يراه أهل السنة فقد أخرج النسائي عن عائشة بنت سعد قالت: أبي يقول سمعت رسول الله وقد أخذ بيد علي فخطب

(١) غلام محمد وترجمة الآلوسي: التحفة الاثني عشرية ص ١٠٦.

وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني وليكم، قالوا: صدقت يا رسول الله، ثم رفع يد عليّ فقال: هذا وليّ يؤدي عني ديني وأنا موال من والاه ومعاد من عاداه، وفي رواية أخرى: من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وفي رواية ثالثة: أخرجه الحاكم عن البراء بن عازب: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[1].

ويحمل وجه الاختلاف في النص بين رواية الشيعة ورواية أهل السنة دلالة هامة إذ لا يروي أهل السُّنة قول النبي: «يا أيها الناس أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون» لما تتضمنه هذه العبارة من إشارة إلى أنها وصية من يشعر بدنو أجله فيكون المجال أن يذكر الإمام بعده، كذلك لا يذكر أهل السُّنة أركان الإسلام الواردة في الحديث:

«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإيمان بأن الجنة حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور» ذلك لأن ذكر موالاة علي في أثر أركان الإسلام يتضمن الولاية كتوحيد النبوة والمعاد من أركان الإسلام وهذا ما لا يسلم به أهل السنة.

غير أن الجدل يشتد بين الفريقين حول معنى «المولى» والولي فهو عند الشيعة يعني الأولى بالتصرف ولا يكون ذلك إلا للإمام، أما عند أهل السُّنة فله معانٍ كثيرة عدا المعنى الذي يثبته الشيعة، يقول صاحب التحفة الاثني عشرية: المولى بمعنى الأولى بالتصرف تنكره اللغة إذ لا تجيء صيغة مفعل بمعنى أفعل وإذا أفادت ذلك فإنها تفيد الأولى فقط لا الأولى بالتصرف إذ

(١) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات ص ١٦٧.

قد يكون المراد الأولى بالمحبة والأولى بالتعظيم لقول الله: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨] ولم يكن اتباع إبراهيم أولى بالتصرف، والقرينة البعدية تدل صراحة على أن المراد من الولاية المفهومة من لفظ المولى الأولى بالمحبة لقول الرسول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلو كان الأولى بالتصرف لقال اللهم وال من كان في تصرفه وعاد من لم يكن كذلك، وفي هذا المعنى أورد أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط أنه سئل عن حديث «من كنت مولاه». . هل هو نص على خلافة علي؟ قال: لو كان النبي أراد خلافته بهذا الحديث لقال قولاً واضحاً هكذا.

«يا أيها الناس هذا ولي أمري والقائم عليكم بعدي فاسمعوا وأطيعوا» ثم قال الحسن: أُقسم بالله أن الله تعالى لو آثر علياً لأجل هذا الأمر ولم يمتثل عليّ لأمر الله ورسوله ولم يقدم على هذا الأمر لكان أعظم الناس خطأ بترك امتثال ما أمر الله ورسوله به قال رجل: أما قال رسول الله من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ قال الحسن: لا والله إن رسول الله لو أراد الخلافة لقال قولاً واضحاً وصرّح بها كما صرّح بالصلاة والزكاة، وقال: يا أيها الناس إن علياً ولي أمري من بعدي والقائم في الناس بأمري[1].

وتفيد العبارة المنسوبة للحسن المثنى إنكار النص الجليّ والإمامة الإلهيّة ولعل رأيه هو نفس رأي الزيدية في إمامة عليّ.

ويجدر أن نذكر حجج الشيعة في أن لفظ المولى يعني الأولى بالتصرف بعد أن أنكر أهل السُّنة ذلك لغوياً، وهم يستندون إلى تفسير أبي عبيدة للآية: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ١٥] أي أولى بكم وإلى حديث رسول الله أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها أي المالك المتصرف في أمرها، وقال المبرد تأويل الولي الأولى ومثله المولى واحد وهو المتولي لأمورهم، ولفظ المولى يفيد العبد وابن العم والجار والحليف والناصر والأولى

(١) غلام محمد وترجمة الألوسي: التحفة الإثني عشرية ص ١١١.

وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني وليكم، قالوا: صدقت يا رسول الله، ثم رفع يد عليّ فقال: هذا وليّ يؤدي عني ديني وأنا موال من والاه ومعاد من عاداه، وفي رواية أخرى: من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وفي رواية ثالثة: أخرجه الحاكم عن البراء بن عازب: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[1].

ويحمل وجه الاختلاف في النص بين رواية الشيعة ورواية أهل السنة دلالة هامة إذ لا يروي أهل السُّنة قول النبي: «يا أيها الناس أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون» لما تتضمنه هذه العبارة من إشارة إلى أنها وصية من يشعر بدنو أجله فيكون المجال أن يذكر الإمام بعده، كذلك لا يذكر أهل السُّنة أركان الإسلام الواردة في الحديث:

«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإيمان بأن الجنة حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور» ذلك لأن ذكر موالاة علي في أثر أركان الإسلام يتضمن الولاية كتوحيد النبوة والمعاد من أركان الإسلام وهذا ما لا يسلم به أهل السنة.

غير أن الجدل يشتد بين الفريقين حول معنى «المولى» والولي فهو عند الشيعة يعني الأولى بالتصرف ولا يكون ذلك إلا للإمام، أما عند أهل السُّنة فله معانٍ كثيرة عدا المعنى الذي يثبته الشيعة، يقول صاحب التحفة الاثني عشرية: المولى بمعنى الأولى بالتصرف تنكره اللغة إذ لا تجيء صيغة مفعل بمعنى أفعل وإذا أفادت ذلك فإنها تفيد الأولى فقط لا الأولى بالتصرف إذ

(١) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات ص ١٦٧.

قد يكون المراد الأولى بالمحبة والأولى بالتعظيم لقول الله: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨] ولم يكن اتباع إبراهيم أولى بالتصرف، والقرينة البعدية تدل صراحة على أن المراد من الولاية المفهومة من لفظ المولى الأولى بالمحبة لقول الرسول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلو كان الأولى بالتصرف لقال اللهم وال من كان في تصرفه وعاد من لم يكن كذلك، وفي هذا المعنى أورد أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط أنه سئل عن حديث «من كنت مولاه».. هل هو نص على خلافة علي؟ قال: لو كان النبي أراد خلافته بهذا الحديث لقال قولاً واضحاً هكذا.

«يا أيها الناس هذا ولي أمري والقائم عليكم بعدي فاسمعوا وأطيعوا» ثم قال الحسن: أُقسم بالله أن الله تعالى لو آثر علياً لأجل هذا الأمر ولم يمتثل عليّ لأمر الله ورسوله ولم يقدم على هذا الأمر لكان أعظم الناس خطأ بترك امتثال ما أمر الله ورسوله به قال رجل: أما قال رسول الله من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ قال الحسن: لا والله إن رسول الله لو أراد الخلافة لقال قولاً واضحاً وصرّح بها كما صرّح بالصلاة والزكاة، وقال: يا أيها الناس إن علياً ولي أمري من بعدي والقائم في الناس بأمري[1].

وتفيد العبارة المنسوبة للحسن المثنى إنكار النص الجليّ والإمامة الإلهيّة ولعل رأيه هو نفس رأي الزيدية في إمامة عليّ.

ويجدر أن نذكر حجج الشيعة في أن لفظ المولى يعني الأولى بالتصرف بعد أن أنكر أهل السُّنة ذلك لغوياً، وهم يستندون إلى تفسير أبي عبيدة للآية: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ١٥] أي أولى بكم وإلى حديث رسول الله أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها أي المالك المتصرف في أمرها، وقال المبرد تأويل الولي الأولى ومثله المولى واحد وهو المتولي لأمورهم، ولفظ المولى يفيد العبد وابن العم والجار والحليف والناصر والأولى

(١) غلام محمد وترجمة الألوسي: التحفة الإثني عشرية ص ١١١.

بالتصرف إذ لا معنى لصرفه إلى ابن العم وللنبي أبناء عم آخرون كجعفر وعقيل وعليّ أخوهما وليس ابن عمهما فضلاً عن أنه لا يستساغ أن يجمع النبي الناس ليثبت نسباً معروفاً، ولا بمعنى الحليف لأن النبي لم يكن حليفاً لأحد ولا بمعنى الناصر لأن كل من لديه دين يعلم بوجوب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، فجمع الناس لشرح معنى من هذه المعاني لهم لا معنى له، وإذا بطلت تلك المعاني لتعين حمل المولى على الأولى بالتصرف، أما التسليم بإفادة لفظ المولى المعنى الأولى وإنكار أن المقصود هو الأولى بالتصرف فيرد عليه بأن العرف الشائع لا يستنكره كالقول السلطان أولى بإقامة الحدود وكما يقول الله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الاحزاب: ٦] أي أولى بتدبير أمرهم والقيام به وإذا ثبت أن المراد بالأولى أنه أولى التصرف فيهم ثبت كونه إماماً لأنا لا نعني بالإمام إلا الشخص الذي هو أولى الناس بتدبير الخلق والتصرف[١].

وإذا كان الحديث غير مذكور في كتب بعض أئمة الحديث والسير، فقد ذكره الطبري والسيوطي والذهبي وابن حنبل فمثله كمثل كثير من الأحاديث الواردة في فضائل عليّ وإن كان غير متواتر عند أهل السُّنة إلا أنه ثابت في طرقهم الصحيحة[٢].

ويؤكد عبد الحسين شرف الدين واقعة الغدير حسب رواية الشيعة بقوله: كيف يجمع النبي تلك الألوف المؤلفة قبل أن يفترقوا بعد الحج، ويهتم بحبسهم في تلك الرمضاء حتى يلحق به من تأخّر عنه من الجمع ويرجع إليه من تقدم منهم، ثم ينزلهم في العراء على غير كلأ ولا ماء، ثم يخاطبهم ليبلغ الشاهد منهم الغائب، ثم ينعي إليهم نفسه ويسألهم عما سبق أن سلموا به من الإيمان بالله وبرسوله وبالكتاب والحساب، ثم يردف ذلك

---

(١) الرازي - نهاية العقول، ص ٢٦٤.

(٢) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات، ص ١٦٨.

بوجوب موالاة علي ولماذا خصّه بالدعوات من الله أن يوالي من والاه ويعادي من عاداه وينصر من نصره ويخذل من خذله ولِمَ أشهدهم على ذلك ولِمَ احتاج لهذه المقدمات كلّها ليعلن على الناس وجوب موالاته؟ وكيف يقصد بآية التبليغ طلب الله منه نشر رسالة التوحيد وقد نزلت بعد حجة الوداع تحوطه مئات الآلاف من الذين آمنوا بالتوحيد، والنبي على وشك أن يرحل من الدنيا، وأي مهمة استوجبت من الله التوكيد واقتضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد، وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه إذا كان كل هذا أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه إذا كان كل هذا مجرد أن يقصد به أن يعلن مجرد نصرة المسلمين لعلي وصداقتهم له، وهذا أمرٌ بين لا يحتاج إلى بيان، أفكان كل هذا الجمع وهذه المقدمات لتوضيح الواضحات ويبين ما هو في حكم البديهيات أم يكون من المستساغ عقلاً أن المناسب للمقام في هذا الهجير واللائق بمعنى أقواله يوم الغدير أن يعلن النبي وصيته ويبلغ عهده ويعين القائم مقامه من بعده، فلا سبيل إلى صرف معنى الولي أو المولى إلى معنى هذه المعاني المختلفة، وهذا واضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[1].

وكيف يمكن صرف المعنى إلى رغبة النبي أن يزيل ما علق في النفوس من تحامل على عليّ حين شكا وفد اليمن قبل ذلك إلى رسول الله ولقد مرّ على الحادثة عامان ولو أراد مجرد بيان الفضل ورد المتحاملين لقال هذا ابن عمي وصهري وأبو ولدي وسيّد أهل بيتي فلا تؤذوني فيه، أما وقد جعل الوصيّة بوجوب موالاته وقرن أهل بيته بكتاب الله فلتعلم الأمة أن لا مرجع بعد نبيّها إلا إليهما فكما لا يجوز الرجوع إلى غير كتاب الله فكذلك لا يجوز الرجوع إلى إمام غير أئمة العترة من ذريته الشريفة[2].

---

(١) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات، ص ٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨١ - ١٨٢.

الاتجاه الثالث: أمام حجج الشيعة المتلاحقة التي تستند إلى رواية أئمة أعلام سواء في الحديث أم السير يجد فريق من أهل السُّنة أن لا مناص من التسليم بقول النبي يوم الغدير ثم هم يعترفون أنه لا يمكن حمل المولى على الناصر أو المحبة وأن المقصود بها الأولى بالتصرف إلا أنه منعاً لصرف الإمامة عن الخلفاء الثلاثة يتمسكون بالقول إن الحديث لا يفيد وجوب إمامته بعد وفاة النبي مباشرة، قالوا سلمنا أنه أولى بالإمامة، ولكن المراد المآل وليس الحال وإ لا كان إماماً في حياة النبي، ولما لم يتعرض الحديث لوقت المآل سلمنا بإمامته الحقّة بعد الخلفاء الثلاثة، هذا هو رأي ابن حجر في صواعقه والحلبي في سيرته[١]، فلا يتشكك ابن حجر في حديث الغدير، بل يذكر أنه رواه ثلاثون صحابياً وكثير من طرقه صحيح أو حسن، بل يذكر ابن حجر أحاديث بصيغ أخرى تؤكد المعاني الواردة في حديث الغدير من ذلك أن النبي في مرضه الذي توفي فيه قال: يا أيها الناس يوشك أن أقبض سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم إلا أني مخلف فيكم كتاب ربي ﷻ وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها وقال: هذا مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فاسألهما ما خلفتم فيهما، وأخرج أبو يعلى والبزاز عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله: من آذى علياً فقد آذاني، وأخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة عن رسول الله قال: من أحبّ علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحبّ الله ومن أبغض علياً فقد أبغضني وقد أبغض الله، وأخرج الطبراني عن أم سلمة: علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض[٢].

وهكذا يسلم ابن حجر العسقلاني مع حملته على الشيعة بأحاديث كثيرة

---

(١) عبد الحسين شرف الدين - المراجعات، ص ١٨٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني: الصواعق المحرقة ص ٧٦.

تردد كثير من أئمة الحديث وعلماء الكلام من أهل السُّنة في قبولها، ثم هو لم يلجأ إلى تأويل ألفاظ الأحاديث ويسلم أن هذه الأحاديث كلها تشير إلى خطأ من يحارب عليّاً كما يحذر النبي من معاداته.

وبالرغم من أن هذا الاتجاه أقرب اتجاهات أهل السُّنة إلى الشيعة، فهم لا يرضون عنه، ذلك أن الادعاء أن إمامة علي لو لم تكن مآليه لكان هو الإمام في حياة النبي، وإذا كانت مآليّة فهي لم تحدد زمن إمامته أو تنص على أنها بعد نبوة الرسول مباشرة، هذا الأداء فيه تغافل عن عهود كل الأنبياء والخلفاء ثم الأمراء في الوصية إلى من بعدهم فوصية النبي إلى علي أنه أولى بالإمامة تفيد المآل قطعاً ولا عبرة بعدم تحديد الزمن، لأن الوصايا إنّما تنفّذ بعد الوفاة بلا فصل عملاً بالقاعدة المقررة عند الجميع[١] وكذلك الأمر فيما يتعلق بتهنئة عمر لعليّ لما حصل له الاستحقاق في الحال للتصرف في ثاني الحال حسنت التهنئة لأجل الاستحقاق الحاضر[٢].

بعد أن استعرضنا آراء أهل السُّنة والشيعة حول غدير خم، نستعرض الآن رأي الدكتور أحمد محمود صبحي حول آراء أهل السُّنة والشيعة والثغرات التي يراها تتخلل موقف الشيعة من واقعة غدير خم.

يناقش الدكتور صبحي اتجاهات أهل السُّنة الثلاثة والتي ذكرناها آنفاً ويقول:

أما الاتجاه الأول: لأهل السُّنة وهو اتّجاه الذين أنكروا واقعة الغدير من أساسها، والواقع أن الدافع إلى الإنكار لم يكن خلو الصحيحين منه أو قدح بعض الأئمة فيه، ولكن على حد تعبير ابن تيمية: إنّ أهل الأهواء لا

(١) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات ص ١٨٥.

(٢) انظر كتاب نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية للدكتور أحمد محمود صبحي، ص ٢١٤ وما بعدها.

الاتجاه الثالث: أمام حجج الشيعة المتلاحقة التي تستند إلى رواية أئمة أعلام سواء في الحديث أم السير يجد فريق من أهل السُّنة أن لا مناص من التسليم بقول النبي يوم الغدير ثم هم يعترفون أنه لا يمكن حمل المولى على الناصر أو المحبة وأن المقصود بها الأولى بالتصرف إلا أنه منعاً لصرف الإمامة عن الخلفاء الثلاثة يتمسكون بالقول إن الحديث لا يفيد وجوب إمامته بعد وفاة النبي مباشرة، قالوا سلمنا أنه أولى بالإمامة، ولكن المراد المآل وليس الحال وإ لا كان إماماً في حياة النبي، ولما لم يتعرض الحديث لوقت المآل سلمنا بإمامته الحقّة بعد الخلفاء الثلاثة، هذا هو رأي ابن حجر في صواعقه والحلبي في سيرته[١]، فلا يتشكك ابن حجر في حديث الغدير، بل يذكر أنه رواه ثلاثون صحابياً وكثير من طرقه صحيح أو حسن، بل يذكر ابن حجر أحاديث بصيغ أخرى تؤكد المعاني الواردة في حديث الغدير من ذلك أن النبي في مرضه الذي توفي فيه قال: يا أيها الناس يوشك أن أقبض سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم إلا أني مخلف فيكم كتاب ربي ﷻ وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها وقال: هذا مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فاسألهما ما خلفتم فيهما، وأخرج أبو يعلى والبزاز عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله: من آذى علياً فقد آذاني، وأخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة عن رسول الله قال: من أحبّ علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحبّ الله ومن أبغض علياً فقد أبغضني وقد أبغض الله، وأخرج الطبراني عن أم سلمة: علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض[٢].

وهكذا يسلم ابن حجر العسقلاني مع حملته على الشيعة بأحاديث كثيرة

---

(١) عبد الحسين شرف الدين - المراجعات، ص ١٨٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني: الصواعق المحرقة ص ٧٦.

تردد كثير من أئمة الحديث وعلماء الكلام من أهل السُّنة في قبولها، ثم هو لم يلجأ إلى تأويل ألفاظ الأحاديث ويسلم أن هذه الأحاديث كلها تشير إلى خطأ من يحارب عليّاً كما يحذر النبي من معاداته.

وبالرغم من أن هذا الاتجاه أقرب اتجاهات أهل السُّنة إلى الشيعة، فهم لا يرضون عنه، ذلك أن الادعاء أن إمامة علي لو لم تكن مآليه لكان هو الإمام في حياة النبي، وإذا كانت مآليّة فهي لم تحدد زمن إمامته أو تنص على أنها بعد نبوة الرسول مباشرة، هذا الأداء فيه تغافل عن عهود كل الأنبياء والخلفاء ثم الأمراء في الوصية إلى من بعدهم فوصية النبي إلى علي أنه أولى بالإمامة تفيد المآل قطعاً ولا عبرة بعدم تحديد الزمن، لأن الوصايا إنّما تنفّذ بعد الوفاة بلا فصل عملاً بالقاعدة المقررة عند الجميع[١] وكذلك الأمر فيما يتعلق بتهنئة عمر لعليّ لما حصل له الاستحقاق في الحال للتصرف في ثاني الحال حسنت التهنئة لأجل الاستحقاق الحاضر[٢].

بعد أن استعرضنا آراء أهل السُّنة والشيعة حول غدير خم، نستعرض الآن رأي الدكتور أحمد محمود صبحي حول آراء أهل السُّنة والشيعة والثغرات التي يراها تتخلل موقف الشيعة من واقعة غدير خم.

يناقش الدكتور صبحي اتجاهات أهل السُّنة الثلاثة والتي ذكرناها آنفاً ويقول:

أما الاتجاه الأول: لأهل السُّنة وهو اتّجاه الذين أنكروا واقعة الغدير من أساسها، والواقع أن الدافع إلى الإنكار لم يكن خلو الصحيحين منه أو قدح بعض الأئمة فيه، ولكن على حد تعبير ابن تيمية: إنّ أهل الأهواء لا

(١) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات ص ١٨٥.

(٢) انظر كتاب نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية للدكتور أحمد محمود صبحي، ص ٢١٤ وما بعدها.

يكتبون إلا ما لهم ويوافق أهواءهم، وهذه العبارة التي اتهم بها الرافضة لم يخلص هو منها، ذلك أنه مهما كانت الصيغ المختلفة في رواية الحديث وأيّاً ما كان الاختلاف حول معاني بعض الألفاظ فإن الحديث يدين أؤلئك الذين حاربوا عليّاً بعد أن حذرهم النبي على مشهد من الملأ، ولا يسوغ لتبرير حربهم بأن كانوا في حربهم مجتهدين اجتهاداً خاطئاً، لأنّه لا مجال للاجتهاد مع وجود نص صريح بالإدانة، ولما كان أهل الظاهر والسلفيون يوالون معاوية فإنه لم يكن لديهم مفرّ من اختيار إما ترك هذه الموالاة أو القدح بشتى الوسائل في الحديث، وبالرغم من أنه المفروض أن تخضع العقائد للنصوص إلا أن كثيراً من أصحاب المذاهب قد أخضعوا الأحاديث لأهوائهم ومذاهبهم.

وأما الاتجاه الثاني: وهو يحمل طابع الشك والتردد في الحكم على صدق الحديث أو كذبه، فالذين أثبتوه من الرواة لهم مقامهم والذين أغفلوه لهم خطرهم، وقد لجأ الفريق المتشكك الذي يمثله الرازي إلى حلّ وسط حاول فيه التسليم بصحة الحديث مع تأويل بعض ألفاظه تأويلاً لا يضفي على عليّ آية صفة زائدة أو ولاية ظاهرة لم يكن معترفاً له بها من قبل فلا يقتضيهم هذا التسليم بأية عقيدة لم يكن مسلماً بها، وهم بذلك قد أضفوا على الموقف فتوراً لا يتناسب مع جلاله وخطورته، وهذا الموقف التوفيقي لا يحل الإشكال لأن جلال الموقف وجمع النبي للعدد الغفير من الناس - إن سلم بذلك - وقبل أن يفارق الدنيا بثلاثة شهور فهو آخر لقاء جماعي له مع المسلمين يقتضي إعلان نبأ لا يقل خطورة وأهميّة عن الموقف نفسه.

والاتجاه الثالث: أكثره جرأة لأنه أقرب الاتجاهات إلى رأي الخصم في مجال المعارضة[1].

---

(١) الدكتور أحمد محمود صبحي - نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، ص ٢٢٣.

بعد مناقشة اتجاهات أهل السُّنة يرى الدكتور أحمد محمود صبحي بأن موقف الشيعة وإن يبدو متماسكاً إلا أنّه تتخلله بعض الثغرات، وهي:

١ - هل نزلت آية التبليغ حقاً لتطلب من النبي إعلان ولاية علي؟ وهل كان نزولها بعد حجة الوداع وقبل الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؟ هذا ما لم يثبت لدى المفسرين. فالطبري يرى الآية قد نزلت ليقوم النبي بإبلاغ اليهود والنصارى حسب مقتضى الآيات السابقة، وأنها نزلت بعد الفتح، ثم هو يذكر أن الله سيكفيه الناس ويعصمه منهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ذلك لأن أعرابياً قد همَّ بقتل الرسول فكفاه الله إياه ولا يشير إلى غدير خم أو ولاية علي.

٢ - إذا كان الحديث يفيد نصّاً صريحاً ووصية ظاهرة في الإمام بعده فلماذا لم ترد بعبارة واضحة لا تحتمل التأويل حسب ما يقول الحسن المثنى؟

٣ - كيف يكون الحديث نصّاً صريحاً على الإمامة وعهد من الله لعلي لا يكمل الإيمان إلاّ به ولا يمتثل عليّ لذلك ويحارب من أجلها بعد وفاة النبي مهما اجتمعوا عليه ولم يعرف عنه ضعف ولا جبن إلا أن يعد إثماً لتركه أمر الله ووصية رسوله؟

يذكر الرازي أنه حين ثبتت شهادة الشهود أن الوليد بن عقبة والي عثمان قد شرب الخمر، وتردد الخليفة في إقامة الحد عليه بادر عليٌّ بنفسه وحدّه بالسوط، مع أن هذا واجب الخليفة قائلاً: لا يعطل حدّ الله وأنا قائم، فهل إقامة حد الله أجل من تنفيذ أمر الله المتعلق بالإمامة، وكيف يسامح في النص ولا يسامح سلطان الوقت في ترك حدٍّ واحد؟

٤ - لماذا لم يحتج عليّ على أبي بكر بحادثة الغدير ثم ذكرها يوم الرحبة حسب رواية الشيعة؟ إذا صح ذلك فالحديث لا يشير إلى إمامته بعد النبي، وإنما يبشر النبي بنصره وينذر من يعاديه كما لو صحّت في متن

الحديث عبارة «واخذل من خذله» فإن الحديث لا يدين من حارب علياً فحسب وإنما يدين كذلك أولئك الذين اعتزلوه، وبذلك يلقي الحديث الضوء على حروب عليّ التي اشتبه في أمرها المسلمون والتبس عليهم فيها وجه الحق[١].

(١) الدكتور أحمد محمود صبحي - نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٢٢٣.

الفصل الثاني

عيد الغدير عبر التاريخ

نبحث في هذا الفصل مراحل عيد الغدير عبر التاريخ، ونذكر العادات والتقاليد والسنن المتبعة في كل عصر وزمان.

نوضح في المبحث الأول، معنى العيد في كتب اللغة، ولِمَ سمّي غدير خم بعيد الغدير وما هي العلاقة بين العيد ويوم غدير خم؟

وفي المبحث الثاني، نورد الأحاديث الواردة عن رسول الله والأئمة الشيعة حول غدير خم وكيف أن رسول الله ﷺ كان يفضل عيد الغدير على الأعياد الأخرى ويطلب من المسلمين أن يهنئوه بهذا العيد.

وفي المبحث الثالث، نذكر خطبة لعلي بن أبي طالب يشير فيها إلى هذا العيد وما قاله رسول الله في هذا اليوم، ويدعو المسلمين إلى الإنفاق على العيال والبرّ على الإخوان والشكر لله وتقديم المساعدات والهدايا ويدعوهم أيضاً إلى الإحسان في هذا اليوم، لأن الإنفاق والبرّ والإحسان يثمر المال ويطيل العمر.

وفي المبحث الرابع، نبين اهتمام الأئمة الشيعة من أبناء علي بعيد الغدير، ونذكر الروايات والأحاديث الواردة بهذا الشأن وتدل على أن الأئمة من أبناء علي كانوا يعظمون هذا العيد.

وفي المبحث الخامس، ننقل الصور الحيّة التي التقطها المؤرخون عن العادات والسنن والتقاليد التي اتبعها الشيعة في العراق وخاصة في أيام معز الدين علي بن بويه الفاطمي.

وفي المبحث السادس، ندون ما ذكره المؤرخون عن اهتمام الفاطميين شعباً وحكومة بعيد الغدير والتقاليد والرسوم الخاصة بهم وعلى وجه الخصوص احتفال المعز الفاطمي بعيد الغدير وما يبذل في هذا اليوم من عطاءات وهدايا وما يوزع على عامة الناس من أطعمة وألبسة.

وفي المبحث السابع، نشير إلى اهتمام الشيعة في البلاد الإسلامية وخاصة في إيران والعراق بهذا اليوم والاحتفالات والمهرجانات التي تقام بهذه المناسبة على المستويين الشعبي والرسمي.

المبحث الأول:

عيد الغدير

العيد، لغة: الموسم، الشوق، الهمّ والحزن..

والعيدُ: ما يعتاد من نوبٍ وسَوقٍ وهَمٍّ ونحوه. وما اعتادكَ من الهم وغيره، فهو عيد.

والعيدُ: كل يوم فيه جمعٌ، واشتقاقه من عاد يعودُ كأنهم عادوا إليه، وقيل: اشتقاقه من العادة لأنّهم اعتادوه، والجمع أعياد لزم البدل.

وعيّد المسلمون: شهدوا عيدهم.

وقال الأزهري: والعيد عند العرب الوقت الذي يعودُ فيه الفرح والحزن، وكان في الأصل العِوْد فلمّا سكنت الواو وانكسر ما قبلها صارت ياء، وقيل: قلبت الواو ياءً ليفرقوا بين الاسم الحقيقي وبين المصدري.

وقال ابن الأعرابي: سميّ العيدُ عيداً لأنّه يعودُ كل سنةٍ بفرح مجدّد[1].

يتضح لنا مما تقدم، بأن العيدَ هو يوم فرح وابتهاج وإدخال السرور في القلب وتجديد المودات والذكريات وتقديم التهاني والتبريكات.

«وقد جرت العادة قديماً عند الأمم والأجيال أن تحتفل في اليوم الذي يتسنم فيه الملوك عرش السلطنة، فكانت هذه الأمم تعقد المجتمعات وتلقى فيها الخطب والقريض وتبسط الموائد وتوزع الهدايا وتسمي هذا اليوم

(١) لاحظ ابن منظور - لسان العرب المحيط - المجلد الثاني ص ٩٢١ (دار لسان العرب - بيروت). وابن منظور - لسان العرب المجلد ٣، ص ٣٢٢ (دار صادر بيروت) وراجع أيضاً الزبيدي - تاج العروس ج٢، ص ٤٣٨ والشيخ أحمد رضا - معجم متن اللغة ص ٢٢٧.

عيداً». وكان بنو إسرائيل إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والإمامة من بعده ففعل ذلك، جعلوا ذلك اليوم عيداً[١].

ولما كان غدير خم هو اليوم الذي اختار رسول الله ﷺ علّياً خليفة بعده على المسلمين، لذلك كان هذا اليوم عند الشيعة يوم ابتهاج وسرور وفرح وحبور.

ولما كان العيد هو الذي يعود كل سنة بفرحٍ مجدد، لذا نرى رسول الله قد جعل هذا اليوم عيداً وأمر كل من حضر يوم غدير خم من أمته ومنهم الشيخان ومشيخة قريش ووجوه الأنصار كما أمر أمّهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتهنئته على توليه الخلافة بعد رسول الله، حتى قال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وبهذا كان اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام عيداً عند الشيعة في جميع الأعصار والأمصار يفزعون فيه إلى مساجدهم، للصلاة فريضة ونافلة، وتلاوة القرآن العظيم، والدعاء بالمأثور، شكراً لله تعالى على إكمال الدين، وإتمام النعمة بإمامة أمير المؤمنين، ثم يتزاورون ويتواصلون فرحين مبتهجين، متقربين إلى الله بالبرّ والإحسان وإدخال السرور على الأرحام والجيران[٢].

وتذكر كتب التاريخ بأنّ الشيعة يعظّمون ليلة الغدير ويحيونها قياماً[٣] وتنقل كتب الأدعية بالزيارات دعاءً منسوباً إلى ليلة الغدير، سنذكره في المبحث السادس من هذا الفصل.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٦٩.
(٢) شرف الدين - المراجعات، ص ٢١٤.
(٣) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٢٤٠.

المبحث الثاني:

عيد الغدير في عهد الرسول

كما اختلف المؤرخون حول واقعة الغدير، اختلفوا أيضاً حول عيد الغدير. فالشيعة ترجع هذا العيد إلى عهد رسول الله ﷺ، وتروي كتبهم حديثاً عن النبي يدل على أنه ﷺ كان يعتبر يوم الغدير أحد الأعياد الإسلامية وكان يفضله على الأعياد الأخرى. ففي هذا اليوم أمر الله نبيّه محمداً بنصب علي بن أبي طالب خليفة على أمته يهتدون به من بعده وفي هذا اليوم أيضاً أكمل الله فيه الدين وأتمّ النعمة عليهم، ورضي لهم الإسلام ديناً.

فالمجلسي يروي في (بحار الأنوار) حديثاً عن الإمام الصادق عن آبائه، قال رسول الله ﷺ: «يوم غدير خم أفضل أعياد أُمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأُمّتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين، وأتمّ على أُمتي فيه النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً»(١).

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في يوم غدير حيث قال: «هنئوني، إنّ الله تعالى خصّني بالنبوة، وخصّ أهل بيتي بالإمامة»(٢).

يتبيّن مما تقدم أن رسول الله ﷺ كان يعد يوم الغدير عيداً ويفضله على الأعياد الإسلامية ويطلب من المسلمين أن يهنئوه بهذا اليوم لأنه اليوم الذي خُصَّ به علياً بالخلافة.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٠٨.

(٢) القزويني: علي من المهد إلى اللحد، ص ٣٦٤.

عيداً». وكان بنو إسرائيل إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والإمامة من بعده ففعل ذلك، جعلوا ذلك اليوم عيداً[١].

ولما كان غدير خم هو اليوم الذي اختار رسول الله ﷺ علّياً خليفة بعده على المسلمين، لذلك كان هذا اليوم عند الشيعة يوم ابتهاج وسرور وفرح وحبور.

ولما كان العيد هو الذي يعود كل سنة بفرحٍ مجدد، لذا نرى رسول الله قد جعل هذا اليوم عيداً وأمر كل من حضر يوم غدير خم من أمته ومنهم الشيخان ومشيخة قريش ووجوه الأنصار كما أمر أمّهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتهنئته على توليه الخلافة بعد رسول الله، حتى قال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وبهذا كان اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام عيداً عند الشيعة في جميع الأعصار والأمصار يفزعون فيه إلى مساجدهم، للصلاة فريضة ونافلة، وتلاوة القرآن العظيم، والدعاء بالمأثور، شكراً لله تعالى على إكمال الدين، وإتمام النعمة بإمامة أمير المؤمنين، ثم يتزاورون ويتواصلون فرحين مبتهجين، متقربين إلى الله بالبرّ والإحسان وإدخال السرور على الأرحام والجيران[٢].

وتذكر كتب التاريخ بأنّ الشيعة يعظّمون ليلة الغدير ويحيونها قياماً[٣] وتنقل كتب الأدعية بالزيارات دعاءً منسوباً إلى ليلة الغدير، سنذكره في المبحث السادس من هذا الفصل.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٦٩.
(٢) شرف الدين - المراجعات، ص ٢١٤.
(٣) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٢٤٠.

المبحث الثاني:

عيد الغدير في عهد الرسول

كما اختلف المؤرخون حول واقعة الغدير، اختلفوا أيضاً حول عيد الغدير. فالشيعة ترجع هذا العيد إلى عهد رسول الله ﷺ، وتروي كتبهم حديثاً عن النبي يدل على أنه ﷺ كان يعتبر يوم الغدير أحد الأعياد الإسلامية وكان يفضله على الأعياد الأخرى. ففي هذا اليوم أمر الله نبيّه محمداً بنصب علي بن أبي طالب خليفة على أمته يهتدون به من بعده وفي هذا اليوم أيضاً أكمل الله فيه الدين وأتمّ النعمة عليهم، ورضي لهم الإسلام ديناً.

فالمجلسي يروي في (بحار الأنوار) حديثاً عن الإمام الصادق عن آبائه، قال رسول الله ﷺ: «يوم غدير خم أفضل أعياد أُمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأُمّتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين، وأتمّ على أُمتي فيه النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً»(١).

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في يوم غدير حيث قال: «هنئوني، إنّ الله تعالى خصّني بالنبوة، وخصّ أهل بيتي بالإمامة»(٢).

يتبيّن مما تقدم أن رسول الله ﷺ كان يعد يوم الغدير عيداً ويفضله على الأعياد الإسلامية ويطلب من المسلمين أن يهنئوه بهذا اليوم لأنه اليوم الذي خُصَّ به علياً بالخلافة.

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٠٨.

(٢) القزويني: علي من المهد إلى اللحد، ص ٣٦٤.

المبحث الثالث:

عيد الغدير في عهد علي بن أبي طالب

اقتفى علي بن أبي طالب أثر رسول الله ﷺ، فاتخذ يوم غدير خم عيداً مثلما فعل النبي، فكان أن صادف يوم الغدير يوم الجمعة، فخطب في المسلمين منوهاً إلى أن الله قد جمع في يوم الغدير عيدين: عيد يوم الجمعة وعيد الغدير، فبيّن منزلة يوم الجمعة بين سائر أيام الاسبوع، وكذلك ذكر فضل عيد الغدير، ففي هذا اليوم أمر الله رسوله بنصب علي بن أبي طالب خليفة بعده على المسلمين ولا يهتم بما يقولونه، وضمن له عصمته منهم.

ومن خطبته في هذا اليوم قوله:

«إنّ الله عزّوجلّ جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين كبيرين ولا يقوم أحدهما إلا بصاحبه ليكمل عندكم جميل صنعه، ويقفكم على طريق رشده، ويقفوا بكم آثار المستضيئين بنور هدايته، ويسلككم منهاج قصده، يوفر عليكم هنيء رفده، فجعل الجمعة مجمعاً ندب إليه تطهير ما كان قبله وغسل ما أوقعته مكاسب السوء من مثله إلى مثله، وذكرى للمؤمنين، وتبيان خشية المتقين، ووهب من ثواب الأعمال فيه أضعاف ما وهب لأهل طاعته في الأيام قبله، وجعله لا يتم إلا بالإئتمان لما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، والنخوع لطاعته فيما حث عليه وندب إليه، فلا يُقبل توحيده إلا بالاعتراف لنبيه ﷺ بنبوته، ولا يقبل ديناً إلا بولايته من أمر بولايته، ولا تنتظم أسباب طاعته إلاّ بالتمسك بعصمه وعصم أهل ولايته، فأنزل على نبيه ﷺ في يوم الدوح ما بيّن به عن إرادته في خلصائه وذوي اجتبائه، وأمره بالبلاغ وترك الحفل بأهل الزيغ والنفاق وضمن له عصمته منهم[1].

(١) الأميني: الغدير، ج١، ص ٢٨٤.

ويدعو علي في خطبته المسلمين إلى الإنفاق على العيال والبرّ على الإخوان والشكر لله على ما أعطاهم، وتقديم المساعدات والهدايا، لأنها تعود عليهم بالثواب وترجع إليهم أضعافاً مضاعفة. ويدعوهم أيضاً إلى الإحسان في هذا اليوم لأن البرّ في هذا اليوم يثمر المال ويطيل العمر. وكذلك يرغبهم في التعاطف، لأن التعاطف يجلب رحمة الله وعطفه. ويدعوهم إلى البذل والإنفاق على العيال قدر المستطاع وقدر الإمكان. وأخيراً يشير عليهم أن يظهروا البشر والسرور بينهم في هذا اليوم وهو يوم عيد الغدير. يقول علي:

«عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم، وبالبر بإخوانكم، والشكر لله ﷻ على ما منحكم، وأجمعوا يجمع الله شملكم، وتباروا يصل الله ألفتكم، وتهادوا نعمة الله كما منكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله أو بعده إلا في مثله، والبرّ فيه يثمر المال ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه، وهيئوا لإخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من وجودكم، وبما تناله القدرة من استطاعتكم، وأظهروا البشر فيما بينكم والسرور في ملاقاتكم[1].

(١) الأميني: الغدير، ج١، ص ٢٨٤.

المبحث الرابع:

عيد الغدير عند الأئمة من أبناء علي

سار الأئمة من أبناء علي بن أبي طالب على نهج جدّهم رسول الله ﷺ في الاهتمام بهذا اليوم واعتبروه أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة. لأن الله أكمل دين الإسلام في هذا اليوم، وأتم نعمته على المسلمين، ورضي لهم الإسلام ديناً.

روى جعفر بن محمد الأزدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قلتُ: جُعلتُ فداك، للمسلمين عيدٌ أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة؟

قال: نعم أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة (عيد الغدير)، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين وأنزل على نبيه محمد ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

قلتُ: وأي يوم هو؟

قال: إنّ أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصيّة والإمامة من بعده ففعل ذلك، جعلوا ذلك اليوم عيداً، وأنه اليوم الذي نصب رسول الله ﷺ علياً للناس علماً، وأنزل فيه ما أنزل، وكمل فيه الدين، تمت فيه النعمة على المؤمنين.

قلتُ: وأيُّ يوم هو في السنة؟

قال: إن الأيام تتقدم وتتأخر، وربما كان يوم السبت والأحد والإثنين إلى آخر أيام السبعة.

قلتُ: فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم؟

قال: هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله وحمد له، وسرور لمن منَّ الله به

عليكم من ولايتنا، وإني أُحبّ لكم أن تصوموه[١].

والمسعودي أكّد اهتمام وتعظيم أبناء علي لهذا اليوم بقوله: «وولد علي عليه السلام وشيعته يعظمون هذا اليوم»[٢].

هذا ما ذكره مؤرخو الشيعة وما تناقلته كتبهم، واكتمالاً للبحث لا بدّ أن نورد ما قاله المؤرخون من أهل السُّنة عن هذا العيد وتاريخه.

فالمقريزي يرجع تاريخ (إحداثه) إلى أيام الفاطميين في العراق، ويقول: «اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً ولا عمله أحد من سالف الأُمة المقتدى بهم وأول ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة علي بن بويه فإنّه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، فاتخذه الشيعة من حينئذ عيداً[٣].

ويوافقه الرأي كلٌّ من النويري وابن الأثير والحلبي والقلقشندي[٤].

ويرد عبد الحسين الأميني على أقوال المقريزي ويقول: «وما عساني أن أقول في بحاثة يكتب عن تاريخ الشيعة قبل أن يقف على حقيقته أو أنه

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٦٩.

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٢١.

(٣) المقريزي: الخطط المقريزية، المجلد ٢، ص ٢١٩.

(٤) راجع الحلبي: السيرة الحلبية، ج٣، ص ٢٨٨. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، ص ٤١٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٨١. والنويري: نهاية الأرب في فنون العرب، السفر الأول، ص ١٨٤.
إلا أن ابن الأثير يرجع تاريخ هذا العيد إلى حدود الأربعمائة للهجرة ويقول: «اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في حدود الأربعمائة في دولة بني بويه». راجع الكامل، ج٢، ص ١٨١.
أما القلقشندي فيذكر مكان احداث هذا العيد كما ذكره الآخرون ويكتفي بالقول: «كان لهم (الشيعة) به اهتمام في الدولة الفاطمية بالديار المصرية دون أن يذكر العراق». راجع صبح الأعشى، ج٢، ص ٤١٦.

عرف نفس الأمر فنسيها عند الكتابة، أو أغضى عنها لأمرٍ دُبّر بليل، أو أنه يقول ولا يعلم ما يقول. أوليس المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ يقول في التنبيه والإشراف ص ٢٢١: وولد علي عليه السلام وشيعته يعظمون هذا اليوم، أوليس الكليني الراوي لحديث عيد الغدير في الكافي توفي سنة ٣٢٩؟ وقبله فرات بن إبراهيم الكوفي المفسر الراوي لحديثه الآخر في تفسيره الذي هو في طبقة مشايخ ثقة الإسلام الكليني المذكور. فالكتب هذه أُلفت قبل ما ذكرها (النويري والمقريزي) من التاريخ ٣٥٢، أوليس الفياض بن محمد بن عمر الطوسي قد أخبر به سنة ٢٥٩؟ وذكر أنه شاهد الإمام الرضا عليه السلام (المتوفى سنة ٢٠٣) يتعيد في هذا اليوم ويذكر فضله وقدمه، ويروي ذلك عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام. والإمام الصادق (المتوفى سنة ١٤٨) قد علّم أصحابه بذلك كلّه وأخبرهم بما جرت عليه سنن الأنبياء من اتخاذ يوم نصبوا فيه خلفاءهم عيداً كما جرت به العادة عند الملوك والأمراء من التعيّد في أيام تسنموا فيها عرش الملك، وقد أمر أئمة الدين عليهم السلام في عصورهم القديمة شيعتهم بأعمال برّية ودعوات مخصوصة بهذا اليوم وأعمال وطاعات خاصة بهم»[1].

(١) الأميني: الغدير، ج١، ص ٢٨٨.

المبحث الخامس:

عيد الغدير في العراق

نقل لنا المؤرخون صوراً حية لعادات وتقاليد الشيعة في عيد الغدير عبر الأزمان والعصور في نطاق اهتمام بهذا اليوم.

ففي بغداد، يحدثنا المقريزي عن هذا اليوم في أيام معزّ الدولة علي بن بويه سنة إثنتين وخمسين وثلاثمائة... ويقول:

«وكانوا (الشيعة) يحيون ليلته بالصلاة، ويصلّون في صبيحته ركعتين قبل الزوال، ويلبسون فيه الجديد، ويعتقون الرّقاب، ويكثرون من عمل البرّ ومن الذبائح»[١].

«وفي حوالي سنة أربعمائة هجريّة في دولة بني بويه كانت تضرب الطبول في بغداد وذلك فرحاً واستبشاراً بالعيد»[٢].

وشارك الخلفاء الفاطميون الشعب بالاحتفال رسمياً بهذا العيد. يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٣٥٢:

«وفي الثامن عشر من ذي الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد - بغداد - وأشعلت النيران بمجلس الشرطة، وأظهر الفرح، وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالي الأعياد، وضربت الدبادب والبوقات وكان يوماً مشهوداً»[٣].

ولشدة تعلق الشيعة بهذا العيد والاحتفال به، نرى أن عوام السنة، قد اتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، أي بعد عيد الغدير بثمانية أيام عيداً

(١) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص ٢١٩.
(٢) الحلبي: السيرة الحلبية.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١١.

أكثروا فيه من السرور واللهو وقالوا: هذا يوم دخول رسول الله ﷺ الغار وأبو بكر الصديق وبالغوا في إظهار الزينة ونصب القباب وإيقاد النيران مضاهاة لفعل الشيعة ونكايتهم[١].

(١) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص ٢١٩.

المبحث السادس:

عيد الغدير في عهد الفاطميين بمصر

في مصر، اهتم الفاطميون شعباً وحكومة اهتماماً بالغاً بعيد الغدير وكان لهم فيه رسوماً وتقاليد خاصة، لم يسبقهم إليه غيرهم.

«ففي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة تجمع خلقٌ من أهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء، وهو أول ما عمل بمصر»(١).

«وفي هذا اليوم أيضاً، اجتمع الناس بجامع القاهرة (الأزهر) والقراء والفقهاء والمنشدون، فكان جمعاً عظيماً أقاموا إلى الظهر، ثم خرجوا إلى القصر، فخرجت إليهم الجائزة، وبذلك كان اهتمام المعزّ بهذا اليوم كبيراً، حتى أنّه كان يخرج إلى قنطرة المقس ويعرض الأسطول ويعوّذه ويباركه ويدعو له»(٢).

«وقد عني المعزّ بالاحتفال بعيد الغدير عناية فائقة، وحذا خلفاؤه حذوه في هذا السبيل فأصبح الاحتفال بيوم ١٨ ذي الحجة من كل سنة من أهم الاحتفالات الدينية التي كانت تهتم لها جوانب القاهرة فرحاً وسروراً، ويقف السنيون موقف المتفرجين المعجبين. والإسماعيلية كانوا يهنئون بعضهم بعضاً، وينحرون فيه أكثر مما ينحرون في عيد الأضحى، لأنهم يفضلون عيد الغدير عليه»(٣).

«وكان الفاطميون يحتفلون بركوب الخليفة وكبار رجال الدولة إلى الإيوان الكبير بالقصر الخلافي حيث يسبقه الوزير. فإذا وصل موكب الخليفة أسرع الوزير فأخذ مكانه في الموكب الذي يصل إلى الإيوان

(١) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص ٢٢٠.
(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٦٥١.
(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٦٥١.

فيجلس الخليفة في الشباك ويتجه القاضي إلى كرسي الدعوة ويشبه المنبر في تسع درجات فيأخذ مجلسه وأمامه الشهود والأمراء والأجناد والمتشيعون وغيرهم، كذلك يجلس الوزير وحاشيته على مقربة من كرسي الدعوة. ثم يتلو قاضي القضاة قول الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب في يوم غدير خم فإذا فرغ قاضي القضاة نزل عن الكرسي وصلى بالحاضرين ركعتين. ثم ينهض الوزير ويسير إلى الشباك ليقدم فروض الولاء من جديد للخليفة، ثم ينفض الحاضرون بعد تبادل التهاني. ثم يتوجه الوزير لذبح الأضاحي على النحو الذي كان متبعاً في عيد النحر. ثم يقام سماط فخم كسماط أول عيدي الفطر والأضحى وتوزع الأطعمة والكسى وتعمل الدولة على تزويج الأيامى»[١].

ولا ننسى أن نذكر ما قاله القلقشندي في سياق حديثه عن عيد الغدير وطريقة التهنئة في هذا العيد.

«وكان لهم (الشيعة) به اهتمام في الدولة الفاطمية في الديار المصرية والطريقة في التهنئة به على نحو غيره من الأعياد»[٢].

ليت القلقشندي ذكر لنا ما هي هذه الطريقة التي وصفها بأنها مغايرة للأعياد الأخرى. ولا ندري ما إذا كان كلامه صحيحاً، أم أنه أورد هذه العبارة للتشكيك في هذا العيد، ولو بيَّن لنا ما شاهده عند الشيعة لزال الشك والإلتباس.

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٦٥١. والمقريزي: الخطط المقريزية، ص ٢٢٠.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص ٤١٦.

المبحث السابع:

عيد الغدير في العصر الحاضر

سبق وذكرنا ما روى لنا المؤرخون عن عادات وتقاليد الشيعة في عيد الغدير بالعراق وفي مصر. واستكمالاً للبحث لا بد من إيراد نبذة مختصرة عن العادات والتقاليد والرسوم المتبعة عند الشيعة في عصرنا الحاضر.

فعيد الغدير في هذا العصر لا يقل أهمية منه في الأزمنة الغابرة، في العهدين البويهي والفاطمي وفي كل من العراق ومصر. فالاحتفالات التي كانت تقام في الماضي يجري القيام بها في العصر الحاضر فضلاً عن مجالس الفرح والسرور حيث يقف الخطباء والشعراء مرددين فضل علي وجهاده في سبيل الدعوة الإسلامية، وفضل من ساهم في بناء هذا الدين الإنساني الخالد من صحابة الرسول وغيرهم ممن آمنوا بالإسلام وأخلصوا في تطبيق مبادئه المقدسة وتعاليمه السامية[1] كذلك يتكلم الخطباء عن أهمية يوم الغدير والإشادة بحديث الغدير مسنداً ومرسلاً وينظمه الشعراء في مدائحهم.

وبهذه المناسبة يظهر الشيعة الزينة في شوارع وأسواق المدن الإسلامية الشيعية وخاصة في إيران والعراق أسوة بالأعياد الإسلامية الأخرى.

○ عيد الغدير في إيران

ففي إيران يحتفل في الثامن عشر من ذي الحجة في كل عام[2] بعيد الغدير احتفالاً رائعاً وتزين العمارات الحكومية والدوائر الرسمية وشبه

(١) السيد هاشم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية، ص ٨.
(٢) راجع إسلام درايران: ازهجرت تاپايان قرن نهم هجرى - إيليا پاولويچ پطروشفسكي، ترجمة كريم كشاورز، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

الرسمية والمحلات والأسواق التجارية بالأضواء الملونة والأعلام الإيرانية وتقام الاحتفالات والمهرجانات في العاصمة والمحافظات والمدن الإيرانية ويتوافد الإيرانيون لزيارة المراقد المقدسة.

ففي مدينة مشهد (خراسان)، يتوافد الآلاف من الرجال والنساء من المدن والقرى البعيدة والقريبة لزيارة مرقد الإمام الثامن علي بن موسى الرضا ويلقون عند ضريحه خطاباً مأثوراً عن بعض الأئمة وتقام الاحتفالات في صحن الإمام الرضا، ويشترك عدد كبير من المسلمين في هذه الاحتفالات ويلقي الخطباء بهذه المناسبة خطباً يشيدون بهذا العيد السعيد ويذكرون فضائل ومناقب الإمام علي، وتقدم إلى الحاضرين الفاكهة والحلويات.

وفي مدينة شيراز، يزور عدد كبير من المسلمين في هذه المدينة والذين يأتون من المدن والقرى المجاورة مرقد السيد محمد بن موسى المعروف بشاه چراغ وهو أخ الإمام الرضا، ويلقون عند ضريحه زيارات وخطب مأثورة حول عيد الغدير ويشتركون في الاحتفالات والمهرجانات التي تقام هناك.

وفي مدينة قم، يتوافد الآلاف من المسلمين لزيارة مرقد السيدة المعصومة أخت الإمام الرضا، ويحتفل هؤلاء بهذا العيد في جوار قبر السيدة المعصومة وتقام بهذه المناسبة مهرجانات، يتكلم الخطباء عن سجايا وفضائل علي بن أبي طالب ويوم الغدير ويلقي الشعراء قصائد بهذه المناسبة.

ويحتفل أهالي طهران والمدن المجاورة بعيد الغدير وذلك بزيارة مرقد السيد عبد العظيم في ري التي تبعد عدة كيلومترات عن طهران، وتقام الاحتفالات والمهرجانات الدينية هناك.

وتقام مهرجانات أخرى في سائر المحافظات والمدن والأماكن الدينية الأخرى في إيران ويحتفل بهذا العيد ويلقي الخطباء والشعراء أحسن خطبهم وقصائدهم في هذه المناسبة.

○ عيد الغدير في العراق

وفي العراق، يحتفل المسلمون في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في كل عام بعيد الغدير وتقام المهرجانات والاحتفالات في المحافظات والمدن العراقية وتزين الشوارع والأسواق بهذه المناسبة. ويتوافد عشرات الآلاف في هذا اليوم من كل سنة لزيارة مراقد الأئمة في النجف وكربلاء والكاظمين وسامراء. ويتجمع عدد كبير من المسلمين في النجف الأشرف ويتوافد هؤلاء من المحافظات والمدن والقرى العراقية لزيارة مرقد الإمام علي بن أبي طالب ويتجمعون حول ضريحه، فيلقون في زيارته خطاباً مأثوراً عن بعض أئمتهم، يشتمل على الشهادة لأمير المؤمنين بمواقفه الكريمة، وسوابقه العظيمة، وغنائه في تأسيس قواعد الدين، وخدمة سيد النبيين والمرسلين إلى ما له من الخصائص والفضائل، التي منها عهد النبي إليه، ونصه يوم الغدير عليه[1].

واستكمالاً للبحث نورد دعاءً يُقرأ ليلة الغدير نقلناه عن كتب الأدعية والزيارات:

«اللهمّ إنّكَ دعوتنا إلى سبيل طاعتكَ وطاعةِ نبيّكَ ووصيه وعترتهِ دُعاءً له نورٌ وضياءٌ وبهجةٌ واستنارٌ فدعانا نبيّكَ لوصيّهِ يوم غدير خُمٍّ فوفقتنا للإصابةِ وسددتنا للإجابة لدعائهِ فأنبنا إليكَ بالإنابةِ وأسلمنا لنبيكَ قلوبنا ولوصيّهِ نفوسنا ولما دعوتنا إليه عقولنا فتممّ لنا نورَكَ يا هادي المضلّين أخرج النصبَ والبغضَ والمنكرَ والغلوَّ لأمينكَ أمير المؤمنين والأئمة من وُلدِهِ من قلوبنا ونفوسنا وألسنتنا وهمومنا وزِدنا مِنْ موالاتهِ ومحبتهِ ومودّتهِ له والأئمةِ من بعده زياداتٍ لا انقطاع لها وعدّةً لا تناهي لها واجعلنا نعادي لوليّكَ مَنْ ناصبَهُ ونوالي له من أحبّهُ ونأملُ بذلكَ طاعتكَ يا أرحم الراحمين

(١) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات، ص ٢٠٤.

اللهمَّ اجعل عذابكَ وسخطكَ على من ناصبَ وليكَ وجحدَ إمامتهُ وأنكر ولايتهُ وقدمَتهُ أيام فتنتكَ في كل عصرٍ وزمان وأوانٍ إنكَ على كلِّ شيءٍ قدير اللهمَّ بحقِّ محمدٍ رسولكَ وعليٍّ وليّكَ والأئمةِ من بعده حججك ثبت قلبي على دينكَ وموالاة أوليائكَ ومعاداة أعدائكَ مع خير الدنيا والآخرةِ تجمعها لي ولأهلي ولولدي ولإخواني المؤمنين إنكَ على كلِّ شيءٍ قدير يا أرحمَ الراحمين»[١].

(١) الحاج محمد صالح الجوهري: ضياء الصالحين في جميع الأدعية والزيارات، الطبعة ١١، ص ٢٠٠.

الباب الثاني

غدير خم في الأدب

مدخل

تناولت هذا الباب في فصول ثلاثة، ذكرت في الفصل الأول شعر الغدير في عصر صدر الإسلام وعالجت هذا الفصل في أربعة مباحث، **ففي المبحث الأول** جعلتُ الوصف كأحد أغراض شعر الغدير في هذا العصر، **وفي المبحث الثاني**: الفخر، **وفي المبحث الثالث**: المدح كغرض من أغراض شعر الغدير في عصر صدر الإسلام، **وفي المبحث الرابع**: خصائص شعر الغدير الفنية في عصر صدر الإسلام.

وفي الفصل الثاني بحثتُ شعر الغدير في العصر الأموي وذلك في خمسة مباحث، بيّنتُ **في المبحث الأول**: الرثاء في شعر الغدير، **وفي المبحث الثاني**: المدح في شعر الغدير، **وفي المبحث الثالث**: الوصف في شعر الغدير، **وفي المبحث الرابع**: خصائص شعر الغدير في العصر الأموي، **وفي المبحث الخامس**: تطور الشعر في العصر الأموي.

وفي الفصل الثالث، تناولت شعر الغدير في العصر العباسي وذلك في ستة مباحث درستُ **في المبحث الأول**: المدح في شعر الغدير، **وفي المبحث الثاني**: الهجاء في العصر العباسي، **وفي المبحث الثالث**: الرثاء في العصر

العباسي، **وفي المبحث الرابع**: الفخر في شعر الغدير في العصر العباسي، **وفي المبحث الخامس**: الغدير في شعر الرجز، **وفي المبحث السادس**: عيد الغدير في شعر العصر العباسي، **وفي المبحث السابع**: خصائص شعر الغدير في العصر العباسي، وأوردت أخيراً القصائد الغديرية في الملحق رقم ١ وذلك في نهاية هذا الفصل.

الفصل الأول

شعر الغدير في عصر صدر الإسلام

○ تمهيد

رأينا في الفصل السابق أن رسول الله ﷺ بعد منصرفه من حجة الوداع نزل في مكان يدعى غدير خم وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر للهجرة، أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] قام خطيباً بين المسلمين، فأخذ بيد علي فرفعها وقال: «من كنتُ مولاه فعلي مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» وبعد انتهاء رسول الله ﷺ من خطبته نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة.

فقال حسان بن ثابت: «إئذن لي يا رسول الله أن أقول أبياتاً تسمعهن فقال قل على بركة الله فقام حسان وقال في معشر مشيخة قريش اتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية، ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمٍّ واسمع بالنبي مناديا

في هذا الفصل، وفي المبحث الأول، ندرس الأبيات السابقة لحسان ونذكر رأي المؤرخين والأدباء قديماً وحديثاً حول الأبيات السالفة الذكر

خاصة وشعر حسان بن ثابت بصورة عامة ونبين كذلك رأينا في هذه الأبيات.

وفي المبحث الثاني، نقلَتْ لنا كتب التاريخ والأدب أبياتاً لعلي بن أبي طالب يرد فيها على معاوية بن أبي سفيان وأبياتاً أخرى لعلي يذكر فيها مكانته من رسول الله، ويورد واقعة غدير خم، ندرس هذه الأبيات ونورد آراء المؤرخين والأدباء قديماً وحديثاً عن هذه الأبيات ونذكر آراء المستشرقين والمؤرخين قديماً وحديثاً عن شاعرية علي وديوانه وشعره.

وأخيراً نذكر أبياتاً في المبحث الثالث لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وهو أحد صحابة رسول الله في مدح علي في حرب صفين، يذكر فيها واقعة غدير خم ويرى وجوب إمامة علي على جميع المسلمين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنني جعلتُ شعر الغدير في عصر صدر الإسلام في أغراض ثلاثة وهي: الوصف، الفخر والمدح. فأبيات حسان بن ثابت جميعها في وصف واقعة الغدير، وأبيات علي بن أبي طالب كلها في الفخر بقرابته من رسول الله ودفاعه في سبيل الإسلام، وأبيات سعد بن عبادة الأنصاري في مدح علي وذكر يوم الغدير.

أغراض شعر الغدير في عصر صدر الإسلام

المبحث الأول:

الوصف

إنَّ أول أغراض شعر الغدير في هذا العصر، وصف واقعة غدير خم. فحسان بن ثابت شاعر الرسول هو أول من وصف هذه الواقعة وصفاً حيّاً ورسم لها صورة واقعية أظهر براعته في رسم أجزائها وسرد تفاصيلها، وكان هذا الشعر هو أقدم شعر وصلنا من عصر صدر الإسلام عن الغدير، يقول حسان:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخُمٍّ وأسمع بالنبيّ مناديا
يقول فمن مولاكمُ ووليكم ... فقالوا ولم يبدو هناك التعاديا
إلٰهك مولانا وأنت ولينا ... ولا تجدن منّا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليّه ... وكن للذي عادى علياً معاديا[1]

(١) البحراني: غاية المرام في حجة الخصام عن طريق الخاص والعام، ص ٨٧، وراجع أيضاً، الأربلي - كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج١، ص ٣٢٥، وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٠. والخوارزمي: المناقب، ص ٨٠. والمجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١١٢. والطبرسي: الاحتجاج، ج١، ص ١٦١. وابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص ٣٣.

يقول الأميني في هذه الأبيات: «هذا أول ما عرف من الشعر القصصي في رواية هذا النبأ العظيم، وقد ألقاه في ذلك المحتشد الرهيب الحافل بمائة ألف أو يزيدون، وفيهم البلغاء، ومدارة الخطابة، وصاغة القريض، ومشيخة قريش العارفين بلحن القول، ومعارض الكلام، بمسمع من أفصح من نطق بالضاد (النبي الأعظم) وقد أقرّه النبي ﷺ على ما فهمه من مغزى كلامه، وقرظه بقوله: لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»[١].

وردت الأبيات السالفة الذكر في الكتب الشيعية ولم نجدها في كتب أهل السُّنة كما أننا لم نجدها في ديوان حسان بن ثابت.

وقد ذكر الدكتور عبد الحسين طه حميدة تعليقاً على هذه الأبيات بقوله: «ومع هذا كان حسان عثمانياً ولم يبايع علياً رغم هذه الأشعار التي لم نجدها في ديوانه»[٢].

ربما استوحى الدكتور قوله الذي ذكرناه من أقوال القدماء حول أشعار حسان بن ثابت، فقد قال ابن سلام عن شعر حسان: «حسان بن ثابت: وهو كثير الشعر جيّده، وقد حمّل عليه ما لم يحمل على أحد. لما تعاضهت (تشاقت) قريش واستبّت، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تنقى»[٣].

وقال الأصمعي عن شعر حسان: «تُنسب إليه أشياء لا تصح عنه»[٤].

وقال الدكتور شوقي صنيف عن ديوان حسان: «وقد خلّف ديواناً

---

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٣٤. والمفيد: الإرشاد، ص ٨٠. والقمي: الكنى والألقاب، ج٢، ص ٢١٨.

(٢) الدكتور عبد الحسيب طه حميده: أديب الشيعة، ص ١٠٠.

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ص ١٧٩.

(٤) راجع تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف، ص ٧٩ نقلاً عن كتاب الاستيعاب ص ١٣٠، وراجع أيضاً أحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي، ص ٨٦ - ٨٨.

ضخماً رواه ابن حبيب غير أنّ كثيراً من الشعر المصنوع دخله»[١].

إن الأبيات السابقة لم أجدها - كما قلت - في الطبعات المتعددة من ديوان حسان غير أنها وردت في كتب تاريخية معتبرة منها: مناقب الخوارزمي، تذكرة الخواص، مناقب آل أبي طالب، كشف الغمة، الاحتجاج، بحار الأنوار، ومصادر أخرى.

ربما يرجع السبب في عدم وجودها في ديوانه، أن جامعي ديوان حسان لم يتوصّلوا إليها وذلك لعدم مطالعتها في هذه الكتب وهذا ما يحدث غالباً لدواوين الشعراء، إذ إنه من غير الممكن أو إذا قلنا من المستحيل على جامع الديوان جمع كل ما ورد في بطون الكتب وذلك لكثرتها وغزارتها، والفارق التاريخي بين زمن الشاعر والوقت الذي شرع بجمع أشعاره وتدوينها، أو لربما حذفها جامع الديوان كما حدث عند جامعي دواوين شعراء بارزين وذلك لخطورتها وإثباتها حادثة غدير خم.

لقد كان حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ وكان يشعر بمنزلته وأثر شعره بين المسلمين، ولهذا لم يغادر حدثاً إلا وأنشد فيه شعراً يخلده ويبرزه بين الأحداث ويبين أهميته وقيمته[٢].

إنه غير منطقي أن يحضر حسان يوم غدير خم ويرى هذا المشهد بحضور النبي والمسلمين ويمتنع عن قول الشعر، فإذا لم يقل حسان وهو شاعر الرسول أبياتاً في هذه المناسبة وهو بمثابة الناطق الرسمي لرسول الله ﷺ، فمن يا ترى يخلد هذا اليوم وهذا الحدث التاريخي الخطير؟

وطبيعي ألا يقول آخرون شعراً وقد بزّهم حسان بقول الشعر وبخاصة الشعر المختص برسول الله، وقد شهد له الرسول في مناسبات عديدة بقوة الشعر وتأثيره الكبير في نفوس مستمعيه وبخاصة في قلوب خصوم الإسلام

(١) الدكتور شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص ٨٩.
(٢) وليد الأعظمي: شاعر الإسلام، ص ٢٥٦.

بعد أن هجاهم هجاءً مرّاً أسكتهم جميعاً، وقد دعا له النبي مرّات عديدة بقوله: «إن رُوحَ القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله ﷻ وعن رسول الله ﷺ»[١].

وهنا ننقل أبياتاً قالها حسان في علي تبين خلاف ما يقوله البعض من أن حساناً كان عثمانياً ولم يبايع علياً، يقول حسان:

جزى الله خيراً، والجزاءُ بكفّه ... أبا حسن عنّا ومَنْ كأبيّ حَسَنْ
سبقتَ قريشاً بالذيّ أنت أهلُهُ ... فصدرُكَ مشروحٌ وقلبك ممتحنْ
تمنّت رجالٌ من قريشٍ أعزّةً ... مكانك هيهاتَ الهُزالُ من السمنْ
وَأنْتَ منَ الإسلام في كلّ منزلٍ ... . البطين منَ الرَّسَنْ[٢]
وكنتَ المرُجّى من لؤيّ بن غالبٍ ... لما كان منه والذيّ بعدُ لم يكنْ
حفظتَ رسول الله فينا وعهدُهُ ... اليكَ ومن أولى به منكَ مَنْ ومَنْ
ألَسْتَ أخاهُ في الإخا وَوَصيُّهُ ... وأعْلَمَ مِهرٍ بالكتابِ وبالسُّننْ[٣]

وقال أيضاً:

أنزلَ اللهُ ذو الجلالِ علينا ... في عليٍّ وفي الوليد قرانا
ليسَ من كانَ مؤمناً عمرك الله ... كمنْ كانَ فاسقاً خَوّانا
سوفَ يدعى الوليدُ بعد قليلٍ ... وعليٌّ إلى الجزاءِ عيانا
فعليٌّ يجزى هناك جناناً ... ووليد يجزى هناك هوانا[٤] [٥]

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج٤، ص ١٤٧.
(٢) في الغدير، ج٢، ص ٤٣:
(وأنت من الإسلامِ في كل منزلٍ ... بمنزلةِ الطرف البطين من الرسن).
(٣) تاريخ اليعقوبي، المجلد ٢، ص ١٢٧ - دار صادر - دار بيروت.
(٤) ابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص ٢٠٢، وهناك أبيات أخرى ص ٢٦.
(٥) في الغدير، ج٢، ص ٤٥، وما بعدها أبيات لحسان في علي.

وهنا ملاحظة من المستحسن أن نسجلها، وهي أن حسان بن ثابت لم يكن على خلافٍ مع علي في أيام الرسول وفي حياته، وإذا ما دار خلافٌ بينهما، فذلك بعد وفاة رسول الله وأثناء خلافة الراشدين.

والأبيات السابقة هي نموذج من شعر عصر صدر الإسلام، ومن شاعر صحابي هو حسان شاعر الرسول، حضر الواقعة يوم غدير خم، وأثرت فيه فترجم لنا ما شاهده في ذلك اليوم شعراً.

المبحث الثاني:

من أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام - الفخر

للإمام علي بن أبي طالب أبيات يرد فيها على معاوية بن أبي سفيان حين افتخر عليه بأنّ أباه كان سيّداً في الجاهلية، وأصبح ملكاً في عصر بني أمية وأنه صهر الرسول وخال المؤمنين وكاتب الوحي والتنزيل ويذكر فيها واقعة الغدير، ويقول:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمّي[١]
وجعفر الذي يضحي ويمسي ... يطيرُ مع الملائكةِ ابن أميّ[٢]
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي[٣]
وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيكم له سهمٌ كسهمي[٤]
سبقتكم إلى الإسلام طرّاً ... غلاماً ما بلغتُ أوان حلمي[٥]

---

(١) في الفصول المهمة، ص ١٥، والغدير ج٢، ص ٢٥: (صنوي بدل صهري).

(٢) في المرجع نفسه، ص ١٥: (لا يوجد هذا البيت).

(٣) في بحار الأنوار، ج٣٨، ص ٢٣٨. ومعجم الأدباء، ج١٤، ص ٤٧. ومناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ١٩: (مشوب بدل منوط). وفي البداية والنهاية، ج٧، ص ٨. وتذكرة الخواص، ص ١٠٧ (مسوط بدل منوط).

(٤) في تذكرة خواص الأمة، ص ١٠٧ (فمن منكم بدل فايكم)، وفي الفصول المهمة ص ١٥، (لا يوجد هذا البيت).

(٥) في الفصول المهمة، ص ١٥ (طفلاً بدل طرّاً). وفي الفصول المهمة، ص ١٥. والبداية والنهاية، ج٧، ص ٨. وتذكرة خواص الأمة، ص ١٠٧. ومعجم الأدباء، ج١٤، ص ٣٧ (صغيراً بدل غلاماً). وفي الغدير، ج٢، ص ٢٥ (على ما كان من فهمي وعلمي بدل غلاماً ما بلغت أوان حلمي). وفي تذكرة خواص الأمة، ص ١٠٧:

وأوجب في الولاء معاً عليكم ... خليلي يوم دوح (غدير خم)

وفي الفصول المهمة، ص ١٥. والبداية والنهاية، ص ٨. ومعجم الأدباء، ج١٤، ص ٤٧ لا يوجد هذا البيت. وفي الغدير، ج٢، ص ٢٥ (فأوجب بدل أوجب).

وأوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدير خم(١) (٢)

---

(١) في مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ١٩، يأتي البيت التالي قبل هذا البيت:
أنا بطل الذي لن تنكروه ليوم كريهة وليوم سلم
وفي تذكرة خواص الأمة البيت التالي زائد:
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لمن يرد القيامة وهو خصمي
وفي الفصول المهمة ص١٥. والغدير، ج٢، ص ٢٥:
(فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لمن يلقي الإله غداً بظلمي).
وفي ديوان سيدنا علي بن أبي طالب ص ٦٠ (طبعة بولاق وطبعة المطبعة العلمية) هذا البيت زائد:
أنا البطل الذي لم تنكروه ليوم كريهة وليوم سلم
وهناك ثلاثة أبيات أخرى نقلها مؤلف بحار الانوار
وأوصاني النبي على اختيار لأمته رضىً منكم بحكمي
ألا من شاء فليؤمن بهذا وإلا فليمت كمداً بغمّ
أنا البطل الذي لم ينكروه ليوم كريهة وليوم سلم
وفي حاشية الفصول المهمة ص ١٥، جاء ما يلي:
نقل عن جابر بن عبد الله قال سمعت علياً عليه السلام ينشد ورسول الله يسمع:
أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي به ربيتُ وسبطاه هما ولدي
جدي وجد رسول الله منفرد وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
صدقته وجميع الناس في بهم من الضلالة والإشراك والنكد
قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال صدقت يا علي.

(٢) وردت الأبيات السالفة في الكتب التالية: المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٨، ص ٢٣٨. ابن الجوزي: تذكرة خواص الأمة، ص ١٠٧. ابن الصباغ: الفصول المهمة، ص ١٥. ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٨. ديوان سيدنا الإمام علي بن أبي طالب، المطبعة العلمية، ص ٥٨. وفي مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ١٩ جاء هذان البيتان بعد الأبيات السابقة:
وأوصى به لامته لحكمي فهل فيكم له قدم كقدمي
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ لجاحد طاعتي من غير جرمي
وياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٤، ص ٤٧. يقول الدكتور أحمد فريد الرفاعي بك في هامش ص ٤٧ من معجم الأدباء تعليقاً على هذه الأبيات: يُخيَّلُ إليّ أن هذا الكتاب من الكتب الموضوعة، فالأسلوب دليل ذلك، وما كان علي يقول مثل هذا النثر أو هذا الشعر، وللقارىء أن يحكم على قولي.

فقال معاوية: اخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب[١].

هذه الأبيات رواها المؤرخون والأدباء القدامى منهم: ابن كثير في البداية والنهاية، وابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة، وابن الصباغ في الفصول المهمة. ورواها ياقوت الحموي في معجم الأدباء وهي من أمهات الكتب التاريخية والأدبية التي تعتبر من المصادر القديمة والتي يستقى منها عادة الأخبار والأشعار من العصور الإسلامية، والأموية والعباسية.

في هذه المقطوعة.. أشار علي إلى مكانته ومنزلته عند الرسول فهو أخوه وصهره وحمزة وجعفر الطيار عماه، وفاطمة الزهراء زوجته، والحسن والحسين سبطا رسول الله ولداه، وأنه سبق غيره إلى الإسلام وآمن برسول الله ونصره منذ كان صبياً ولم يبلغ الحلم. ويتساءل من له نصيبه بقدر نصيب وسهم كسهمه. ويشير في هذه الأبيات إلى يوم غدير خم يوم أوجب الرسول ولايته على المسلمين.

وفي مقطوعة أخرى لعلي يعدد فيها مناقبه بعد أن رأى عدداً من أصحاب الرسول ومنهم أبو بكر وعمر وطلحة والزبير والفضل وعبد الرحمن بن عوف وأبو ذر والمقداد وسلمان وعبد الله بن مسعود يذكر كلٌّ منهم مناقبه من رسول الله فقال علي:

لقد عَلِمَ الأناس بأن سهمي ... من الإسلام يفضل كل سهمِ
وأحمد النبيّ أخي وصهري ... عليه اللهُ صلى وابن عميّ

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٤، ص ٤٧. وابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص ٨. وجاء في تذكرة خواص الأمة ص ١٠٧ ما يلي: فلما وقف معاوية على الكتاب قال: اخفوه لئلا يسمع أهل الشام وفي بحار الأنوار، ج٣٨، ص ٢٣٨ جاء ما يلي: فلما قرأه معاوية قال: مزّقه يا غلام لا يقرؤه أهل الشام فيميلون نحو ابن أبي طالب. وهذه العبارة لم ترد في الفصول المهمة ص ١٥، وديوانه سيدنا علي بن أبي طالب، ص ٦٠. والغدير ج٢، ص ٢٥.

وإنـــيّ قـــائـــد لـــلـــنـــاس طـــرّاً إلـــى الإســـلام مـــن عـــرب وعـــجـــمِ
وقـــاتـــل كـــل صـــنـــديـــد رئـــيـــس وجـــبـــار مـــن الـــكـــفـــار ضـــخـــمِ
وفـــي الـــقـــرآن ألـــزمـــهـــم ولائـــي وأوجـــب طـــاعـــتـــي فـــرضـــاً بـــعـــزمِ
كـــمـــا هـــارون مـــن مـــوســـى أخـــوه كـــذاك أنـــا أخـــوه وذاك اســـمـــي
لـــذاك أقـــامـــنـــي لـــهُـــمُ إمـــامـــاً وأخـــبـــرهـــم بـــه بـــغـــديـــر خُـــمّ[1]
فـــمـــن مـــنـــكـــم يـــعـــادلـــنـــي بـــســـهـــمـــي واســـلامـــي وســـابـــقـــتـــي ورحـــمـــي
فـــويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ لـــمـــن يـــلـــقـــى الإلـــه غـــداً بـــظـــلـــمـــي
وويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ لـــجـــاحِـــد طـــاعـــتـــي ومـــريـــد هـــضـــمـــي
وويـــلٌ لـــلـــذي يـــشـــقـــى ســـفـــاهـــاً يـــريـــدُ عـــداوتـــي مـــن غـــيـــر جـــرمـــي[2]

في الأبيات السابقة أشار علي إلى مناقبه وفضائله، فذكر بأن الناس يعلمون ما له من نصيب وافر في العمل في سبيل الإسلام وأن نصيبه أوفر من نصيب الآخرين ويفخر علي بقرابته من رسول الله، فالنبي أخوه وصهره وابن عمه. وإنه قائد للناس عربهم وعجمهم وقاتل الأبطال والرؤساء والجبارة من الكفار، فأوجب الله ولايته على جميع المسلمين في القرآن وألزمهم إطاعة أمره، إذ قال في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. ومكانته من الرسول كمكانة هارون من موسى وهو يشير إلى قول الرسول ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». ولكل هذه المناقب والفضائل اختاره رسول الله إماماً للمسلمين وأبلغهم

(١) في ديوان سيدنا الإمام علي بن أبي طالب طبعتي بولاق والمطبعة العلمية بمصر (بغفير جم بدل بغدير خم).

(٢) ديوان الإمام علي طبعة المطبعة العلمية، ص ٥٧، وديوان الإمام علي ط بولاق، ص ٦٠. والقندوزي ينابيع المودة، ج٨، ص ٩.

ذلك يوم غدير خم ويتساءل الإمام علي مَن مِن هؤلاء الحاضرين يعادله نصيبه وسهمه في السبق إلى الإسلام وحسن بلائه في الدين وقرابته وصلة رحمه. ويحذر علي كل من يظلمه ويعصي أمر رسول الله ويهضم حقه ويعاديه بأنه سيلقى الله يوم القيامة وينال العقاب الشديد.

وأورد أبو الفداء الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية أبياتاً مشابهة للأبيات السابقة قالها علي رسول الله يستمع إليه:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ... معهُ رُبيتُ وسبطاه هما ولدي
جدّي وجدُّ رسول الله منفردٌ ... وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
صدقتهُ وجميع الناس في بهمٍ ... من الضلالة والإشراك والنكدِ
فالحمد لله شكراً لا شريك لهُ ... البرُّ بالعبد والباقي بلا أمد[1]

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «صدقت يا علي».

نرى أن الإشارة إلى أخوة الإمام علي للرسول وقرابته منه ونصرته له وسبقه للإسلام تتكرر في أبيات علي بن أبي طالب.

يقول ابن كثير تعليقاً على هذه الأبيات: «وهنا بهذا الإسناد منكرٌ والشعر فيه ركاكة، وبكر هذا لا يقبل منه تفرده بهذا السند والمتن والله أعلم»[2].

لم يكن ابن كثير وحده الذي انتقد الشعر المروي عن علي بن أبي طالب، بل إنّ ابن قتيبة رأى ديواناً منحولاً له. وقال أبو عثمان المازني: لم يصح أن تكلّم عليّ بشيء من الشعر غير هذين البيتين:

تلكُم قريشٌ تمناني لتقتلني ... فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٩.
(٢) نفس المصدر، ج٨، ص ٩.

فإن هلكتُ فرهنٌ ذمتي لهمُ بذاتِ ودقين لا يعفو لها أثرُ[١]

ونقل الشيخ حسن العطار في بعض كتاباته من أنه لم يصح عن الإمام علي عليه السلام إلا بيت واحد وهو:

سبقتكم إلى الإسلام طُرّاً صغيراً ما بلغتُ أوان حُلمي[٢]

هذا ما قاله القدماء عن الشعر المنسوب لعلي بن أبي طالب، ولكن لنر ماذا قال المستشرقون عن هذا الشعر:

يقول رينولد نكلسن: كان (عليٌ) محارباً شجاعاً، ومستشاراً حكيماً، وصديقاً صدوقاً وخصماً كريماً، وامتاز بالشعر والبلاغة، وأشعاره وأقواله مشهورة في الشرق الإسلامي ولو أنّ قليلاً منها يصح نسبته إليه[٣].

ويقول كارل نالينو: ومن الكتب الكثيرة التداول في أيامنا ديوان محتوٍ على قصائد ومقطعات دينية منسوب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. لكنه كتاب مختلق وهو مما صنعه أهل الشيعة لأغراض الخاصة[٤].

ويقول كارل بروكلمان: وأحدث وضعاً مما سبق ما نسب إلى علي بن أبي طالب من الأشعار والحكم ولا شك أن عليّاً كان على سليقة من الشعر. ولكن من المشكوك فيه كثيراً اشتمال الديوان المنسوب إليه على أشعار صحيحة. فقد وضح اختراع الشيعة له وضوحاً بيناً حتى أدركه النقاد من أهل السنة[٥].

من السهل جدّاً أن يتهم هؤلاء المستشرقون الشيعة باختراع ديوان علي ابن أبي طالب، لكن هل يمكنهم الاستدلال على قولهم هذا بالشواهد

---

(١) علي بن أبي طالب شعرُه وحكمهُ: أحمد تيمور باشا، ص ١٦.
(٢) راجع نفس المرجع، ص ١٦.
(٣) تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ١٣٠.
(٤) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، ص ١١٦.
(٥) تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ١٧٥.

والأدلّة والبراهين؟ هذا هو السبيل الذي أتبعه المستشرقون في معالجة أي موضوع من الموضوعات الأدبية أو التاريخية التي تتصل مباشرة أو غير مباشرة إلى الشيعة، ألم يرجع المُستشرقون أمثال ولهوسن ودوزي وفان فلوتن عقيدة الشيعة إلى اليهودية والفارسية والمجوسية والمانوية والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل الإسلام؟[١].

لندع المستشرقين ونرَ ماذا يقول المحققون والأساتذة المعاصرون عن شعر علي بن أبي طالب. يقول عمر فروخ: «للإمام علي ديوان متداول فيه نحو ألف وأربعمائة بيت أكثرها لا ينطق عن بلاغة عرف بها علي بن أبي طالب ووجهُ الصواب أن يقال إن علياً كان مقتدراً على قول الشعر، ولكن الذي وصل إلينا من الشعر المنسوب إليه منحول أكثره[٢].

ويقول الزركلي عن ديوان الإمام علي: «أما ما يرويه أصحاب الأقاصيص من شعره وما جمعوه وسمّوه (ديوان علي بن أبي طالب) فمعظمه أو كله مدسوس عليه»[٣].

لكن لنلقِ نظرة على آراء القدماء الآخرين لنرَ ماذا يقولون عن شعر علي وشاعريته ومقايسة شعره بأشعار الخلفاء الراشدين الثلاثة.

يقول ابن رشيق في العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: «فهؤلاء الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم: ما منهم إلا من قال الشعر»[٤].

وقال عن أشعار علي: وكان علي بن أبي طالب عليه السلام مجوّداً، ونقل له أشعاراً قالها يوم صفين[٥].

---

(١) راجع الدكتور عبد الحسيب طه حميدة: أدب الشيعة، ص ٨٨.
(٢) تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ٣٠٩، وراجع أيضاً الدكتور النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ص ٣٨٨.
(٣) الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ١٠٧.
(٤) ابن رشيق: العمدة، ص ١٢٠.
(٥) ابن رشيق: العمدة، ص ١٢٠.

وقال الشعبي: كان أبو بكر شاعراً وكان عمر شاعراً وكان عثمان شاعراً وكان علي أشعر الثلاثة.

وعن سعيد بن المسيب: كان أبو بكر وعمر وعلي يجيدون الشعر وعلي أشعر الثلاثة.

وعن الجاحظ في كتابي البيان والتبيين، وفضائل بني هاشم، والبلاذري في أنساب الأشراف: إنّ علياً أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم وأكتبهم[١].

وقال المرزباني في معجم الشعراء: يروى له شعر كثير[٢].

ووردت في كتب الأدب والتاريخ أشعارا لعلي بن أبي طالب ننقلها هنا لنردّ على الذين ينفون الشعر عن علي أو يدّعون بأن هذا الشعر منحول أو مدسوس عليه أو من اختراع الشيعة.

جاء في معجم الشعراء:

«أمير المؤمنين أبو الحسن (علي) بن أبي طالب عليه السلام، يروى له شعر كثير، منه قوله في يوم خيبر لما خرج مرحب يقول:

قد علمتْ خيبرُ أني مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمّي حيدره كليث غاباتٍ كريه المنظرة

وله في رواية سعيد بن المسيّب:

أفاطم هاكِ السيف غير ذميمٍ فلستُ برعديدٍ ولا بلئيمِ
لعمري لقد جاهدت في نصر أحمدٍ ومرضاة ربٍّ بالعباد عليمِ

(١) الأمين: أعيان الشيعة، ج٣، ص ٣٠١، وراجع أيضاً أحمد تيموريان: علي بن أبي طالب شعره وحكمه، ص ١٦.

(٢) المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٣٠.

أريد ثواب الله لا شيء غيره ورضوانه في جنة ونعيمِ

وله:

يا شاهد الله عليّ فاشهدِ آمنت بالخالقِ ربِّ أحمدِ
يا ربّ من ضلَّ فإني مهتدي يا ربّ فاجعل في الجنان مقعدي

وروى له يونس النحوي:

تلكم قريشٌ تمناني لتقتلني فلا وربِّكَ ما برّوا ولا ظفروا
فإن هلكتُ فرهنٌ ذمتي لهم بذات وقبينِ لا يعفو لها أثرُ[1]

وجاء في العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:

ومن شعر علي بن أبي طالب عليه السلام - وكان مجوداً - ما قاله يوم صفين يذكر همدان ونصرهم إياه:

ولما رأيتُ الخيلَ تُرْجَمُ بالقنا نواصيُّها حمرُ النحور دَوامي
وأعرضَ نقعٌ في السماء كأنّهُ عجاجةُ دَجْنٍ ملبس بقتامِ
ونادى ابن هند في الكلاع وحمير وكندة في لخمٍ وحيّ جذامِ
تيممتُ همدانَ الذين همُ همُ - إذا نابَ دهرٌ - جُنتي وسهامي
فجاوبني من خيل همدان عصبة فوارسُ من همدان غير لئامِ
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها وكانوا لدى الهيجا كشرب مُدامِ
فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ لقلتُ لهمدانَ: ادخلوا بسلامِ

وهو القائل بصفين:

لمن راية حمراءُ[2] يخفقُ ظلّها إذا قلتُ قدّمها حَصَينُ تقدّما

---

(١) المرزباني: معجم الشعراء، ص ١٣٠.

(٢) في نسخة «سوداء» راجع العمدة، ص ٢١٠.

فيوردها في الصفِ حتى يرد بها حياضَ المناديا تقطرُ الموت والدما[١]

وجاء في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:

روي أن مرحباً اليهودي خرج يوم خيبر وهو يخطر وعليه مغفر يماني وحجر قد ثقبه مثل البيضة في رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبرُ أني مرحبُ
شاكي السلاح بطلٌ مجربُ
إذا الليوثُ أقبلت تلهبُ

فبرز علي عليه السلام وعليه جبّة حمراء قد أخرج خملها وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدره ضرغام آجام وليث قسورهْ
عبل الذراعين شديد القصره كليث غابات كريهُ المنظرهْ
أضرب بالسيف رقاب الكفره أكيلهم بالسيف كيل السندرهْ

وروي أيضاً:

أوفيهم بالصاع كيل السندره

وزاد الحسين الميبذي في روايته:

أضربكم ضرباً يبين الفقره
وأترك القرن بقاع جزره
أشفي صدري من رؤوس الكفره
أقتل منهم سبعة أو عشره
فكلّهم أهل فسوق كفره[٢]

---

(١) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص ٢١٠.

(٢) البغدادي: خزانة الأدب، المجلد ٢، ص ٥٢٣. وراجع أيضاً الخوارزمي: المناقب، ص٦. ونهج البلاغة: شرح ابن أبي الحديد، ج١، ص ١٢، ط (دار إحياء الكتب العربية) وأبي الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص ٢١٠.

وفي عيون الأخبار: وقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

أخوكَ الذي إن أحوجتْكَ مُلمّةٌ من الدهرِ لم يَبرحْ لها الدهر واجما
وليس أخوك الحقُّ مَنْ إن تشعبّتْ عليك أمورٌ ظلَّ يلحاك لائما[1]

وجاء في ثمار القلوب: ويروى لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

ماذا يريني الليلُ من أهواله
أنا ابن عمِّ الليل وابنُ خاله
إذا دجا دخلتُ في سربالهِ[2]

هذه الأشعار التي وردت في بعض كتب الأدب والتاريخ هي جزء يسير من الأشعار التي نقلت عن علي بن أبي طالب والمبعثرة في كتب الأدب والتاريخ، لم نجد من يشكك بهذا أو يدعي بأنّها منحولة أو مخترعة من قبل الشيعة مع أن مؤلفيها أدباء ومؤرخون قدماء وليسوا من شيعة علي.

وهناك عبارة ننقلها عن أحمد تيمور باشا ويبدو أنها أقرب إلى الحقيقة والواقع: «ولم يكن عليه السلام في شعره بأقلّ من نثره. ولكن لما كانت الدواعي الشعرية قليلة عند مثله كان منظومه من حيث الكثرة دون منثوره»[3].

○ ديوان الإمام عليّ

للإمام علي ديوان مطبوع وموسوم «بديوان سيدنا علي بن أبي طالب» طبعة بولاق. ويرجع طبع هذا الديوان إلى الأول من رمضان سنة ١٣٥١ هجرية. ويشتمل على أشعار للإمام علي في ٧٤ صفحة بالإضافة إلى دعاء

---

(١) ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، المجلد٣، ص ٥.
(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص ٢١٠.
(٣) أحمد تيمور باشا: علي بن أبي طالب، شعره وحكمه، ص ١٦.

لعلي في صفحتين. ويحتوي الديوان على زجل للإمام علي أيضاً في ١٢ صفحة. أي أن مجموع صفحات الديوان ٨٨ صفحة. ولم يذكر في الديوان اسم جامعه أو مؤلفه أو مصنفه.

وللإمام علي ديوان بنفس الاسم مطبوع في المطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٢ هجرية ويحتوي على أشعار لعلي في ٧٢ صفحة. ولم يذكر في الديوان اسم لجامعه أو مؤلفه أو مصنفه كذلك.

وقد أورد مؤلف كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» بالإضافة إلى هاتين الطبعتين للديوان طبعات أخرى نوردها هنا:

ديوان أمير المؤمنين عليه السلام على الروايات الصحيحة. للسيد محسن الأمين مؤلف أعيان الشيعة، دونها سنة (١٣٦٠) وطبع بمطبعة الإتقان في دمشق سنة ١٣٦٦ هجرية.

ديوان أمير المؤمنين طبع في إيران.

ديوان أمير المؤمنين الموسوم (بأنوار العقول).

ديوان أمير المؤمنين الموسوم (بالحديقة الأنيقة).

ديوان أمير المؤمنين الموسوم (بسلوة الشيعة وتاج الأشعار) لأبي الحسن الفنجگردي.

ديوان أمير المؤمنين (لابن الشجري).

ديوان أمير المؤمنين (الخوانساري)[١].

ويذكر عمر فروخ بالإضافة إلى الدواوين السالفة ديوان للإمام علي:

ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، بيروت (الأهلية) ١٣٢٧[٢].

---

(١) آقا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ص ١٠١.

(٢) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي الجزء الأول، ص ٣٠٩.

ويقول المستشرق كارل بروكلمان عن مصنف ديوان الإمام علي ما يلي:

«وجمع هدايت حسين ما ذكره علماء الشيعة في حقوق مصنف الديوان المنسوب إلى علي، والمسمى: أنوار العقول لوصي الرسول ﷺ، ويذكر فهرس الفاتيكان الجزء الثالث ص ٣٦٥: أن مؤلفه هو سعدي بن تاجي، ولكن هدايت حسين يرجح أنه من تصنيف قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (المتوفى ٥٧٣/ ١١٧٤م)، الذي استند إلى كتاب: سلوة الشيعة أو تاج الأشعار، لعلي بن أحمد الفنجگردي. وقيل إن جامع ديوان أنوار العقول هو قطب الدين أبو الحسن محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي النيسابوري الحيدري سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٠م»[١].

وخير ما نختم هذا البحث خطبة الغدير للإمام علي المسماة «مصباح المتهجد في خطبة الغدير».

إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن هذا يوم عظيم الشأن، فيه وقع الفرج ورفع الدرج وصحّت الحجج، وهو يوم الإيضاح والإفصاح عن المقام الصراح، ويوم كمال الدين ويوم العهد المعهود، ويوم الشاهد والمشهود، ويوم تبيان العقود عن النفاق والجحود. ويوم البيان عن حقائق الإيمان، ويوم دحر الشيطان، ويوم البرهان، هذا يوم الفصل الذي كنتم توعدون. هذا يوم الملأ الأعلى الذي أنتم عنه معرضون، هذا يوم الإرشاد ويوم محنة العباد، ويوم الدليل على الذّواد، هذا يوم إبداء أحقاد الصدور[٢]

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ١٧٥، وانظر أيضاً الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: الدكتور النعمان القاضي، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٢) إخفاء الصدور بدل أحقاد الصدور. راجع ابن شهرآشوب: المناقب، ج٢، ص ٢٤٣.

ومضمرات الأمور، هذا يوم النصوص على أهل الخصوص، هذا يوم شيث هذا يوم إدريس هذا يوم يوشع هذا يوم شمعون[١].

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٦٤. وراجع أيضاً ابن شهرآشوب: المناقب، ج٢، ص ٢٤٣.

المبحث الثالث:

من أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام - المدح

من الأغراض الأخرى لشعر هذا العصر، مدح الإمام علي والإشادة بفضائله وقرابته لرسول الله وذكر قول الرسول يوم غدير خم: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، واعتباره نصّاً من النبي على خلافة علي وإمامته. يقول قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في مدح علي في حرب صفين:

قلتُ لمّا بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيلُ
حسبنا ربنا الذي فتح البصرة بالأمسِ والحديثُ طويلُ

ويقول فيها:

وعليٌّ إمامنا وإمامٌ لسوانا أتى به التنزيلُ
يوم قال النبي: من كنت مولاه فهذا مولاه خطبٌ جليلُ
إنما قالهُ النبي على الأمةِ حتمٌ ما فيه قالٌ وقيلُ[1]

ذكر قيس في هذه الأبيات أن علياً إمامٌ للمسلمين وغير المسلمين نص عليه القرآن بدليل قول رسول الله ﷺ يوم غدير خم: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**»، ويؤكد قيس بأنّ قول النبي حتمي ويجب على المسلمين اتباعه ولا مجال للمراوغة.

كان قيس من صحابة رسول الله وكان أيضاً من شيعة علي وشهد يوم غدير خم وحارب مع علي في معركة صفين وذكر هذه الصفات دفاعاً عن إمامه مذكراً القوم بإمامة علي في يوم الغدير ووجوبها على جميع المسلمين.

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج، ج١، ص ١٦١. وراجع أيضاً: الأميني: الغدير، ج٢، ص ٦٧ والمجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٥٠، وابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص ٣٣، وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٠. وهناك مصادر أخرى أوردها الأميني في الغدير، ج٢، ص ٦٧.

المبحث الرابع:

خصائص شعر العصر الإسلامي الفنية

يقتصر شعر الغدير في هذا العصر على وصفِ حادثة الغدير وصفاً حيّاً كما فعل حسان بن ثابت، وذكْرِ واقعة الغدير في معرض الفخر كما جاء في شعر علي بن أبي طالب، والاستدلال على إمامته بالإشارة إلى قول رسول الله يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» كما ورد في شعر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري.

والمقطوعات التي وصلتنا من عصر صدر الإسلام اقتصرت على ثلاثة من الصحابة وهم علي بن أبي طالب، وحسان بن ثابت، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. إن هؤلاء جميعهم حضروا ذلك اليوم وشاهدوا بأمّ أعينهم رسول الله وهو واقف يخطب فيهم وذكر هؤلاء الواقعة في مناسبات مختلفة. فحسان ذكر تلك الواقعة في نفس اليوم أمام الرسول ﷺ، وعلي أورد ذكر هذه الواقعة في معرض رده على معاوية وكذلك عندما رأى صحابة الرسول يذكرون مناقبهم من رسول الله، وذكر قيس تلك الأبيات بين يدي علي بن أبي طالب يوم صفين في معرض مدحه لعلي وتنديده بمعاوية وجيشه.

إذن لم يكن هدف هؤلاء من ذكر هذه الأبيات هدفاً سياسياً كما فعل أكثر شعراء العصرين التاليين، الأموي والعباسي والعصور التي تلتها. ولم تكن الفكرة الشيعية قد تطورت وأخذت وجهة سياسية كما هي الحال في العصور التالية.

لقد حفلَ شعر الغدير في عصر صدر الإسلام بمصطلحات مثل الإمام، الولي، المولى والولاية. كما في قول حسان:

فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدقٍ موالياً

وقول علي:

وأوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدير خمّ

وقول قيس:

وعليٌّ إمامنا وإمامٌ لسوانا أتى به التنزيل

كذلك نجد في بعض هذه المقطوعات الإشارة إلى قول رسول الله «من كنت مولاه فهذا علي مولاه.. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». فقال حسان:

فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدقٍ مواليا
هناك دعا اللهم والِ وليّه وكن للذي عادى عليّاً معاديا

وقال قيس:

يوم قال النبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطبٌ جليلُ

ولا ننسى أن نقول، بأن المقطوعات الشعرية تتميز بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني والإبتعاد عن التعقيد وتجنب الألفاظ الغريبة.

الفصل الثاني

شعر الغدير في العصر الأموي

○ تمهيد

إذا أردنا أن ندرس شعر الغدير في العصر الأموي والعوامل المؤثرة في تطور هذا الشعر، علينا أن ندرس الظروف والأحوال السياسية لهذا العصر، ونرى ما هو أثر هذه الظروف والأوضاع السياسية على الشعر الشيعي عامة وشعر الغدير بصورة خاصة.

فإذا ألقينا نظرة على الأوضاع السياسية لهذا العصر لرأينا بأن الحزب الأموي قد سيطر على البلاد الإسلامية وذلك بعد قتل علي بن أبي طالب. إذ بدأ هو وولاته بسبّ علي على المنابر، وقد أثار عملهم هذا حنق الشيعة فثار لذلك حُجر بن عديّ بالكوفة فأخذه زياد ابن أبيه وأرسله إلى معاوية فقتله. وفي عهد يزيد بن معاوية، كان خروج الحسين بن علي وكانت تلك الفاجعة الأليمة في كربلاء. وقد بعثت واقعة كربلاء كثيراً من الأسى وأثارت اللوعة والحزن في نفوس الشيعة. وفي أيام عبد الملك بن مروان كانت حركة التوّابين للأخذ بثأر الحسين يتزعمها سليمان بن صُرد ولكنهم هزموا في (عين الوردة) وقتل زعيمهم، وكان المختار الثقفي قد قام على فلول التوابين وجماعة من الموالي المتشيعين واستطاع أن يهزم عامل ابن الزبير على الكوفة ويقتل ابن زياد، ولكن مصعب بن الزبير قتله سنة ستّ وستين هجرية. وفي زمن هشام بن عبد الملك خرج زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي يريد الخلافة فقتل وصلب وأحرقت جثته، وقد

لقي ابنه يحيى ما لقي أبوه. وقد لقي سليمان بن عبد الملك أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيّة، فراعه ذكاؤه ودهاؤه فبعث إليه من سمه في طريقه[١].

وكان هذا موقف الأمويين نحو شيعة علي، وإذا تصفحنا التاريخ لوجدنا أن الدولة الأموية منذ أن حكم معاوية حتى آخر خلفائها لم تخمد ثورة للشيعة هنا، إلا واندلعت ثورة أخرى هناك، ولم يكن الشيعة يهدأون ولا يتوقفون عن محاربة الأمويين، وكان من شأن الدولة الأموية أنها حكمت الناس بالسيف المسلول، والمال المبذول، فكان سيفها مصلتاً على أعدائها، ومالها مكيلاً لأنصارها، واستمرت في حكمها زهاء قرن لم تغمد السيف يوماً، فكان من أعدائها آل علي الذين يرون أنفسهم ويراهم الناس أحقّ بهذا الأمر. وقد جهروا بالعداوة فلم ينفعهم الجهر، ومزّقتهم سيوف الدولة الأموية شرّ ممزق»[٢].

بإزاء حركات الشيعة وثوراتهم المتعددة في هذا العصر والدماء التي سفكت على أيدي الأمويين والمصائب التي حلّت بأهل البيت، نرى ظهور أدب شيعي يصور كل ما حل بأهل البيت من قتل وتعذيب وتنكيل.

ونلاحظ بأن شعراء الشيعة كانوا يحرصون من خلال أشعارهم إثارة النقمة والسخط على بني أمية ويصوّرون الجوانب الأكثر إيلاماً من المأساة التي حلّت بهم[٣].

وكان الكميت بن زيد الأسدي، شاعراً سبّاقاً في تصوير كل جوانب

---

(١) انظر الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة - دكتور محمد جمال الدين سرور، ص ١٣١، وما بعدها.

(٢) محمود مصطفى: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، ج٢، ص ٤. وراجع أيضاً: الأدب العربي في آثار الدارسين - تأليف مجموعة من الدكاترة، ص ٧٨.

(٣) راجع عصر المأمون: الدكتور أحمد فريد رفاعي، المجلد ١، ص ٥٩.

المأساة التي عاشها الشيعة، فقد عاش للشيعة، وفي الشيعة، وقضى دهره يهتف بحبّ آل البيت، ويتغنى بمدائحهم ويشرح قضيتهم، ويتعرض للأذى في سبيلهم.

وإذا انتقلنا إلى الجانب الشيعي من شعر الكميت وجدنا ناحية مشرقة من القول، وفناً قد استبد بطبع الشاعر وهواه، فنفث على لسانه السحر الساحر، والجمال الباهر، والنمط العالي الرفيع.

ولقد كان تشيّع الكميت أقوى ما عرف من عواطف الشعراء لذلك العهد، فهو في حبّه وصدق هتافه، يمثل الروحانية أصدق تمثيل، فقد فنى في عقيدته فناء أمحت الدنيا في سبيله أو كادت، وتغنى بحبّ رسول الله ﷺ، في أيام كان هذا النوع من الأدب يعرض الشاعر لغضب بني أمية، أصحاب الحول والطول، وما كان بنو أمية بكافرين، ولكن السياسة - كما قلنا - ترى في ذلك تزكية للهاشميين ولفتاً للذهن إلى حق هؤلاء المغتصب.

ولقد عرف الكميت أن هذا النوع من الأدب أقوى سلاح وأمضّه على الدولة القائمة، وهو لا يملك في الدفاع عن قضيته إلا سلاح القول، فاصطبر على الأذى في تشيعه، وكانت هاشمياته أصدق ما تكون تمثيلاً لحياته وعواطفه، وأتم ما تكون تبياناً لقضيته وآرائه.

فهو يحب هؤلاء عن يقين وصدق، وتفكر عميق، ويحتج له احتجاجاً قوياً، ويحبهم لأنهم آل رسول الله ﷺ وعترته، والبقية الباقية من هذا القبس الإلهي، وللرسول ﷺ على الناس فضلٌ أي فضل.

فحب هؤلاء المصطفين الأخيار حب للرسول ﷺ ومرضاة لله تعالى، فالدين حبهم، والقربة توليهم، والسعيد من قابل الله وقد ربط أسبابه بأسبابهم.

فهو يشتغل بحبّهم عن ملاذ الدنيا وسعادتها، ويتلهى به عن الطعام

والشراب كما يشتغل بحبّهم عمّا شغل الشعراء قبله - ويشغلهم - من الصبوة واللهو، وبكاء الديار والدمن[١].

○ موضوعاته:

ذكرنا في الفصل السابق أغراض شعر الغدير في العصر الإسلامي وقد اقتصرت على الوصف كالفخر والمدح. أما في هذا الفصل فسنبحث عن الغدير في العصر الأموي ومدى تطوره واختلافه عن العصر السابق.

(١) انظر أدب الشيعة: للدكتور عبد الحسيب طه حميدة، ص ٢٥٦ - ٢٦١.

المبحث الأول:

الرثاء

تناول شعراء الشيعة في هذا العصر واقعة غدير خم في شعرهم واحتجوا بها على خلافة عليّ وإمامته بعد رسول الله. فالكميت الذي يعدّ أعظم شعراء الشيعة في هذا العصر والذي يعتبره الجاحظ أول من فتح للشيعة باب الحجاج بالشعر قد ذكر واقعة الغدير في معرض رثائه لأهل البيت.

والكميت الذي ولد سنة ستين من الهجرة - أيام قتل الحسين - قد شاهد الأحزان العَلَوية، وعاش في الكوفة، مهد الشيعة وبيئتهم، ومسرح التمثيل بهؤلاء الأطهار من سلالة الرسول ﷺ وشيعتهم، فرأى بعينه، وسمع بأذنه مظاهر العدوان الظاهر، والتجنّي الممقوت، وهذا - وأقل منه - يحمل النفوس الأبيّة على استشعار الرحمة لهؤلاء، والعطف على قضيتهم[1].

يقول الكميت في قصيدته العينية:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا ... وهَمٌ يمتري منها الدموعا
دخيلاً في الفؤاد يهيجُ سُقماً ... وحُزناً كان من جذلٍ منوعا
لفقدان الخضارم من قريشٍ ... وخيرَ الشافعين معاً شفيعا
لدى الرحمن يصدع بالمثاني ... وكان له أبو حسنٍ قريعا
حطوطاً في مسرّته، ومولى ... إلى مرضاة خالقه سريعا[2]

والكميت يذكر واقعة غدير خم حيث إن رسول الله ﷺ نصّ على

(١) الدكتور عبد الحسين طه حميدة: أدب الشيعة، ص ٢٥٨.
(٢) الروضة المختارة: شرح القصائد الهاشميات للكميت بن زيد الأسدي، ص ٧٨ - ٨٠.

خلافة علي، وأمر الصحابة أن يبايعوه، وعقد له البيعة بقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد مَنْ عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»، ويقول:

وأصفاه النبيُّ على اختيارٍ بما أعيا الرَّفوضَ له المذيعا
ويومَ الدوح - دوح غدير خم - أبانَ له الولاية لو أُطيعا[١]

فالكميت هنا يقرر مسألة وصاية رسول الله ﷺ لابن عمه علي يوم الغدير[٢] والكميت لا يكتفي بذكر وصية رسول الله لعلي يوم غدير خم، وإنما يحمل على الصحابة لأنّهم خالفوا أمر الرسول، فجاروا، واستبدوا وغصبوا الحق من صاحبه:

ولكنّ الرجالَ تبايعوها فلمْ أرَ مثلها خطراً مبيعا
فلم أبلغ بها لعناً ولكنْ أساءَ بذاك أوّلهمْ صنيعا
فصارَ بذاك أقربُهم لعدلٍ إلى جورٍ وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فظلّوا وأقومهم لدى الحدثانِ ريعا
تناسوا حقّه وبغوا عليهِ بلا ترةٍ وكان لهم قريعا[٣]

يرى الكميت بأن الصحابة قد اغتصبوا الخلافة من عليّ وخالفوا وصية الرسول. فالخليفة الأول قد أساء صنعاً باغتصابه الخلافة. ويعتبر الكميت عمل الصحابة ظلماً وجوراً، إذ أضاعوا أمر الرسول وتناسوا حق علي في الخلافة وأخذوا ما ليس لهم به حق، فكان نتيجة عملهم أن ضلّوا الطريق المستقيم وسلكوا سبيل الضلال.

---

(١) الدكتور عبد الحسين طه حميدة: أدب الشيعة، ص ٧٨ - ٨٠.
(٢) الدكتور شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص ٣١٤.
(٣) الروضة المختارة: ص ٧٨ - ٨٠. وراجع أيضاً دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام - بأقلام رجال التقريب بين المذاهب ص: ١٢٠.

والكميت يحمل على الأمويين حملة شعواء ويهاجمهم بعنف، عندما يرى الأحرار مشردون طرداء والمتملقون يرتعون في النعيم: «ودائماً يجأر لربّه أن يكشف غمّتهم عن صدر الأمة، فقد بغوا فيها وطغوا، وساموها كل ما استطاعوا من ألوان الخسف والعذاب، وإنه ليسأل الله أن يُحِلَّ الأسرة الهاشمية محلهم»[١] ويقول:

فقل لبني أمية حيثُ حلّوا ... وإنْ خفتُ المهنّد والقطيعا
ألا أفٌّ لدهر كنتُ فيهِ ... هدانا طائعاً لكمُ مطيعا
أجاع الله من أشبعتموهُ ... وأشبع من بجوركمُ أجيعا
ويلعن فذَّ أمتّه جهاراً ... إذا ساس البريّة والخليعا
بمرضيٍّ السياسة هاشميٍّ ... يكونُ حياً لأمّتهِ ربيعا
وليثاً في المشاهدِ غير نكسٍ ... لتقويم البرّيةِ مستطيعا
يُقيمُ أمورها ويذبُّ عنها ... ويتركُ جدبها أبداً مريعا[٢]

فالكميت يحمل على بني أميّة حملة شعواء ويجاهر بلعنهم دون تقيّة ودون خوف لسلطانهم أو جبروتهم، ويأمل الرضا من آل هاشم لتتم به نعمة الله على المسلمين. فهو يتمنى أن يكون الأمر لإمام هاشميٍّ يغيّر ظلم الأمويين جميعاً سواء في ذلك معاوية أو الوليد أو غيرهما، وهو يدعو الأمّة إلى أن تستيقظ من غفوتها فتنفض عنها هذا الظلم المنيخ وهذه السوءات التي ما كانت لتظهر لو كانوا يقظين، فقد عطلت الأحكام حتى كأنّ المسلمين على غير دين الإسلام، وقد أعادها بنو أميّة جاهلية عمياء، والمسلمون يكتفون بالتشدّق بالدين ويشتركون لبني أمية أن يعبثوا بالدين كما يشتهون لأنهم ركنوا إلى الدين واستوحشوا فراقها على الرغم من أنّهم

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي، ص ٣٧٢.
(٢) الروضة المختارة، ص ٧٨ - ٨٠.

يذاقون ما هو أمر من الموت والقتل، وكيف لا وأمور الناس أضحت مضيعة يتلعب بها بنو أميّة، وإلا فهل يجمعهم وإيّاهم كتاب يقضي بالحق والعدل؟ وكيف وهم يختلفون عنهم فريق يسمن وفريق يهزل؟ وما دام الأمر كذلك فلا صلاح لأمر الدنيا لفساد أمر الدين وقد أصبح يعني بأمره ونهيه ذلك البرذون المركول هشام بن عبد الملك[١].

وتذكر بعض المصادر الشيعية أن رجلاً أنشد هذه الأبيات وبات مُفكّراً فرأى عليّاً عليه السلام في المنام فقال له: أعِدْ عليَّ أبيات الكميت فأنشده إيّاها حتى بلغ إلى قوله (خطراً منيعاً) فأنشد عليّ عليه السلام بيتاً آخر من قوله زيادة فيها:

فلَمْ أرَ مثل ذاك اليوم يوماً ولم أرَ مثله حقّاً أُضيعا

فانتبه الرجل مذعوراً[٢].

ويرى الدكتور داود سلّوم أن الأبيات السابقة للكميت لم تؤلف من أجل مدح ورثاء وتمجيد وتعظيم للرسول وآل بيته وإنّما أُلّفت لغاية أُخرى، للحثّ والحض على ثورة على السلطان وقد غلّفت هذا التغليف الديني كي ينجو الشاعر بجلده من العقاب[٣].

(١) الدكتور النعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ص ٣٨٧. وراجع أيضاً: دكتور محمد مصطفى هدّارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص ٤٢٣.

(٢) الأميني - الغدير ج ٢ ص ١٧٧.

(٣) شعر الكميت بن زيد الأسدي: جمع وتقديم الدكتور داود سلّوم، ج١، ص ٥٩.

المبحث الثاني:

المدح

تناول شعراء الشيعة في هذا العصر وصية الرسول لعلي في غدير خم في معرض مدحهم لعلي بن أبي طالب وبيان سجاياه ومناقبه ومنزلته عند رسول الله ﷺ.

فالكميت يقول عن حديث الغدير:

عليٌّ أمير المؤمنين وحقّهُ ... من اللهِ مفروضٌ على كل مسلمِ
وإن رسول الله أوصى بحقّهِ ... وأشركه في كل حقٍّ مقسّمِ
وزوّجَهُ صديقةً لم يكن لها ... معادلةٌ غير البتولة مريمِ
وردّمَ أبواب الذين بنى لهم ... بيوتاً سوى أبوابه لم يُردّمِ
وأوجَبَ يوماً بالغدير ولايَةً ... على كلّ برٍّ من فصيحٍ وأعجمِ[1]

فالشاعر يمدح الإمام علياً ويعدد فضائله. فعليٌّ أمير المؤمنين وقد فرضَ الله حقّهُ على كل مسلم وأن رسول الله أوصى لهُ وجعله شريكاً في كل حقّ وقد زوّجهُ الرسول بفاطمة الزهراء التي لا يعادلها الفضل سوى البتول مريم، وقد أغلق النبي جميع الأبواب التي كانت تفتح في المسجد غير باب علي فلم يغلق. وقد أوجبَ الرسول ولايته على جميع الناس عرباً وأعاجم.

تبعَ الكميت شاعرٌ آخرَ هو محمد الحميري، فمدح علياً بقصيدة قال فيها:

بحقّ محمدٍ قولوا بحقٍّ ... فإنّ الإفكَ من شيم اللئامِ

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ١٩٥.

أبعدَ محمدٍ بأبي وأميّ ... رسول الله ذي الشرف التهامي
اليسَ عليٌّ أفضل خير ربيّ ... وأشرف عند تحصيل الأنامِ؟
ولايته هي الإيمان حقّاً ... فذرني من أباطيل الكلامِ
وطاعة ربّنا فيها وفيها ... شفاءٌ للقلوب من السّقامِ
عليٌّ إمامنا بأبي وأُمّي ... أبو الحسن المطهّر من حرامِ
إمام هدًى أتاه الله علماً ... به عُرفَ الحلال من الحرامِ
ولو أنّي قتلت النفس حبّاً ... له ما كان فيها من أثامِ
يحلُّ النار قومٌ أبغضوهُ ... وإن صلّوا وصاموا ألف عامِ
ولا والله لا تزكو صلاةٌ ... بغيرِ ولاية العدلِ الإمامِ
أمير المؤمنين بك اعتمادي ... وبالغرّ الميامين اعتصامي
فهذا القول لي دينٌ وهذا ... إلى لقياكَ يا ربّي كلامي

فالحميري يمدح علياً ويقول بأن علياً هو الإمام بعد رسول الله وهو أفضل الناس وولايته بعد رسول الله واجبة وطاعته فرض على المسلمين، فمن أطاع علياً فقد أطاع الله، فعلي إمامٌ ومطهر من الحرام وبه قد عرف الحلال من الحرام إذ أتاه الله علماً وجعله هدى للناس... ويبرز الشاعر مدى حبه للإمام ويقول بأنه إذا ما قتل نفسه حباً به لما كان إثماً ويضيف الشاعر بأن النار تحل على القوم الذين أبغضوه، وإن صاموا وصلوا ألف عام فصلاة المسلم لا تقبل إلا إذا كان موالياً لعلي. ويخاطب الشاعر الإمام علياً ويقول بأن اعتمادي عليك يا أمير المؤمنين وعلى الغر الميامين ويرى الشاعر بأنّ هذا القول هو اعتقاده وإيمانه وهو مؤمن بقوله إلى أن يلقى الله ربه يوم القيامة.

وبعد ذلك يحمل الشاعر على الذين أضمروا العداوة والبغضاء لعلي وتناسوا نصبه إماماً يوم الغدير ويقول:

بـرأتُ مـن الـذي عـادى عـلـيـاً وحـاربـه مـن أولاد الـطـغـامِ
تـنـاسـوا نـصـبـه فـي يـوم (خـمٍّ) مـن الـبـاري ومـن خـيـر الأنـامِ
بـرغـم الأنـف مـن يـشـنـأ كـلامـي عـلـيٌّ فـضـلـهُ كـالـبـحـر طـامـي
وأبـــرأُ مـــن أُنـــاسٍ أخـــروهُ وكـان هـو الـمـقـدّم بـالـمـقـام
عـلـيٌّ هـزّمَ الأبـطـال لـمّـا رأوا فـي كـفّـهِ بـرق الـحـسـام[1]

فالشاعر في هذه الأبيات يتبرأ من الذين ناصبوا علياً العداء وحاربوه وتناسوا حقّه يوم غدير خم عندما نصبه رسول الله بأمرٍ من الباري عزّوجلّ خليفة وإماماً بعده. ويتبرأ الشاعر هذه المرة من أولئك الذين اغتصبوا الخلافة من علي وتقدموا عليه وأخّروه عن الخلافة بعدما كان هو المقدم عليهم.

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ١٧٧.

المبحث الثالث:

الوصف

لم يقتصر شعر العصر الأموي على ما ذكرناه من شعر عدد من شعراء الشيعة، بل إن عمرو بن العاص الذي كان أحد صحابة الرسول وحضر يوم غدير خم، وصف لنا هذه الواقعة وصفاً كاملاً ودقيقاً.

فأهمية هذه القصيدة التي نظمها عمرو لا تصدر من كونها تشتمل على سرد واقعة الغدير، وإنّما هي وثيقة تاريخية وشهادة صحابيّ عاصر رسول الله ﷺ وسمع ما قاله يوم الغدير.

ونظراً لأهمية القصيدة التاريخية واحتوائها على حقائق لم تذكر من قبل في الشعر الأموي، فإننا نورد القصيدة كاملة وندع عمراً يحكي لنا القصة من الزاوية التي يتصورها.

كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو على مصر، قد قبضها بالشرط الذي اشترط على معاوية: «أما بعد، فإن سؤال أهل الحجاز وزوّار أهل العراق كثروا عليّ، وليس عندي فضلٌ عن أعطيات الحجاز، فأعني بخراج مصر هذه السنة». فكتب عمرو إليه:

معاويَ إن تدرككَ نفسٌ شحيحةٌ ... فما مصرُ إلا كالهباءة في الترب
وما نلتُها عَفْواً ولكن شَرَطْتُها ... وقد دارت الحرب العَوان على قُطبِ
ولولا دفاعي الأشعري ورهْطِه ... لألفيتها ترغو كراغيةِ السَّقبِ[1]

ثم كتب في ظاهر الكتاب[2] - ورأيتُ أنا هذه الأبيات بخط أبي زكريّا يحيى بن علي الخطيب التبريزي رحمه الله:

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، المجلد ٣، ص ٤٠٧.
(٢) الكلام لابن أبي الحديد.

معاويةِ الحال لا تجهلِ ... وعن سُبُل الحقّ لا تعدلِ
نسيتَ احتيالي في جُلَّقٍ ... على أهلها يوم لبس الحُلي
وقد أقبلوا زُمراً يهرعونَ ... مهاليع كالبقر الجفّلِ
وقولي لهم: إن فرض الصلاة ... بغير وجودك لم تقبلِ
فولّوا ولم يعباؤا بالصلاة ... ورمت النفار إلى القسطلِ
ولما عصيت إمام الهدى ... وفي جيشهِ كلُّ مستفحلِ
أبا البقر البكم أهل الشام ... لأهل التقى والحجى أبتلي؟
فقلتُ: نعم، قم فإني أرى ... قتال المفضل بالأفضلِ
فبي حاربوا سيّد الأوصياء ... بقولي: دمٌ طُلَّ من نعثلِ
وكدتُ لهم أن أقاموا الرّماح ... عليها المصاحف في القسطلّ
وعلّمتهم كشف سوءاتهم ... لردّ الغضنفرة المقبلِ
فقام البغاة على حيدرٍ ... وكفّوا عن المشغل المصطلي
نسيتَ محاورة الأشعري ... ونحنُ على دومةِ الجندلِ؟
ألين فيطمع في جانبي ... وسهمي قد خاض في المقتلِ
خلعتُ الخلافة من حيدرٍ ... كخلعِ النعالِ من الأرجُلِ
وألبستها فيك بعد الأياس ... كلبس الخواتيم بالأنملِ
ورقيتك المنبر المشمخرّ ... بلا حدّ سيف ولا منصلِ
ولو لم تكن أنت من أهله ... وربّ المقام ولم تكملِ
وسيرتُ ذكرك في الخافقين ... كسير الحمير مع المحملِ
وجهلك بي يابن آكلة الـ ... كبود لأعظم ما ابتلي
فلولا مؤازرتي لم تُطع ... ولولا وجودي لم تقبلِ
ولولاي كنت كمثل النساء ... تعاف الخروج من المنزلِ
نصرناك من جهلنا يابن هند ... على النبأ الأعظم الأفضلِ

وحيث رفعناك فوق الرؤوس ... نزلنا إلى أسفل الأسفلِ
وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصصة في علي؟
وفي يوم (خم) رقى منبراً ... يبلّغ والركبُ لم يرحلِ
وفي كفّه كفّه معلناً ... ينادي بأمر العزيز العلي
ألستُ بكم منكم في النفوسِ ... بأولى؟ فقالوا: بلى فافعلِ
فأنحله إمرةَ المؤمنينَ ... من الله مستخلف المنحلِ
وقال: فمن كنت مولى له ... فهذا له اليوم نعم الولي
فوال موالیه یا ذا الجلا ... لِ وعاد معادي أخ المرسلِ
ولا تنقضوا العهد من عترتي ... فقاطعهم بي لم يوصلِ
فبخبخ شيخك لما رأى ... عُرى عقد حيدر لم تُحللِ
فقالَ: وليكمُ فاحفظوه ... فمدخله فيكم مدخلي
وإنّا وما كان من فعلنا ... لفي النار في الدرك الأسفلِ
وما دمُ عثمان منجٍ لنا ... من الله في الموقفِ المخجلِ
وإنّ علياً غداً خصمنا ... ويعتزّ بالله والمرسلِ
يحاسبنا عن أمور جرت ... ونحن عن الحق في معزلِ
فما عذرنا يوم كشف الغطا؟ ... لك الويل منه غداً ثم لي
ألا يابن هند بعت الجنان ... بعهد عهدت ولم توفِ لي
وأخّرتَ أُخراك كيما تنال ... يسير الحطام من الأجزلِ
وأصبحت بالناس حتى استقام ... لك الملك من ملك محولِ
وكنت كمقتنص في الشراك ... تذود الظماء عن المنهلِ
كأنّكَ أنسيت ليل الهرير ... بصفّين مع هولها المهولِ
وحين أزاح جيوش الضلا ... ل وافاك كالأسد المبسلِ
وقد بتّ تذرق ذرق النعام ... حذاراً من البطلِ المقبلِ

وقد ضاقَ منك عليك الخناق ... وصار بك الرَّحب كالفلفلِ
وقولك: يا عمرو؟ أين المفرّ ... من الفارس القسورِ المسبلِ؟
عسى حيلة منكَ عن ثنيةٍ ... فإنّ فؤادي في عَلَلِ
وشاطرتني كلما يستقيم ... من الملك دهرك لم يكملِ
فقمت على عجلتي رافعاً ... واكشف عن سوأتي أذيلي
فستّر عن وجهه وأنثنى ... حياءً وروعك لم يعقلِ
وأنت لخوفكَ من بأسِ ... هناكَ ملأت من الأفكلِ
ولما ملكت حماة الأنام ... ونالت عصاك يد الأوّلِ
منحت لغيري وزن الجبالِ ... ولم تعطني زنة الخردلِ
وأنحلت مصراً لعبد الملك ... وأنت عن الغيّ لم تعدلِ
وإن كنت تطمع فيها فقد ... تخلّى القطا من يد الأحدلِ
وإن لم تسامح إلى ردّها ... فإني لحوبكم مصطلي
بخيلُ جياد وشمّ الأنوف ... وبالمرهفاتِ وبالذُّبّلِ
واكشف عنك حجاب الغرور ... وأيقظ نائمةَ الأثكلِ
فإنّك من إمرة المؤمنين ... ودعوى الخلافة في معزلِ
وما لك فيها ولا ذرّةٍ ... ولا لجدودك بالأوّلِ
فإن كان بينكما نسبةٌ ... فأين الحسام من المنجلِ؟
وأين الحصا من نجوم السما؟ ... وأين معاوية مِنْ عَلي؟
فإن كنت فيها بلغت المنى ... ففي عنقي علق الجلجلِ[1]

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ١١٤. وابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، المجلد ٣، ص٤٠٧.

فلمّا بلغ الجوابُ إلى معاوية لم يعاوده في شيء من أمر مصر بعدها[١].

فعمرو في هذه القصيدة يعدد مواقفه الإيجابية من معاوية، ويورد جملة من أعماله التي قام بها من أجله، ويذكر ما استعمل من حيلة ومكر في سبيل حصول معاوية على الخلافة، ويعترف عمرو بأن أعماله هذه كانت بعيدة عن الصواب. وعمرو بن العاص يذكر واقعة الغدير، حيث صعد رسول الله منبراً وأخذ بكفّ علي ونادى القوم - بأمر من الله - ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى، عند ذلك نصب النبي علياً أميراً للمؤمنين واستخلفه من بعده وقال للمسلمين: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. وأمرهم ألاّ ينقضوا العهد من أهل بيته بعد وفاته ويذكر ما قاله عمر بعد أن عقد رسول الله البيعة لعلي: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وعمرو يلفت نظر معاوية إلى ما فعله وإيّاهُ بعد ذلك بعليٍّ ويرى أن جزاءهما في أسفل درك من النار ويقول له أيضاً: إن المطالبة بدم عثمان لم ينجهم من هذه النار يوم القيامة عندما يقفون بين يدي الله، وأن عليّاً سوف يكون خصمهم يوم القيامة، يحاسبهم عن أمور اقترفوها بعيداً عن الحقّ فلا عذر لهم يوم تكشف السرائر ويذكّر معاوية بالعهد الذي قطعه له ولم يفِ به، إذ منح لغيره الأموال الطائلة ولم يعطه شيئاً، ويعقد بعد ذلك موازنة بين معاوية وعلي ويرى أن ليس هناك نسبة بينهما فنسبة معاوية من علي كنسبة الحصاء من نجوم السماء.

إذن، هذا شاهد آخر وصحابي شهد واقعة الغدير ورأى كيف عقد النبي البيعة لعلي في هذا اليوم وسجلها تسجيلاً حيّاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة، المجلد ٣، ص ٤٠٧.

المبحث الرابع:

خصائص شعر الغدير في العصر الأموي

أولّ ما يلاحظه الباحث في شعر الغدير في هذا العصر، هو اشتمال القصيدة الواحدة على فنون أدبية شتى، من احتجاج وجدال ومدح ورثاء وهجاء. فقصيدة الكميت العينية جمعت بين رثاء للحسين بن علي وأصحابه الذين قتلوا في كربلاء، واحتجاج بيوم غدير خم، وحقّ عليّ بالإمامة بعد رسول الله، وهجاء لصحابة الرسول لاغتصابهم الخلافة من علي ومخالفتهم أمر النبيّ وتناسيهم حقّ علي بالخلافة، وأخيراً هجاء الأمويين وذلك لظلمهم وجورهم وقتلهم الحسين وأصحابه، وابتهال إلى الله في أن يكون الأمر لإمام هاشميّ يقيم العدل والمساواة بين المسلمين.

والخاصة الثانية لشعر الغدير، هي تغيّر الأسلوب في كل قصيدة، فالأسلوب مرة هادىء رزين حين يسلك سبيل الاحتجاج والجدال، ومرة ثائر قوي عندما يغضب على الخصوم وينقم منهم، وقد يكون الأسلوب رقيقاً حزيناً حين يبكي آلام العلويين ويصف هوانهم الشديد.

والخاصة الأخرى، هي أن هذا الشعر يختلف تماماً عن شعر الغدير في العصر الإسلامي (عصر الراشدين) ويعد أدباً جديداً في موضوعاته ومعانيه وأساليبه. فموضوعه سياسي مذهبي، وأساليبه جزلة لا صنعة فيها تعتمد على القرآن وأقوال الرسول.

والخاصة الرابعة، هي أن شعراء الغدير في العصر الأموي أفادوا الأدب بما حملوا خصومهم على مناهضتهم باستمرار وأغنوا التراث الأدبي بقصائدهم وفي طليعة هؤلاء الشعراء الكميت وهاشمياته خير دليل على ذلك.

والخاصة الخامسة، لشعر الغدير، هي أن القصائد التي أوردناها في

هذا الفصل لم تختص بذكر واقعة الغدير كما هي الحال في العصر الإسلامي والعصر العباسي وإنّما أُلفت هذه القصائد لأغراض أخرى. فالقصيدة العينية للكميت قيلت في رثاء الحسين وهجاء الأمويين لقتلهم الحسين وأصحابه والمقطوعة الأخرى للكميت قيلت في مدح علي بن أبي طالب وكذلك قصيدة محمد الحميري قيلت في مدح علي بن أبي طالب وقصيدة عمرو بن العاص في الردّ على معاوية عندما طالبه بخراج مصر.

المبحث الخامس:

تطور الشعر في العصر الأموي

لاحظنا مما تقدم من قصائد وأشعار وخاصة أشعار الكميت بأنّ هذه القصائد تختلف اختلافاً بيناً في موضوعاتها ومعانيها وأساليبها عن القصائد في العصر الإسلامي. وإذا بحثنا عن السبب في هذا الاختلاف سنرى ذلك يرجع إلى مدى ما أصاب التفكير الفني في هذا العصر من تغيير. إذ نجد هذا التفكير يتحول إلى جدال، وطرق استدلال لم نكن نألفها في القديم، فقد أصبح الشاعر يعتنق نظرية سياسية خاصة ويؤمن بها ويجعلها محور شعره، كما أصبح مثقّفاً بطرق الجدال والحوار المعاصرة، وهو يطبقها في شعره تطبيقاً، ويخضع نفسه وفنه لأساليبها إخضاعاً.

والحق إن عقلية الشاعر الأموي اختلفت تمام الاختلاف عن عقلية الشاعر القديم، فقد ثقف أشياء لم يكن يثقفها الشاعر الجاهلي، وخضع في تفكيره لأشياء لم يكن يخضع لها الشاعر الجاهلي، فأنتج النقائض وهاشميات الكميت من جهة، وأنتج عمقاً وطرافة في التفكير الفني نلاحظهما في معاني كثيرة من الأبيات من جهة أخرى.

ولعلّ أهم ما نلاحظه على تفكيره وعقليته وما طرأ عليهما من تطوّر أننا نحس عنده أنه أخذ يتناول حرفته تناولاً جديداً، عمادُه البحث والدرس اللذان ألفهما في بيئات الفقهاء وأصحاب التفكير في العقيدة الدينية.

وبما كان أهم شيءٍ رسبَ في الشعر الأموي عن هذه العقلية الجديدة أننا نجد الشعراء يتخصصون في موضوعات بعينها، لا يتعدونها إلى غيرها، فعمر ابن أبي ربيعة يذهب شعره في الغزل، وذو الرمة يذهب شعره، أو كاد في وصف الصحراء، ويرتقي الفرزدق وجرير بفن الهجاء ويحدثان فيه النقائض المعروفة.

هذا الفصل لم تختص بذكر واقعة الغدير كما هي الحال في العصر الإسلامي والعصر العباسي وإنّما أُلفت هذه القصائد لأغراض أخرى. فالقصيدة العينية للكميت قيلت في رثاء الحسين وهجاء الأمويين لقتلهم الحسين وأصحابه والمقطوعة الأخرى للكميت قيلت في مدح علي بن أبي طالب وكذلك قصيدة محمد الحميري قيلت في مدح علي بن أبي طالب وقصيدة عمرو بن العاص في الردّ على معاوية عندما طالبه بخراج مصر.

المبحث الخامس:

تطور الشعر في العصر الأموي

لاحظنا مما تقدم من قصائد وأشعار وخاصة أشعار الكميت بأنّ هذه القصائد تختلف اختلافاً بيناً في موضوعاتها ومعانيها وأساليبها عن القصائد في العصر الإسلامي. وإذا بحثنا عن السبب في هذا الاختلاف سنرى ذلك يرجع إلى مدى ما أصاب التفكير الفني في هذا العصر من تغيير. إذ نجد هذا التفكير يتحول إلى جدال، وطرق استدلال لم نكن نألفها في القديم، فقد أصبح الشاعر يعتنق نظرية سياسية خاصة ويؤمن بها ويجعلها محور شعره، كما أصبح مثقّفاً بطرق الجدال والحوار المعاصرة، وهو يطبقها في شعره تطبيقاً، ويخضع نفسه وفنه لأساليبها إخضاعاً.

والحق إن عقلية الشاعر الأموي اختلفت تمام الاختلاف عن عقلية الشاعر القديم، فقد ثقف أشياء لم يكن يثقفها الشاعر الجاهلي، وخضع في تفكيره لأشياء لم يكن يخضع لها الشاعر الجاهلي، فأنتج النقائض وهاشميات الكميت من جهة، وأنتج عمقاً وطرافة في التفكير الفني نلاحظهما في معاني كثيرة من الأبيات من جهة أخرى.

ولعلّ أهم ما نلاحظه على تفكيره وعقليته وما طرأ عليهما من تطوّر أننا نحس عنده أنه أخذ يتناول حرفته تناولاً جديداً، عمادُه البحث والدرس اللذان ألفهما في بيئات الفقهاء وأصحاب التفكير في العقيدة الدينية.

وبما كان أهم شيءٍ رسبَ في الشعر الأموي عن هذه العقلية الجديدة أننا نجد الشعراء يتخصصون في موضوعات بعينها، لا يتعدونها إلى غيرها، فعمر ابن أبي ربيعة يذهب شعره في الغزل، وذو الرمة يذهب شعره، أو كاد في وصف الصحراء، ويرتقي الفرزدق وجرير بفن الهجاء ويحدثان فيه النقائض المعروفة.

ولا شكّ في أن هذا أثر من آثار العقلية العربية في العصر الأموي وما أصابها من تطوّر، فقد أخذ الناس يعيشون في نحل ونظريات معينة، كنظرية الخوارج ونظرية الشيعة ونظرية الجبر أو القدر، يودعون فيها حياتهم كلها ولا يعدونها إلى غيرها، فتأثرهم الشعراء وحولوا موضوعات الشعر إلى ما يشبه النحلة من النحل، وعاشوا في الموضوع، الذي اختاروه أو كادوا حياتهم كلها[١].

(١) انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي: الدكتور شوقي ضيف، ص ٨٧ و٩١.

الفصل الثالث

شعر الغدير في العصر العباسي

○ تمهيد

قبل البدء بدراسة شعر الغدير في العصر العباسي والعوامل المؤثرة في تطور هذا الشعر، يجب دراسة الأحوال السياسية لهذا العصر وعلاقة الخلفاء العباسيين بالشيعة، لنرى أثر هذه الظروف والأحوال على الشعر بوجه عام وشعر الغدير بوجه خاص.

استطاعت العناصر المعادية للأمويين بعد جهود كبيرة وبعد عدة حركات فاشلة أن تثل عروشهم وتذهب سلطانهم وأن تقيم دولة جديدة على رأسها رجل من ولد العباس بن عبد المطلب هو أبو العباس السفاح، وقد بويع له في الكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة للهجرة[1] وقد تلا أبو العباس خلفاء وطدوا حكم العباسيين ومن بينهم المنصور والمهدي والمأمون تمكنوا من إرساء أسسها وتثبيت أركانها.

ولم تكن أحوال الشيعة في هذا العصر بأحسن من حالهم في العصر الأموي وذلك لاختلاف موقف الخلفاء العباسيين حيالهم.

فخلال حكم العباسيين تقلبت أحوال الشيعة بين اليسر والعسر حسب مواقف الخلفاء منهم، كان المنصور شديداً معهم كما كان شديداً مع غيرهم من العناصر التي لا يطمئن إلى إخلاصها وولائها.

---

(١) الدكتور محسن غياض: التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، ص ٥٣.

وكان المهدي متسامحاً معهم رؤوفاً بهم. وسبق للمهدي وهو ولي العهد أن ذهب في تسامحه مع غلاة الشيعة إلى حدٍّ كبير جدّاً فلم ينكر على السيد الحميري تعريضه بالشيخين وإنما استجاب له وقطع الصلاة عن أبنائهما.

وعندما جاء الرشيد إلى الخلافة اشتدّ في أمر الشيعة وأمر بإخراج الطالبيين الذين في بغداد إلى المدينة وحمل موسى الكاظم ابن جعفر الصادق أمام الشيعة السابع في المدينة وحبسه في بغداد حتى مات في سجنه سنة ١٨٣هـ.

وعاش الشيعة أحسن سنواتهم وتنسموا عبير الحرية ورفع عنهم الاضطهاد عندما تولى المأمون الخلافة وأظهر التشيّع وجعل من علي بن موسى الرضا وليّاً لعهده. وقد أقدم المأمون على هذه الخطوة الخطيرة بتحريض من وزيره الفضل بن سهل. إذ كان وآله شيعة للعلويين وقد بقي المأمون على رعايته للشيعة وبرّه بهم حتى آخر أيّامه، وعندما أدركته الوفاة أوصى أخاه المعتصم خيراً بالعلويين[١].

واستخدمت الشيعة على اختلاف فرقها الشعر سلاحاً ضد خصومها ووسيلة من وسائل الدعاية والكفاح السياسي. وكان مدح علي وأبنائه وتقصي مناقبهم وسردها من الموضوعات المشتركة التي تناولها شعراء الشيعة وحرصوا على القول بها وكذلك كان رثاء الأئمة والتوجع لما أصابهم من قتل وأذى واضطهاد. وكان يتبع هذا الرثاء غالباً مهاجمة أعداء العلويين والقسوة في هجائهم ومحاولة إثارة الشعور بالنقمة والسخط عليهم[٢].

وكان الإماميون [الشيعة] يستشعرون التقية، مما جعل نفراً منهم

(١) نفس المرجع، ص ٥٩ - ٦١.

(٢) الدكتور محسن غياض: التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، ص ٢٤٨.

يمدحون العباسيين غير أنهم كانوا إذا أفضوا إلى أنفسهم وأنصارهم سددوا إلى صدور العباسيين سهاماً مسمومة من الذم والهجاء المقذع، وكثر على لسانهم بكاء الحسين والتفجع عليه وجمرات الحزن تلذع قلوبهم لذعاً، كما كثر على السانهم تصوير حقوق العلويين في الخلافة وأنه ينبغي أن ترد عليهم حتى يرفعوا عن الناس ما كان يرهقهم به العباسيون - في رأيهم - من ظلم وعسف واستبداد واستبعاد[١].

○ شعر الغدير:

تناول شعراء الشيعة مسألة وصاية الرسول لابن عمّه علي بن أبي طالب بالخلافة يوم غدير خم في أشعارهم ونظموا واقعة الغدير وذكروا قول الرسول ﷺ لعلي «من كنت مولاه فعلي مولاه» و«علي مني بمنزلة هارون من موسى» واستدلوا بهذين الحديثين وأحاديث أخرى نذكرها في هذا الفصل على خلافةِ علي وإمامته بعد رسول الله.

فالشعراء الشيعة لم يتركوا غرضاً من الأغراض الشعريّة إلا وأوردوا فيه واقعة الغدير، وخصص بعض الشعراء قصائد كاملة في غدير خم منهم السيد الحميري الذي ذكر له الأميني ثلاثاً وعشرين قصيدة تدور جميعها حول حديث غدير خم، وسماها بالغديريات[٢].

(١) مقدمة الدكتور شوقي ضيف لكتاب التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول للدكتور محسن غياض، ص ٧ - ٨.

(٢) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٣ - ٢٣١.

أغراض شعر الغدير في العصر العباسي

المبحث الأول:

المدح

من أغراض الشعر في هذا العصر المدح. فالشعراء مدحوا الإمام عليّاً وأشادوا بفضائله ومناقبه وأشاروا إلى قول الرسول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» و«علي مني بمنزلة هارون من موسى» وأقوال أخرى بشأن علي بن أبي طالب.

فالسيد الحميري الذي يُعد من أعظم شعراء الشيعة في هذا العصر والذي له قصب السبق في مدح علي بن أبي طالب وبيان فضائله ومناقبه والذي كرّس حياته من أجل الدفاع عن أهل البيت وتأكيد حقهم في الخلافة، يقول:

أشهدُ باللهِ وآلائه ... والمرءُ عمّا قالَهُ يُسألُ
أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ ... خليفةُ اللهِ الذي يعدِلُ
وإنّه قد كان من أحمدٍ ... كمثل هارون ولا مُرسَلُ
لكنْ وصيٌّ خازنٌ عندهُ ... عِلْمٌ من اللهِ به يَعملُ
قد قام يومَ (الدوح) خيرُ الورى ... بوجههِ للناسِ يستقبلُ
وقال من كنتُ مولًى لهُ ... فذا له مَوْلًى لكم مَوْئِلُ
لكنْ تواصوا بعليٍّ الهُدى ... أن لا يُوالوهُ وأن يخذُلوا[1]

(١) السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج١٢، ص ١٥٢. والأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٢٧.

ذكر السيد الحميري عدداً من صفات ومناقب علي، فهو الخليفة العادل ومكانته من رسول الله كمكانةِ هارون من موسى، وهو وصي الرسول وخازن علم الله، أقامه رسول الله يوم غدير خم وأوصى به خليفة بعده على المسلمين وقال من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه وأمر المسلمين الحاضرين أن يوالوه وأن ينصروه، لكن هؤلاء عمدوا إلى عدم موالاته وخذلانه.

هكذا نرى السيد الحميري يمدح علياً ويعدد فضائله ويذكر قول رسول الله في شأن علي «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

ويقول الوامق النصراني في هذا المعنى:

أليس بخُمٍّ من أقام (محمدٌ) (عليّاً) بإحضار الملا في المواسمِ
فقال لهم: من كنت مولاه منكمُ فمولاكمُ بعدي (علي بن فاطم)
فقال: إلهي كن وليّ وليّهِ وعاد أعاديه على رغم راغمِ[1]

فولاية علي بن أبي طالب عند الوامق النصراني من المسلّمات التي لا يمكن النقاش حولها، فهو يتساءل بدهشة أليس النبي قد أقام علياً خليفة أمام المسلمين يوم غدير خم وقال لهم: من كنت مولاه فهذا علي مولاه ودعا لعلي وقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه!.

وكأن الشاعر يريد أن يقول.. لماذا فعل المسلمون بعلي بن أبي طالب هكذا، فتركوا أمر رسول الله واغتصبوا حق علي في الخلافة.

والبشنوي الكردي يظهر تمسكه وتعلّقه بحديث النبي يوم الغدير حين وقف خاطباً أمام المسلمين، وأمرهم بموالاة علي بن أبي طالب ويقول:

أأتركُ مشهور الحديث وصدقهِ غداة بخُمٍّ قام أحمد خاطبا
ألست لكم مولى ومثلي وليّكم عليٌّ فوالوه وقد قلت واجبا[2]

(١) الأميني: الغدير، ج٣، ص ٤. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٦.
(٢) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٣٤. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٦.

يتساءل الشاعر هل أنه يترك ويدع حديثاً مشهوراً كحديث غدير خم وقد عرف بصحته وصدقه، حيث قام رسول الله في غدير خم خاطباً وأوصى المسلمين بعلي بن أبي طالب وجعله خليفة بعده وأمرهم بموالاته وطاعته وجعل هذا الأمر واجباً وفرضاً عليهم.

والجوهري الجرجاني يرى بأن رسول الله سيحتج على الذين نقضوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم بموالاة علي يوم غدير خم ويذكر واقعة غدير خم مفصلة بقوله:

أما أخذتُ عليكم إذ نزلت بكم (غدير خم) عقوداً بعد أيمانِ؟!
وقد جذبتُ بضبعي خير مَن وطىء البطحاء من مضر العليا وعدنانِ
وقلت واللهُ يأبى أن أُقصرّ أو أعف المسألة عن شرح وتبيانِ
هذا عليّ مولى من بعثت له مولى وطابق سرّي فيه إعلاني
هذا ابن عمّي ووالي منبري وأخي ووارثي دون أصحابي وإخواني
محلُّ هذا إذا ما قايستُ من بدني محلّ هارون من موسى بن عمران[1]

وأبو العلاء السروي يؤكد إمامة علي بعد رسول الله ويرى أن عليّاً سيشفع له يوم القيامةِ، ولا يدعي الشاعر فضائل ومناقب لعلي تخالف العقل ولا يرى في علي نبياً مرسلاً وإنما هو إمامٌ بنص واضح جليّ من رسول الله بدليل قوله ﷺ من كنت مولاه فهذا علي مولاه ويقول:

عليٌّ إمامي بعد الرسول سيشفع في عرصةِ الحقّ لي
ولا أدّعي لعليٍّ سوى فضائل في العقلِ لم يشكلِ
ولا أدعي أنّهُ مرسلٌ ولكني إمامٌ بنصٍّ جليٍّ
وقول الرسول له إذ أتى له شبه الفاضل المفضلِ

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٨٢. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٢.

ألا أنّ مـن كـنـت مـولـى لـه فـمـولاه مـن غـيـر شـك عـلـيّ[١]

وأبو محمد العوني يروي واقعة الغدير وما قاله رسول الله عن علي بن ابي طالب في ذلك اليوم وكيف أن الرسول أخذ العهد لعلي، لكنهم على الرغم من كل ذلك حاولوا الغدر بهذا الأمر، وأنكروا العهد الذي قطعوه لرسول الله بموالاة علي وإطاعة أوامره ويقول:

إمـامـي لـه يـوم (الـغـديـر) أقـامـه نبيُّ الهدى ما بين من أنكر الأمرا
وقـام خـطـيـبـاً فـيـهـمُ إذ أقـامـه ومن بعد حمد الله قال لهم جهرا
ألا أن هـذا الـمـرتـضـى بـعـل فـاطـم عليُّ الرضى صهري فأكرم به صهرا
ووارث عـلـمـي والـخـلـيـفـة مـنـكـمُ إلـى الله مـن أعـدائـه كـلـهـم أبـرا
سمعنا أطعنا أيها المرتضى فكن على ثقةٍ منّا وقد حاولوا غدرا[٢]

وأبو علي البصير يشير إلى يوم الغدير واختيار رسول الله لعلي بن أبي طالب خليفة له في هذا اليوم ومؤاخاته له ويقول:

سبـحـان مـن لـيس في الـسـمـاء ولا فـي الأرض نـدٌّ لـه وأشـبـاهُ
أحـاط بـالـعـالـمـيـن مـقـتـدراً أشـهـد أن لا إلـه إلاّ هُ
وخـاتـم الـمـرسـلـيـن سـيـدنـا أحـمـد ربّ الـسـمـاء سـمّـاهُ
أشـرقـت الأرض يـوم بـعـثـتـه وحـصـحـص الـحـقُّ مـن مـحـيّـاهُ
اخـتـار (يـوم الـغـديـر) حـيـدرةً أخـا لـه فـي الـورى وآخـاهُ
وبـأهـل الـمـشـركـيـن فـيـه وفـي زوجـتـه يـقـتـفـيـهـمـا ابـنـاهُ
هـم خـمـسـةٌ يـرحـمُ الأنـام بـهـم ويـسـتـجـابُ الـدُّعـا ويـرجـاهُ[٣]

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١١٨. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣١.
(٢) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٢٤. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٢.
(٣) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٣٠٠.

فالبصير بعد أن يذكر بأن الله واحد لا شريك له ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً خاتم المرسلين رسول الله، اختاره الله وسمّاه أحمد وقد أشرقت الأرض يوم بعثه الله إلى الناس وقد حصحص الحق بانتشار الإسلام ويقول بأن رسول الله اختار عليّاً خليفة بعده يوم غدير خم.. ويشير الشاعر إلى آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] ويقول بأن رسول الله باهل بعلي وفاطمة والحسن والحسين بالمشركين، بأن يضيف هؤلاء الخمسة يرحم الله بهم الخلق ويستجاب الدعاء بهم.

هكذا نرى في الأبيات السابقة بأن الشعراء الذين مر ذكرهم استشهدوا في أشعارهم بأقوال الرسول منها «من كنت مولاه فعلي مولاه» و«علي مني بمنزلة هارون من موسى» وأخيراً استشهدوا بآية المباهلة عندما ذكروا واقعة غدير خم.

○ آية التبليغ

والشيعة ترى بأن وصية رسول الله لعلي بن أبي طالب يوم غدير خم جاءت من عند الله لا من عنده ودليلهم على ذلك نزول الآية الكريمة على رسول الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

والشعراء الشيعة استشهدوا بهذه الآية في أشعارهم كل على طريقته وأسلوبه.. فالسيد الحميري يقول في هذا المعنى:

وبخمٍّ إذ قال الإله بعزمةٍ: قم يا محمد في البريّةِ فاخطبِ
وانصب أبا حسنٍ لقومك إنّهُ هادٍ وما بلغت إن لم تنصبِ
فدعاهُ ثمَّ دعاهُمُ فأقامه لهُمُ فبين مصدّقٍ ومكذّبِ

جعل الولاية بعده لمهذّب ما كان يجعلها لغير مهذّبِ[١]

فالحميري في هذه الأبيات ذكر بأن الله أمر رسوله بنصب علي بن أبي طالب خليفة بعده على المسلمين فاستجاب رسول الله لهذا الأمر فدعا المسلمين وأوصى بعلي إماماً بعده، فالسيد في هذه الأبيات يظهر براعة في صياغة الآية شعراً دون أن يفقدها معناها ومفهومها.

وقال السيد الحميري في قصيدة أخرى:

عَجِبْتُ مِن قومٍ أتوا أحمداً بخطّةٍ لَيْسَ لها مَوْضِعُ
قالوا لَهُ: لو شِئتَ أعلَمتنا إلى من الغايةُ والمضرعُ
إذا تُوفِّيتَ وفارقْتَنا وفيهمُ في الملكِ من يطمعُ
فقالَ: لوْ أعلمتكُمْ مفزعاً كنتُمْ عسيتم فيه أن تصنعوا
كصُنْعِ أهل العجل إذ فارقوا هارونَ، فالترك لَهُ أورعُ
ثمَّ أتتهُ بَعدَهُ عَزْمَةٌ من ربِّهِ ليس له مدْفعُ
أبلغْ وإلاّ لم تكنْ مُبْلغاً واللهُ منهمُ عاصمٌ يمنَعُ
فعندها قام النبيُّ الذي كان بما يأمرُهُ يَصدعُ
يخطبُ مأموراً، وفي كفّهِ كفُّ عليٍّ، نورها يلمعُ
رافعُها أكرمْ بكفٍّ الذي يرفعُ والكفُّ الذي ترفعُ
من كنتُ مولاه فهذا له مولى فلمْ يرضوا ولم يقنعوا[٢]

(١) ديوان السيد الحميري، ص٨٣، والقصيدة المذهبة: شرح الشريف الرضي، ص٨١. والأميني: الغدير، ج٢، ص٢١٣. وابن شهرآشوب: في مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٢٣٥.

(٢) الأميني: الغدير، ج٢، ص٢١٩. وراجع أيضاً ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٤. والدكتور عبد الحسين طه حميده: أدب الشيعة، ص ١٠٠، وأحمد الشايب: تاريخ الشعر السياسي، ص ٢٠٢.

ويعلق الدكتور عبد الحسيب طه حميدة على هذه الأبيات بقوله:

«وهكذا أخذ السيد يحدثنا بنفسه الطويل عن هذه العقيدة، ولعلك ترى أن نظرية الحق الملكي المقدس قد بان أثرها في شعر السيد، فاستحق عليّ الخلافة بأمر الله، وأمر النبي ﷺ بعقد الولاية له، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فقام مبلغاً ما أمر به من ربّه. فعلي بهذا النص الإلهي والإبلاغ المحمدي ولي الأمر بعد محمد ووارثه[١].

ودعبل الخزاعي استشهد بآية التبليغ في الأبيات التالية:

نطق القرآنُ بفضل آل محمدٍ ... وولاية لعليه لم تُجحدِ
بولاية المختار من خير الورى ... بعد النبي الصادق المتوددِ
إنّ الإله وليكُمْ ورسوله ... والمؤمنينَ فمن يشأ فليجحدِ
يكُن الإله خصيمه فيها غداً ... واللهُ ليس بمخلف في الموعدِ[٢]

فدعبل بالإضافة إلى تأكيده على أن الله قد أمر رسوله بتنصيب علي خليفة بعده يرى بأن القرآن قد نطق بفضل أهل البيت.

وابن علوية الأصبهاني يستشهد بآية التبليغ بقوله:

صلّى الإله على ابن عمِّ محمدٍ ... منه صلاة تغمّد بحنانِ
وله إذا ذُكر (الغدير) فضيلةٌ ... لم ننسها ما دامت الملوانِ
قام النبي له بشرح ولايةٍ ... نزل الكتاب بها من الديّانِ
إذ قال: بلّغ ما أمرت به وثق ... منهم بعصمة كالىءِ حنّانِ
فدعا الصلاة جماعة وأقامه ... علماً بفضلِ مقالةِ غرّانِ

(١) الدكتور عبد الحسيب طه حميده: أدب الشيعة، ص ١٠١.
(٢) ديوان دعبل الخزاعي: الدكتور محمد يوسف نجم، ص ٦٨.

نادى ألستُ وليّكم؟ قالوا: بلى حقّاً فقال: فذا الوليُّ الثاني
ودعا له وَلِمَنْ أجابَ بنصره ودعا الإله على ذوي الخذلانِ
نادى ولم يكُ كاذباً: بخ أبا حسن ربيع الشيب والشبّانِ
أصبحت مولى المؤمنين جماعةٌ مولى أناثهمُ مع الذُّكرانِ
لمن الخلافة والوزارة هل هما إلاّ لَهُ وعليه يتفقانِ
أو ما هما فيما تلاه إلا هنا في محكم الآياتِ مكتوبانِ؟!
ادلوا بحجتكم وقولوا قولكم ودعوا حديث فلانةٍ وفلانِ
هيهات ضلَّ ضلالكم أن تهتدوا أو تفهموا لمقطع السلطانِ[1]

فابن علوية يرى بأن واقعة غدير خم تعتبر فضيلة لا تنسى لعليٍّ ففي هذا اليوم نزلت آية التبليغ على رسول الله لينصب عليّاً خليفة بعده، عند ذلك أقام الرسول عليّاً إماماً على الناس ودعا له ولمن يواليه ودعا كذلك على أعدائه الذين يعادوه على هذا الأمر. ويذكر ابن علوية الأصبهاني قول عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب يوم الغدير (بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة).

وابن حماد العبدي يشير إلى آية التبليغ بقوله:

وقال لأحمد بلغ قريشاً أكن لكَ عاصماً إن تستكينا
فإن لم تُبلّغ الأنباء عنيّ فما أنت المبّلغ والأمينا
فأنزل بالحجيج (غدير خم) وجاء به ونادى المسلمينا
فأبرز كفّه للناس حتى تبينها جميع الحاضرينا
فاكرمْ بالذي رُفعت يداهُ واكرمْ بالذي رَفعَ اليمينا
فقال لهمْ وكلُّ القوم مُصغٍ لمنطقهِ وكلٌّ يسمعونا

(١) الأميني: الغدير، ج٣، ص ٣٤٧. والأمين في أعيان الشيعة، ج٩، ص ٤٧.

ألا هـــذا أخـــي ووصـــيُّ حـــقٍّ وموفي العهد والقاضي الديونا[١]

فالعبدي ذكر آية التبليغ فأنزل رسول الله الحجاج في (غدير خم) وجعل علي بن أبي طالب وصياً له بعده وقال لهم: بأن علياً هو أخوه ووصيه وموفي عهده وقاضي ديونه.

والشريف المرتضى يذكر آية التبليغ في الأبيات التالية:

لله درّ الـــيـــوم مـــا أشـــرفـــا ودرّ مـــا كـــان بـــه أعـــرفـــا
ســاق إلـيـنـا فـيـه ربُّ الـعـلـى مـا أمـرض الأعـداء أو أتـلـفـا
وخـــصَّ بـــالأمـــر عـــلـــيّـــاً وإن بـــدّل مـــن بـــدّل أو حـــرّفـــا
إن كـــان قـــولاً كـــافـــيـــاً فـــالـــذي قـــال بـــخـــمٍّ وحـــدَهُ قـــد كـــفـــى
قـــيـــل لـــه بـــلّـــغ فـــإنْ لـــم يـــكـــن مـــبـــلـــغـــاً عـــن ربّـــه مـــا وفـــى[٢]

فالشريف المرتضى يرى بأن هذا اليوم هو يوم شريف، أمر الله فيه رسوله أنْ ينصب عليّاً إماماً بعده على المسلمين فهذه المنزلة التي خص بها علياً أمرضت الأعداء وأتلفتهم وعلى الرغم من أن الأعداء بدلوا أو حرّفوا في هذا الأمر، فإن قول الرسول لعلي يكون كافياً بإمامته.

هكذا رأينا شعراء الشيعة نظموا آية التبليغ في أشعارهم واستشهدوا بها على إمامة علي وخلافته بعد رسول الله.

○ حديث المنزلة:

تناول بعض الشعراء الشيعة في معرض مدحهم لعليّ وبيان فضائله ومناقبه حديث المنزلة عندما خرج النبي لغزوة تبوك وخلّف عليّاً وراءه بالمدينة في النساء والصبيان فأرجف المنافقون وقالوا انما خلفه لأنه يبغضه

---

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٤٨. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٧١.
(٢) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٢٤.

فبلغ ذلك عليّاً فبكى واشتكى إلى النبيّ قائلاً: «أتخلفني في النساء والصبيان؟» فرد النبي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلةِ هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي؟»[١].

فنظم أبو القاسم الزاهي هذا الحديث بقوله:

أُقيم بخُمٍّ للخلافةِ حيدرٌ ... ومن قبلُ قال الطُّهرُ ما ليس يُنكرُ
غداة دعاهُ المصطفى وهو مزمعٌ ... لقصد تبوكٍ وهو للسير مضمرُ
فقال أقم عني بطيبة واعلمنْ ... بأنّك للفجار بالحقِّ تقهرُ
ولمّا مضى الطُّهرُ النبيُّ تظاهرت ... عليه رجالٌ بالمقالِ وأجهروا
فقالوا: عليٌّ قد قلاه محمدٌ ... وذاك من الأعداء إفكٌ ومنكرُ
فاتبعهُ دونَ المعرّس فانثنى ... وقالوا: عليٌّ قد أتى فتأخّروا
ولمّا أبانَ القولَ عمّن يقولهُ ... وأبدى له ما كان يُبدي ويضمرُ
فقالَ: أما ترضى تكون خليفتي ... كهارون من موسى؟ وشأنك أكبرُ
وعلاّه خير الخلق قدراً وقدرةً ... وذاكَ من اللهِ العليِّ مقدّرُ
وقال رسولُ الله: هذا إمامكمْ ... لهُ اللهُ ناجى أيُّها المتحيرُ[٢]

فأبو القاسم الزاهي نظم حديث المنزلة وأشار إلى أن الله قد قدّر لعليّ تلك المنزلة الرفيعة والنبي قد أكدّ إمامته على المسلمين لما له من منزلة عند الله.

ونظم الناشيء الصغير هذا الحديث في قصيدة مطلعها:

ألا يا خليفة خير الورى ... لقد كفر القومُ إذ خالفوكا

---

(١) راجع الدكتور أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، ص ٢٢٣. وما بعده حول رواة هذا الحديث.

(٢) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٥.

ويقول فيها:

أدلُّ دليل على أنّهم أبَوْكَ وقد سمعوا النصّ فيكا
خلافهمُ بعد دعواهم ونكثهُمُ بعدما بايعوكا
فيا ناصر المصطفى أحمد تعلمت نصرته من أبيكا
وناصبتُ نُصّابه عنوةً فلعنة ربي على ناصبيكا
فأنت الخليفة دون الأنام فما بالهم في الورى خلّفوكا
ولا سيما حين وافيتهُ وقد سار بالجيش يبغي تبوكا
فقال أناسٌ: قلاه النبي فصرتَ إلى الظّهر إذ خفّضوكا
فقال النبيُّ جواباً لما يؤدي إلى مسمع الطهر فوكا
:ألم ترضَ إنا على رغمهم كموسى وهارون إذ وافقوكا
ولو كان بعدي نبيٌّ كما جعلتُ الخليفة كنت الشريكا
ولكنني خاتم المرسلين وأنت الخليفة إن طاوعوكا
وأنت الخليفة يوم انتجاك على الكور حينا وقد عاينوكا
يراك نجيّاً له المسلمون وكان الإله الذي ينتجيكا
على فم أحمد يوحي إليك وأهل الضغاين مستشرفوكا
وأنت الخليفة في دعوة العشيرة إذ كان فيهم أبوكا
ويوم (الغدير) وما يومه ليترك غدراً إلى غادريكا
لهم خلفٌ نصروا قولهم ليبغوا عليك ولم ينصروكا
إذا شاهدوا النصّ قالوا لنا توانى عن الحقّ واستضعفوكا
فقلنا لهم: نصُّ خير الورى يُزيل الظنون وينفي الشكوكا[1]

هكذا نلاحظ بأن الناشيء الصغير قد نظم هذا الحديث للدلالة على أن

(١) نفس المرجع، ج٤، ص ٢٥.

علياً هو الخليفة بعد النبي وذلك لما له من مواقف عظيمة في الإسلام وما فعله لإعلاء هذا الدين الحنيف، وقد أقامه الرسول يوم غدير خم خلفاً له لكي لا يبقى عذرا لأعدائه ومخالفيه.

○ حبُّ علي والإخلاص له:

والشعراء الشيعة عبروا عن حبهم وتفانيهم لعلي بن أبي طالب بأرقّ الأشعار وأجمل القصائد وأحلى المعاني وأجزل الألفاظ، وكان حبهم منبثقاً من الصميم وتفانيهم منبعثاً من إيمانهم العميق بعلي لما تحلّى به من الأخلاق والفضائل العالية والمنزلة الرفيعة التي حاز عليها بفضل ورعه وحرصه في الحفاظ على الإسلام ومصالح المسلمين.

فابن الرومي يعبر عن حبه لعلي بن أبي طالب بقوله:

يا هند لم أعشق ومثلي لا يرى ... عشق النساءِ ديانةً وتحرُّجا
لكنّ حبيِّ للوصيِّ مخيّمٌ ... في الصدرِ يسرحُ في الفؤاد تولّجا
فهو السِّراج المستنير ومَن به ... سبب النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبة لم أجد ... يوم القيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي: أأترك مستقيم طريقة ... جهلاً وأتّبع الطريق الأعوجا؟
وأراه كالتبر المصفّى جوهراً ... وأرى أسواه لناقديه مبهرجا
ومحلّه من كلِّ فضل بيِّن ... عال محلّ الشمس أو بدر الدجا
قال النبي له مقالاً لم يكن ... يوم (الغدير) لسامعيه مجمجما
من كنت مولاهُ فذا مولى له ... مثلي وأصبح بالفخار متوّجا[1]

لقد خيّم حب علي في صدر الشاعر واستقر في فؤاده، فعليٌّ هو السراج المنير، الذي يضيء الطريق وهو سبب النجاة من عذاب يوم

(١) الأميني: الغدير، ج٣، ص ٢٩. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٠.

القيامة، فإذا ما ترك الشاعر حبه لم يجد من يخلّصه من ذنوبه يوم الحساب، ولا يرى من الصواب ترك الطريق المستقيم واتباع سبيل الضلال. ويشير الشاعر إلى قول الرسول ﷺ في يوم الغدير بشأن علي بن أبي طالب ويضيف بأن عليّاً يكفيه فخراً أن جعله النبيّ مولى للمؤمنين وخليفة للمسلمين.

والمفجع في قصيدته (الأشباه) يرد على من لامه لحبه علياً ويقول:

أيها اللائمي لحبّي عليّا ... قم ذميماً إلى الجحيم خزيّا
أبخير الأنام عرّضتَ؟ لازلـ ... ـت مذوداً عن الهدى مزويّا
أشبه الأنبياء كهلاً وزولاً ... وفطيماً وراضعاً وغذّيا
كان في علمه كآدم إذ عـ ... ـلّمَ شَرح الأسماء والمكنيّا
وكنوحٍ نجا من الهلك مَن سـ ... ـيرّ في الفلك إذ علا الجوديّا
وعليٌّ لما دعاه أخوه ... سبق الحاضرين والبدويّا
وله من أبيه ذي الأيدي اسـ ... ـماعيل شبهٌ ما كان عنّي خفّيا
إنه عاون الخليل على الكعبة ... إذ شاد ركنها المبنيّا
ولقد عاون الوصي حبيب الله ... إذ يغسلان منها الصفيّا
رام حمل النبي كي يقلع الأصنـ ... ـام عن سطحها المثول الجثيّا
فحناه ثقل النبوة حتى ... كاد ينآد تحته مثنيّا
فارتقى منكب النبيِّ عليٌّ ... صنوه ما أجلَّ ذاك رُقيّا
فأماط الأوثان عن ظاهر الكعـ ... ـبة ينفي الأرجاس عنها نفيّا
ولو أن الوصيَّ حاول مس النجم ... بالكف لم يجده قصيّا
أفهلْ تعرفون غير عليٍّ ... وابنه استرحلَ النبيِّ مطيّا؟
لم يكن أمره بدوحات (خمٍ) ... مشكلاً عن سبيله ملويّا
إن عهد النبيِّ في ثقليه ... حجّةٌ كنت عن سواها غنيّا

نصبَ المرتضى لهم في مقامٍ لم يكن خاملاً هناك دنيّا
علماً قائماً كما صدع البد ر تماماً دُجنّة أو دُحيّا
قال: هذا مولًى لمن كنت مولا ه جهاراً يقولها جهوريّا
ووال يا ربِّ من يُواليه وانصر ه وعاد الذي يعادي الوصيّا
إنّ هذا الدُّعا لمن يتعدى راعياً في الأنام أم مرعيّا
لا يبالي أمات موت يهودٍ من قلاه أو مات نصرانيّا
من رأى وجهه كمن عبد الله مديم القنوت رهبانيّا
كان سؤل النبيِّ لما تمنى حين أهدوه طائراً مشويّا
إذ دعا الله أن يسوق أحبّ الخلقِ طرّاً إليه سوقاً وحيّا
فإذا بالوصيِّ قد قرع البا ب يريد السلام ربانيّا
فثناه عن الدخول مراراً أنسٌ حين لم يكن خزرجيّا
وذخيراً لقومه وأبى الرّ حمان إلاّ إمامنا الطالبيّا
ورمى بالبياض من صدّ عنه وحبا الفضل سيداً أريحيّا[1]

يرد المفجع على من لامه لحبه علياً ويقول كيف تعرض بخير الناس وقد أشبه عليٌّ الأنبياء منذ كان رضيعاً وفطيماً وشاباً وكهلاً وكان في علمه كآدم أبو البشر وكنوح إذ نجا كل من لاذَ به، وكان أول من لبّى دعوة الرسول وكان شبيهاً بإسماعيل لما عاون الخليل في تشييد الكعبة وبناء ركنها فقد عاون رسول الله في إزالة الأصنام والأوثان وارتقى منكب النبي فأطاح بالأوثان التي كانت قائمة على الكعبة ويضيف الشاعر بقوله بأن علياً إن أراد مس النجم بكفه لم يجد ذلك صعباً عليه ويشير الشاعر إلى قصة الحسنين عندما صعدا على ظهر رسول الله وهو ساجد في صلاته، وينتقل

(١) الأميني: الغدير، ج٣، ص ٣٥٣ - ٣٥٤. ومعجم الأدباء: الحموي، ج١٧، ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

الشاعر إلى سر واقعة الغدير وكيف أن النبي أوصى له بالإمامة بعده ودعا الله أن يوالي وليه وأن يعادي عدوه. ويقول من رأى وجه علي كمن عبد الله وهنا يذكر الشاعر حديث الطائر المشوي ويختم قصيدته بقوله بأن أنس بن مالك الذي لم يشهد لعلي في يوم الرحبة وصد عنه قد جازاه الله ببياض في عينيه وهكذا نرى الشاعر في هذه القصيدة يعلل سبب حبه وولائه لعلي بذكر فضائله ومناقبه بأسلوب قصصي بسيط يستشهد فيها بأحاديث عديدة مما يدل على مقدرة الشاعر في نظم هذه الأحاديث في قصيدة واحدة وبراعته في سردها بهذا الأسلوب الجميل.

وابن حماد العبدي يشير إلى حب علي بقوله:

ولاء المرتضى عُددي ... ليومي في الورى وغدي
أمير النحل مولى الخلق ... في (خُمّ) على الأبدِ
غداة يبايعون المرتضى ... أمراً بمدِّ يدِ
شبيه المصطفى بالفضـ ... ـل لم ينقص ولم يزدِ
وجنب الله في كتبٍ ... وعين الواحد الصمدِ
فلن تلد النسا شبهاً ... له كلاّ ولم تلدِ
مجلّى الكرب يوم الحرب ... في بدر وفي أُحدِ
وخيبر والنُّضير كذا ... وسلع خندق البلدِ
إذ الهيجاء هاج لها ... بقلب غير مرتعدِ
ترى الأبطال باطلةً ... لخوف الفارس الأسدِ
فأنفسهم مودعةٌ ... لهم بتنفس الصعدِ
وقد خفتوا لهيبته ... فلست تحسُّ من أحد
فلم تسمع لغير البيض ... فوق البيض والزردِ[1]

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٥٢ - ١٥٣.

فالعبدي يعدُ حبّ علي زاد الإنسان وعدّته في يوم القيامة، فهو أمير النحل ومولى الخلق، أقامه رسول الله إماماً يوم غدير خم على المسلمين، ويشبه الشاعر برسول الله في الفضل والمنزلة فالنساء لن تلدن مثله قط، فهو كاشف الكرب في يوم بدر وأُحد وخيبر والنضير والسلع والخندق، وقد خاض الحروب دون وجل وخوف وكان الأبطال يخافونه ويخشون منه. فالشاعر في هذه القصيدة استعمل ألفاظاً سهلة ووزناً خفيفاً يسهل حفظها وشيوعها بين الشيعة.

* * *

○ فضائل علي ومناقبه

وقد حرص الشعراء الشيعة على ذكر وصية الرسول لعلي يوم غدير خم عند استقصاء مناقب علي وفضائله واستيفائها في القصيدة الواحدة.

فهذا أبو القاسم الزاهي يروي عدداً من فضائل علي ومناقبه بأسلوب روائي جميل يجاري ما فعله الشعراء الشيعة السابقون كالسيد الحميري.. استمع إليه يقول:

لا يهتدي إلى الرشاد من فحصْ ... إلاّ إذا والى عليّاً وخلصْ
ولا يذوق شربةً من حوضهِ ... من غمس الولا عليه وغمصْ
ولا يشمُّ الرَّوح من جنانهِ ... من قال فيه مَن عداه وانتقصْ
نفس النبيِّ المصطفى والصنو والخل ... يفة الوارث للعلم بنصْ
من قد أجابَ سابقاً دعوته ... وهو غلامٌ والى الله شخصْ
ما عرف اللاّت ولا العزّى ولا ... انثنى إليهما ولا حبَّ ونصْ
مَنْ ارتقى متن النبي صاعداً ... وكسَّر الأوثان في أولى الفرضْ
وطهَّر الكعبةَ من رجسٍ بها ... ثمّ هوى للأرضِ عنها وقمصْ

مَنْ قدْ فدا بنفسهِ محمداً ... ولم يكن بنفسهِ عند حرصْ
وبات من فوق الفراش دونه ... وجاد فيما قد غلا وما رخصْ
من كان في بدرٍ ويوم أُحدِ ... قطُّ من الأعناص ما شاء وقصْ
فقال جبريلُ ونادى: لا فتى ... إلاّ عليٌّ عمَّ في القول وخصْ
من قدَّ عمرو العامريَّ سيفه ... فخرَّ كالفيل هوى، وما قحصْ
وراء ما صاح: ألا مبارزٌ ... فالتَوتِ الأعناق تشكو من وقصْ
من أُعطيَ الرايةَ يوم خيبرٍ ... من بعد ما بها أخو الدعوى نكصْ
وراح فيها مبصراً مستبصراً ... وكان أرمداً بعينيه الرمصْ
فاقتلع الباب ونال فتحه ... ودكّ طود مرحبٍ لمّا قعصْ
من كسح البصرة من ناكثها ... وقصّ رجل عسكر بما رقصْ
وفرّق المال وقال: خمسةٌ ... لواحد فساوت الجند الحصصْ
وقال في ذي اليوم يأتي مددٌ ... وعدّه فلم يزد وما نقصْ
ومن بصفيّن نضا حسامهُ ... ففلق الهام وفرّق القصصْ
وصدّ عن عمرو وبسر كرماً ... إذ لقيا بالسوأتين من شخصْ
ومن أسالَ النهروان بالدما ... وقطّع العرق الذي بها رهصْ
وكذّب القائلَ أن قد عَبروا ... وعدّ من يحصد منهم ويحصْ
ذاك الذي قد جمع القرآن في ... أحكامه للواجبات والرُّخصْ
ذاك الذي آثر في طعامه ... على صيامة وجاد بالقُرصْ
فأنزلَ الله تعالى هل أتى ... وذكر الجزاء في ذاك وقصْ
ذاك الذي استوحش منه أنسٌ ... أن يشهد الحقَّ فشاهد البرصْ
إذ قال: مَنْ يشهد بالغدير لي ... فبادر السامعُ وهو قد نكصْ
فقال: أنسيت فقال كاذب ... سوف ترى ما لا تواريه القمصْ
يا بن أبي طالب يا من هو مِن ... خاتم الأنبياء في الحكمة فُصْ

فضلك لا ينكرُ لكن الولا قد ساغه بعض وبعضٌ فيه غصْ
فذكره عند موالـيك شفا وذكره عند معاديك غصصْ
كالطير بعضٌ في رياض أزهرت وابتسم الورد وبعضٌ في قفصْ[1]

وأنت ترى حرص الشاعر على حشر كل هذه الصفات والمناقب والفضائل حشراً وكيف ذكرها متتالية في هذه القصيدة. لقد اعتمد الشاعر الأسلوب القصصي واستعمل الوزن الخفيف في نظم القصيدة، فالسهولة ظاهرة للعيان يتوخى الشاعر من ذلك كله أن تكون القصيدة سهلة الحفظ تتناقله الصدور وتلذه الأسماع. يعتقد الزاهي بأن المسلم لا يمكن أن يسلك الصراط المستقيم إلا إذا والى علي بن أبي طالب وشايعه وأخلص له فعلي هو نفس الرسول وخليفته ووارث علمه وقد سبق غيره إلى الإسلام وهو لا يزال غلاماً وقد كرم الله وجهه عن عبادة الأوثان فما سجد لصنم قط وارتقى منكب الرسول وكسر الأصنام وطهر الكعبة من الأوثان، وقد وقى النبي بنفسه إذ بات في فراشه عندما أراد الهجرة إلى المدينة وهو أيضاً بطل الإسلام في بدر وأُحد والخندق وخيبر وصفين والنهروان، وقد نادى جبريل باسمه وقال لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار. أنه قتل عمرو بن ود العامري يوم الخندق وقد أُعطي الراية يوم خيبر بعد أن رجع أكثر من صحابي مقهوراً أمام الأعداء وهو يومذاك أرمد العين وقد اقتلع باب خيبر وفتح الباب ودك مرحباً قائد اليهود وحارب الناكثين في البصرة وفرق أموال المسلمين بينهم بالتساوي وحارب الكفار في صفين وأسال دماء الكفار يوم النهروان وجمع القرآن وطبق أحكامه، وواجباته، فقد تصدق بطعامه للمسكين واليتيم والأسير وبقي صائماً فأنزل الله تعالى سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ في حقه وذكر جزاء عمله وأشار أبو القاسم الزاهي في نهاية القصيدة إلى الحادثة التي وقعت لأنس بن مالك، إذ كان من الذين شهدوا يوم غدير

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٣٨٨ - ٣٩٠.

خم، وكان حاضراً يوم الرحبة في الكوفة ولم يقم حين ناشد علي أصحاب رسول الله أن يشهدوا بما رأوه، فقال له علي: ما لك لا تقوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته يومئذ منه؟ فقال يا أمير المؤمنين كبرت سني ونسيت. فقال علي: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا تواريها العمامة، فما قام حتى ابيض وجهه برصاً[١].

وفي قصيدة أخرى ذكر الزاهي وصية رسول الله لعلي يوم الغدير في معرض مدح علي بن أبي طالب وذكر مناقبه وفضائله وصفاته ورد على أعداء علي بقوله:

دع الشناعات أيُّها الخدعة ... واركن إلى الحقّ واغدُ متّبعهْ
مَن وحّدَ الله أوّلاً وأبى ... إلا النبيَّ الأميَّ واتبعهْ
مَنْ قال فيه النبيُّ: كان مع ... الحقّ عليٌّ والحق كان معهْ
منْ سلَّ سيف الإله بينهم ... سيفاً من النور ذو العلى طبعهْ
منْ هزّم الجيش يوم خيبرهم ... وهزّ باب القموص فاقتلعهْ
منْ فرّض المصطفى ولاه على ... الخلق بيوم (الغدير) إذْ رفعهْ
أشهدُ أنّ الذي تقول به ... يعلم بطلانه الذي سمعه[٢]

فنحن نرى أن الإشارة تتكرر مؤكدة أن علي بن أبي طالب كان أول الموحدين السابقين إلى الإسلام وقد قال النبي فيه: «علي مع الحق والحق مع علي»، وأنه حارب المشركين وسل سيفه بوجه الناكثين وهزم جيش اليهود في خيبر وخز باب خيبر واقتلعه، وقد أوجب رسول الله ولايته على الناس في يوم الغدير.

---

(١) عبد الحسين شرف الدين: المراجعات، حاشية ص ٢١٢. وأحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة، ص ٢١٣.

(٢) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٣٩.

والصاحب بن عباد يمدح الإمام علي واستقصى مناقبه الكثيرة في قصيدته التالية نظمها بصيغة حوار قل نظيره في الأدب العربي وأشار فيها إلى غدير خم. يقول الشاعر:

قالت: فمنْ صاحب الدين الحنيف أجب؟

فقلت: أحمد خير السادة الرُّسُلُ

قالت: فمنْ بعده تصفى الولاءُ له؟

قلت: الوصيّ الذي أربى على زُحلِ

قالت: فمنْ بات من فوق الفراش فدى؟

فقلت: أثبتُ خلق اللهِ في الوهلِ

قالت: فَمنْ ذا الذي آخاه عن مقةٍ؟

فقلت: من حاز ردَّ الشمسِ في الطفلِ

قالت: فَمنْ زوّج الزهراء فاطمةٌ؟

فقلت: أفضل من حافٍ ومنتعلِ

قالت: فَمنْ والد السبطين إذ فرعا؟

فقلت: سابق أهل السبقِ في مهلِ

قالت: فَمنْ فاز في بَدر بمعجزها؟

فقلت: أضرب خلق الله في القللِ

قالت: فَمنْ أسد الأحزاب يفرسها؟

فقلت: قاتل عمرو الضيغم البطلِ

قالت: فيوم حُنين من فرا وبرا؟

فقلت: حاصد أهل الشرك في عجلِ

قالت: فَمنْ ذا دُعي للطير يأكله؟

فقلت: أقرب مَرضيٍّ ومنتحلِ

قالت: فَمنْ تلوه يوم الكساء أجب؟

فقلت: أفضل مكسوٍّ ومشتملِ

قالت: فَمنْ ساد في يوم (الغدير) أبنْ؟

فقلت: من كان للإسلا م خير ولي

قالت: ففي من أتى في هل أتى شرفٌ؟

فقلت: أبذل أهل الأرض للنفلِ

قالت: فمن راكعٌ زكّى بخاتمه؟

فقلت: أطعنهم مذ كان بالأُسلِ

قالتْ: فمنْ ذا قسيم النار يسهمها؟

فقلتُ: منْ رأيه أذكى من الشّعلِ

قالت: فمنْ باهل الطهّر النبيُّ به؟

فقلت: تاليه في حلٍّ ومُرتحلِ

قالت: فمنْ شبه هارون لنعرفه؟

فقلت: مَنْ لم يحل يوماً ولم يزلِ

قالت: فمنْ ذا غدا باب المدينة قل؟

فقلت: مَنْ سألوهُ وهو لم يسلِ

قالت: فَمنْ قاتل الأقوامَ إذ نكثوا؟

فقلت: تفسيره في وقعة الجملِ

قالت: فَمنْ حارب الأرجاس إذ قسطوا؟

فقلت: صفّين تبدي صفحة العملِ

قالت: فَمنْ قارعَ الأنجاس إذ مرقوا؟

فقلت: معناه يوم النهروان جَلِيْ

قالت: فَمنْ صاحب الحوض الشريف غداً؟

فقلت: مَنْ بيته في أشرف الحللِ

قالت: فَمنْ ذا لواء الحمد يحمله؟

فقلت: مَنْ لم يكنْ في الرّوع بالوجلِ

قالت: أكلُّ الذي قد قلت في رجلٍ؟

فقلت: كلُّ الذي قد قلتُ في رجلِ

قالت: فمنْ هو هذا سمه لنا؟ فقلت: ذاك أمير المؤمنين علي[1]

ترى في هذه القصيدة كيف حشر الشاعر كل هذه الفضائل والمناقب والصفات في قصيدة واحدة وكيف ذكرها متتالية.. فذكر أن عليّاً هو الوصي بعد رسول الله، وقد بات في فراشه وآخاه الرسول، وردت عليه الشمس، وهو زوج فاطمة الزهراء، ووالد السبطين، وقد فاز ببدر وأسد الأحزاب، وقاتل عمرو وحاصد أهل الشرك يوم حنين، وقد دعي لأكل الطير مع الرسول، وكان من أصحاب الكساء، وساد يوم الغدير ونزلت فيه آية هل أتى، وهو قد زكّى بخاتمه وهو راكع في صلاته، وهو قسيم النار، وقد باهل النبي به، وهو شبه لهارون، وهو باب مدينة علم الرسول، وقد قاتل الناكثين في موقعة الجمل وحارب الأرجاس القاسطين في صفين والنهروان، وهو أيضاً صاحب الحوض واللواء.

فهذا شعر سهل غاية السهولة في معانيه وألفاظه وقد حرص الشاعر على الابتعاد عن التعقيد وتجنب الغريب ليفهمه الناس مهما كانت ثقافتهم ومستوياتهم وليسهل حفظه وانتشاره بين الشيعة.

وفي قصيدة ثانية يقول الشاعر:

---

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٤٠ - ٤١. وديوان الصاحب بن عباد: تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ص ٣٨.

يا كفو بنت محمد لولاك ما زُفّت إلى بشر مدى الأحقابِ
يا أصل عترة أحمد لولاك لم يكُ أحمد المبعوث ذا أعقابِ
كان النبيُّ مدينة العلم التي حوت الكمال وكنتَ أفضل بابِ
رُدّت عليك الشمس وهي فضيلة بهرت فلم تُستر بلفّ نقابِ
لم أحك إلاّ ما روته نواصبٌ عادت فهي مباحة الأسلابِ
عوملت يا تلو النبي وصنوه بأوابد جاءت بكلِّ عجابِ
قد لقبوك أبا تراب بعدما باعوا شريعتهم بكفِّ ترابِ
لم يعلموا أنَّ الوصيّ هو الذي أتى الزكاة وكان في المحرابِ
لم يعلموا أنّ الوصيَّ هو الذي حكم الغدير له على الأصحاب[1]

فنرى الإشارة تتكرر مؤكدة أن علياً زوج فاطمة وأصل عترة النبيِّ، لولاه لما كان للنبي أعقاب وهو باب مدينة علم رسول الله وردت عليه الشمس، وقد تصدق بخاتمه وهو في المحراب وأنه الوصي الذي تولى الخلافة يوم الغدير من دون صحابة الرسول.

والصاحب بن عباد يشير إلى يوم الغدير في معرض مدحه لعلي والإشادة بفضائله ومناقبه:

وكم دعوة للمصطفى فيه حُقّقَت وآمال من عادى الوصيَّ خوائبُ
فمن رمَدٍ آذاه جلاّه داعياً لساعته والريح في الحرب عاصبُ
من سطوةٍ للحرِّ والبرد رفّعت بدعوته عنه وفيها عجائب
وفي أيّ يومٍ لم تكن شمس يومهِ إذا قيلَ هذا يوم تقضى المآربُ؟
أفي خطبة الزهراء لما استخصّه كفأً لها والكلُّ من قبل طالبُ؟
أفي الطير لمّا قد دعا فأجابه وقد ردّه عنه غبيٌّ مواربُ؟

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٤١.

أفي رفعه يوم التباهل قدره؟ وذلك مجدُ ما علمت مواظُبُ
أفَي يوم خمٍّ إذ أشاد بذكره؟ وقد سمع الإيصاء جاء وذاهبُ
أيعسوب دين الله صنو نبيّه ومن حبُّه فرضٌ من الله واجبُ
مكانك من فوق الفراقد لائحٌ ومجدك من أعلى السماك مراقبُ
وسيفك في جيد الأعادي قلائدٌ قلائد لم يعكف عليهنّ ثاقبُ[1]

أنت ترى الشاعر قد حرص في قصائده الثلاث أن يذكر واقعة غدير خم في معرض مدحه لعلي بن أبي طالب وذكر فضائله ومناقبه.

وأبو محمد العوني يتناول واقعة غدير خم، ويؤكد على أن الله قد أمر رسوله بالوصاية لعلي بالخلافة وكذلك يذكر جملة من مناقبه:

إن رسول الله مصباح الهدى وحجة الله على كلِّ البشرْ
جاء بفرقان مبين ناطقٍ بالحقّ مِن عند مليكٍ مقتدرْ
فكان من أولّ من صدقه وصيّه وهو بسنٍ ما ثغرْ
ولم يكن أشرك بالله ولا دنّسَ يوماً بسجودٍ لحجرْ
فذاكمُ أوّلُ من آمن باللهِ ومن جاهد فيه ونصرْ
أولَّ من صلى مِن القوم ومَنْ طاف ومن حجّ بنسكٍ واعتمرْ
مَنْ شارك الطاهرَ في يوم العبا في نفسهِ؟ من شكّ في ذاك كفرْ
مَنْ جاد بالنفسِ ومن ضنّ بها في ليلةٍ عند الفراش المشتهرْ؟!
مَنْ صاحب الدار الذي انقضَّ بها نَجمٌ من الجو نهاراً فانكدرْ؟!
مَنْ صاحب الراية لمّا ردّها بالأمسِ بالذلّ قبيع وزفرْ؟
مَنْ خُصَّ بالتبليغ في براءةٍ؟ فتلك للعاقل من إحدى العبرْ
من كان في المسجد طلقاً بابه حلاّ وأبواب أُناس لم تذرْ؟!

(١) ديوان الصاحب بن عباد، ص ١٨٥. والأميني: الغدير، ج٤، ص ٤١ - ٤٢.

من حاز في (خُمٍّ) بأمر الله ذاك الفضل واستولى عليهم واقتدرْ؟!
من فاز بالدعوةِ يوم الطاير المشويِّ من خصّ بذاك المفتخرْ؟!
مَنْ ذا الذي أسرى به حتى رأى القدرة في حندس ليل معتكرْ؟!
مَنْ خاصف النعلْ؟ ومَنْ خبرّكمْ عنه رسول الله أنواع الخبرْ؟!
سايلْ به يوم حنين عارفاً من صدق الحرب ومن ولى الدبرْ؟!
كليم شمس الله والرّاجعها من بعدما انجاب ضياها واستترْ؟!
كليم أهل الكهف إذ كلمّهم في ليلة المسخ فسل عنها الخبرْ
وقصة الثعبان إذ كلّمه معرفاً بالفضل منه وأقرْ
بأنه مستخلف الله على الأ مةِ والرحمن ما شاء قدرْ
عيبةُ علم الله والبابُ الذي يؤتى رسول الله منه المشتهرْ[1]

فالعوني في قصيدته مدح علياً وأشار إلى مناقبه الجمة، فهو أول من صدق برسالة النبي وهو لا يزال حديث السن ولم يشرك بالله قط ولا سجد لصنم وهو أول المجاهدين والناصرين وأول من صلى من القوم وطاف وحجّ واعتمر، وقد شارك الرسول في يوم الكساء وبات في فراشه وجاد بنفسه وهو صاحب الراية وخُصّ في سورة البراءة وسدت جميع الأبواب في مسجد رسول الله ما عدا باب علي وقد حاز الفضل في يوم الغدير بأمر من الباري ﷻ . ولم يكتف الشاعر بالإشارة إلى هذه الجوانب المشرقة من فضائل علي فحسب وإنما ذكر عدداً من معجزاته وخوارقه وكراماته ومنها أن علياً كلم الشمس وأرجعها بعد أن مالت إلى المغيب وكلّم أهل الكهف والثعبان.

والعوني في هذه القصيدة يعمد إلى اختيار الوزن الخفيف والألفاظ السهلة مبتعداً عن الغريب وهو يؤثر أن يقول شعراً يفهمه عامة الناس وبهذه

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٢٥ - ١٢٦.

الطريقة يخدم عقيدته الشيعية وينشر فضائل ومناقب علي بن أبي طالب.

ويستقصي الشاعر في قصيدة ثانية فضائل الإمام علي ومناقبه ويشير إلى يوم الغدير بصورة مفصلة ويذكر قول عمر بن الخطاب في ذلك اليوم ويقول:

واللهُ ألبسهُ المهابة والحجى ... وربا به أن نعبد الأصناما
ما زال يغذوه بدين محمدٍ ... كهلاً وطفلاً ناشئاً وغلاما
أمّن سواه إذا أتى بقضيّةٍ ... طرد الشكوك وأخرس الحكاما
فإذا رأى رأياً يخالف رأيه ... قومٌ وإن كدّوا له الإفهاما
نزل الكتاب برأيه فكأنّما ... عقد الإله برأيه الاحكاما
من ذا سواه إذا تشاجرت القنا ... وأبى الكماة الكرّ والإقداما؟!
وتصلصلت حلق الحديد وأظهرت ... فرسانها التصجاج والاحجاما
ورأيت من تحت العجاج لنقعها ... فوق المغافر والوجوه قتاما
كشف الإله بسيفه وبرأيه ... يظمي الجواد ويرتوي الصمصاما
ووزيره جبريل يقحمه الوغى ... طوعاً وميكال الوغى إقحاما
أم من سواه يقول فيه أحمد ... يوم (الغدير) وغيره أيّاما
: هذا أخي مولاكمُ وإمامكم ... وهو الخليفة إن لقيت حماما؟!
منيّ كما هارون من موسى فلا ... تألوا لحقّ إمامكم إعظاما
إن كان هارون النبي لقومهِ ... ما غاب موسى سيّداً وإماما
فهو الخليفة والإمام وخير منْ ... أمضى القضاء وخفَّف الأقلاما
حتى لقد قال ابن الخطاب له ... لما تقوّض مَنْ هناك وقاما
أصبحت مولائي ومولى كل من صـ ... ـلّى لربِّ العالمين وصاما
غصنٌ رسول الله أثبت غرسه ... فعلا الغصون نضارةً ونظاما
حتى استوى علماً كما قد شاءه ... ربُّ السماء وسيّداً قمقاما

ما سامه في أن يكون مؤمّراً لفتًى ولا ولّى عليه اساما
فهو الأمير حياته ومماته أمراً من الله العليِّ لزاما
صلّى عليه ذو الجلال كرامةً وملائكٌ كانوا لديه كراما[1]

أشار الشاعر في هذه القصيدة إلى حصافة رأي الإمام علي وغزارة علمه وشجاعته ودفاعه عن عقيدته وذكر واقعة الغدير وكيف أن رسول الله أوصى به خليفة وإماماً بعده وأورد أيضاً في هذه القصيدة قول عمر بن الخطاب لعلي يوم غدير خم «بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة».

وابن حماد العبدي في قصيدته التالية يعتقد بأن علي بن أبي طالب أولى بالأمور بعد رسول الله لأنه أخ الرسول ونفسه عند المباهلة وصنوه وصهره ووالد الحسن والحسين فعلي لم يحفل للدنيا ولا نظير له وقد نبعت له عين ماء لما كان له من فضل ومنزلة، وقد زهد في الدنيا حتى أنه قال: «يا دنيا غري غيري»، ويروي الشاعر معجزة لفاطمة الزهراء بصورة مفصلة حيث إن أم أيمن جاءت إلى الزهراء فلما قربت الباب سمعت صوت طحن الرحا ولما قرعت الباب لم تسمع جواب من في الدار وذهبت إلى رسول الله وأخبرته بما سمعت وأبصرت فشكر رسول الله ربه على ما حبا فاطمة، حيث وجدها متعبة فألقى عليها النوم ووكل ملكاً ليقوم بالطحن. ويضيف الشاعر بأن علياً قد تزوج فاطمة بأمر ربه حيث إن علياً هو خير الرجال وفاطمة هي خير النساء ومهرها خير المهور وقد فضل الحسن والحسين خير الناس بنص من الله وجعل الله لمودتهم أجراً وثواباً، يقول العبدي:

لعمرك يا فتى يوم (الغدير) لأنت المرء أولى بالأمورِ
وأنتَ أخٌ لخير الخلق طُرّاً ونفسٌ في مباهلةِ البشيرِ

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٢٦ - ١٢٧.

وأنتَ الصنو والصهر المزكى ووالد شبرٍّ وأبو شبيرِ
وأنتَ المرء لم تحفل بدنيا وليس له بذلك من نظيرِ
لقد نبعت له عينٌ فظلّت تفورُ كأنها عنق البعيرِ
فوافاه البشير بها مغذاً فقال: عليّ: أبشر يا بشيري
لقد صيّرتها وقفاً مباحاً لوجه الله ذي العزّ القديرِ
وكان يقول: يا دنياي غرّي سواي فلست من أهل الغرورِ
وصابر مع حليلته الأذايا فنال خير عاقبة الصبّورِ
وقالت أمّ أيمن: جئت يوماً إلى الزهراء في وقتِ الهجيرِ
فلمّا دنوت سمعت صوتاً وطحناً في الرّحاء بلا مديرِ
فجئت الباب أقرعه نغوراً فما من سامعٍ لي في نغوري
فجئت المصطفى وقصصت شأني وما أبصرت من أمرٍ زعورِ
فقال المصطفى: شكراً لربٍّ بإتمام الحباء لها جديرِ
رآها الله متعبةً فألقى عليها النوم ذو المنِّ الكثيرِ
ووكّل بالرّحا ملكاً مديراً قعدت وقد ملئت من السرورِ
تزوج في السماء بأمر ربيّ بفاطمة المهذّبة الطهورِ
وصيّر مهرها خمس الأراضي بما تحويه من كرم وخيرِ
فذا خير الرِّجال وتلك خير النساء ومهرها خير المهورِ
وابناها الأولى فضلوا البرايا بتنصيص اللطيف بها الخبيرِ
وصيَّر ودّهم أجراً لطاها بتبليغ الرِّسالة في الأجورِ[1]

والعبدي يشير إلى واقعة غدير خم في قصيدة يمدح بها الإمام علياً ويذكر جملة من مناقبه ويقول:

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٤٣ - ١٤٤.

ما لعليّ سوى أخيه محمد في الورى نظيرُ
فداه إذ أقبلت قريشٌ إليه في الفرش تستطيرُ
وكان في الطائف انتجاهُ فقال أصحابه الحضورُ
: أطلت نجواك من عليٍّ فقال ما ليس فيه زورُ
: ما أنا ناجيته ولكن ناجاه ذو العزّة الخبيرُ
وقال في خمّ: إنَّ علياً خليفةٌ بعده أميرُ
وكان قد سدّ باب كلٍّ سواه فاستغرت الصدورُ
وأكثروا القول في عليٍّ بذا ودبّت له الشرورُ
فقال: ما تبتغون منه؟! وهو سميع لهم بصيرُ
ما أنا أوصدتها ولكن أوصدها الآمر القديرُ
يا قوم إنيّ امتثلتُ أمراً أوحاه لي الراحم الغفورُ
فكان هذا له دليلاً بأنّه وحده الظهيرُ[1]

فليس لعلي بن أبي طالب شبيه سوى رسول الله، فعلي فدى بنفسه النبيَّ حينما أرادت قريش قتله، وقد اختاره رسول الله بأمر ربّه وجعله خليفة بعده يوم غدير خم، وقد أوصد جميع الأبواب التي كانت تفتح على مسجد الرسول سوى باب علي بن أبي طالب وعندما أكثروا القول في علي قال لهم الرسول بأنه لم يسد الأبواب، بل هو أمر من الله وهو منفذه والشاعر يرى ذلك دليلاً على أن علياً هو الظهير الوحيد للنبي ﷺ.

والعبدي يروي واقعة الغدير ويبرهن للذين لا يقولون بخلافة علي، على أن علياً قد حاز هذا المقام لصفات توفرت فيه وجعلته أهلاً لخلافة المسلمين بعد رسول الله وقد أكّد إمامته قول رسول الله لعلي يوم غدير خم، يقول العبدي:

---

(١) نفس المرجع، ج٤، ص ١٤٧ - ١٤٨.

تـرومُ فـسـاد دلـيـل الـنـصـوص وقـصـراً لإجـمـاع مـا قـد جـمـعْ
ألـمْ تـسـتـمـع قـولـه صـادقـاً غـداة (الـغـديـر) بـمـاذا صـدعْ؟!
ألا إنّ هـــذا ولـــيٌّ لـــكـــم أطـيـعـوا فـويـلٌ لـمـن لـم يُـطـعْ
وقـال لـهُ: أنـتَ مـنـي أخـي كـهـارون مـن صـنـوه فـاقـتـنـعْ
وقـال لـه: أنـتَ بـابٌ إلـى مـديـنـةِ عـلـمـي لـمـن يـنـتـجـعْ
وقـال لـكـم: هـو أقـضـاكـمُ وكـلٌّ لـمـن قـد مـضـى مـتـبـعْ
ويـومَ بـراءة نـصَّ الإلـه جـلّ عـلـيـه فـلا تـخـتـدعْ
وسـمـاه في الـذكـر نـفـس الـرسـول يـوم الـتـبـاهـل لـمـا خـشـعْ
ويـومُ الـمـواخـاة نـادى بـهِ : أخـوكَ أنـا الـيـوم بـي فـارتـفـعْ
ويـومُ أتـى الـطـيـرُ لـمـا دعـا الـنـبـيُّ الإلـه وأبـدى الـضـرعْ
أيـا ربّ ابـعـث أحـبَّ الأنـام إلـيـك لـنـأكـل فـي مـجـتـمـعْ
فـلـم يـتـمـمُ الـنـبـيُّ الـدعـاءَ إلا قـد جـاء ثـم ارتـجـعْ
ثـلاثُ مـرار فـلـمّـا انـتـهـى إلـى الـبـابِ دافـعـه واقـتـلـعْ
فـقـال الـنـبـيُّ لـه: ادخـل فـقـد أطـلـت احـتـبـاسـك يـا ذا الـصـلـعْ
فـخـبّـره: أنّـه قـد أتـى ثـلاثـاً ودافـعـهُ مـن دفَـعْ
فـقـطـب فـي وجـه مـن رَدّهُ وأنـكـرَ مـا بـأخـيـه صَـنَـعْ
ووارثـه بـرَصـاً فـاحـشـاً فـظـلّ وفـي الـوجـه مـنـه بـقـعْ
فـفـيـم تـحـيـرتـمُ غـيـر مـن تـخـيّـره ربـكـمْ واصـطـنـعْ؟!
وكـيـف تـعـارضُ هـذي الـنـصـوص بإجـمـاع ذي الـحـقـد أو ذي الـطـمـعْ؟[1]

فالعبدي يرد على مخالف إمامة علي بن أبي طالب ويقول: كيف تخالف نصوصاً تثبت إمامته وهناك دلائل على إمامته منها: قول رسول الله

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص١٤٩. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج١، ص ٢٢٠.

يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقوله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وقوله أيضاً: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»، وقوله: «أقضاكم علي»، وفي سورة براءة نص الله على خلافته وباهل به الرسول المشركين وآخاه وقد دعا النبي يوم نزل عليه الطير ربّه أن يرسل إليه أحب الناس إليه ليشاركه الطعام فأتى علي ثلاثاً يقرع الباب فلم يسمح له أنس بن مالك بالدخول على رسول الله وقد دخل عليٌّ عنوة على رسول الله وأخبره ما صنع أنس وقد أنكر الرسول على أنس ما فعله وكانت نتيجة عمل أنس أن ابتلاه الله برصاً في وجهه... وينهي الشاعر قصيدته بقوله: كيف لا تقول بخلافة علي وقد اختاره الله لهذا المنصب؟، وكيف تعارض هذه النصوص وتنقاد لأقوال الحاقدين والطامعين؟.

أنت تلاحظ في هذه القصيدة اسلوباً قصصياً جميلاً تحس بأن الشاعر يقص عليك قصة بأسلوب لا تكلف فيه ولا تصنع وعبارات بعيدة عن التعقيد. وترى أيضاً قدرة الشاعر على سرد هذه الأبيات على هذا النحو.

والعبدي في قصيدة ثانية يذكر فضائل علي ومناقبه ويقول:

عليٌّ عليُّ القدر عند مليكه ... وإن أكثرت فيه الغواة ملامها
وعروته الوثقى التي من تمسّكت ... يداه بها لم يخش قطُّ انفصامها
فكم ليلة لليلاء لله قامها ... وكم ضحوةٍ مسجورة الحرِّ صامها
وكم غمرة للموت في الله خاضها ... وأركان دين للنبي أقامها
فواخاه من دون الأنام فيا لها ... غنيمة فوز ما أجلَّ اغتنامها
ووالاه في يوم (الغدير) على الورى ... فأصبح مولاه وكان إمامها
هو المختلي في بدر أرؤس صيدها ... كما تختلي شهب البزاة حمامها
وصاحب يوم الفتح والرايّة التي ... برجعتها أخرى الإلّه دلامها
فقال: سأعطيها غداً رجلاً بها ... مُلّباً يُوفيٌ حقها وذمامها

وقال له: خُذْ رايتي وامضِ راشداً فما أنا أخشى من يديك انهزامها
فمرَّ أمير المؤمنين مشمّراً برايته والنصر يسري أمامها
وزجّ بباب الحصن عن أهل خيبرٍ وسقىّ الأعادي حتفها وحمامها
وجدّلَ فيها مرحباً وهو كبشها وأوسع آناف اليهود ارتغامها
وسل عنه في سلع وعن عظم فعله بعمرو ونار الحرب تذكى اضطرامها
وأفئدة الأبطال ترجف هيبةً وقد أخفت الرُّعب الشديد كلامها
فقام إليه من أقام بسيفه حلائله ثكلى تطيل التدامها
وقال: على تأويل ما الله منزلٌ تقاتل بعدي يا عليُّ طغامها
فقاتل جيش الناكثين لعهدهم وأثكل يوم القاسطين شئامها
وأجرى بيوم المارقين دماءهم وأخلى من الأجسام بالسيف هامها[1]

نلاحظ أن العبدي في هذه القصيدة قد أشار إلى منزلةٍ علي وعلوّ قدره عند الله سبحانه وتعالى وهذه المنزلة الرفيعة جاءته نتيجة عبادته وصومه وتفانيه في سبيل الإسلام وإقامة أركان الدين الجديد. ويذكر الشاعر وصية الرسول لعلي يوم غدير خم ويروي لنا بصورة مفصلة معركة خيبر وشجاعته فيها وفي كل من حرب بدر وسلع وغيرها من الحروب التي خاضها المسلمون مع أهل الشرك.

* * *

○ مدح أهل البيت:

تناول الشعراء الشيعة مسألة وصاية الرسول لعلي بن أبي طالب بالخلافة يوم غدير خم ونظموا واقعة الغدير في معرض مدحهم آل البيت

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٥١ - ١٥٢.

وذكر مناقبهم والإشادة بفضائلهم ووجوب موالاتهم ومحبتهم والصلاة عليهم وضرورة أن تكون الخلافة فيهم.

فالسيد الحميري يقول بهذا الصدد:

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمدٍ ... ولا عهده يوم (الغدير) مؤكدا
فإنّي كمن يشري الضلالة بالهدى ... تنصّر من بعد الهدى أو تهوّدا
وما لي وتيماً أو عدّياً وإنما ... أولو نعمتي في الله من آل أحمدا
تتمّ صلاتي بالصلاة عليهمُ ... وأدعو لهم ربّاً كريماً ممجّدا
بذلت لهم ودّي ونصحي ونصرتي ... مدى الدّهر ما سُمّيتُ يا صاح سيّدا
وإنَّ امرأً يلحى على صدق ودِّهم ... أحقُّ وأولى فيهمُ أن يفنّدا
فإن شئت فاختر عاجل الغمّ ظله ... وإلاّ فامسك كي تصان وتحمدا[1]

يذكر الشاعر وصية الرسول ﷺ لعلي يوم غدير خم ويرى أنه إذا لم يحفظ هذه الوصية المؤكدة فكأنّما اشترى الضلالة بالهدى وكأنه قد أصبح نصرانياً أو يهودياً بعد أن كان مسلماً. ويعتقد الشاعر بضرورة الصلاة على آل البيت والدعاء لهم ويرى أنه إذا لم يصلَّ عليهم فإنّ صلاته لن تقبل، ويشير الشاعر إلى ما بذله من أجل أهل البيت وما يبذله لهم مدى الدهر[2].

ولهذه الأبيات السابقة قصة ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ننقلها هنا للفائدة، دخل أبو الخلال العتكي - شيخ العشيرة، وكبيرها - على عقبة بن سلم والسيّد عنده، وقد أمر له بجائزة، فقال له: أيها الأمير: أتعطي هذه العطايا رجلاً ما يفتر عن سبِّ أبي بكر وعمر!؟ فقال له عقبة:

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج٤، ص ١٥١ - ١٥٢. والأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٥. وراجع أيضاً ديوان السيد الحميري، تحقيق شاكر هادي شكر، ص ١٦٤.

(٢) راجع محمد بن عبد العزيز الكفراوي - الشعر العربي بين التطور والجمود.

ما علمت ذلك، ولا أعطيته إلا على العشرة والمودة القديمة، وما يوجبه حقّه وجواره، مع ما هو عليه من موالاة قوم يلزمنا حقّهم ورعايتهم، فقال له أبو الخلال: فمرة - إن كان صادقاً - أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما ينسب إليه من الرفض، فقال: قد سمعك، فإن شاء فعل، فقال السيد:

إذا أنا لم أحفظ وَصاة محمدٍ ولا عَهْدَهُ يومَ الغديرِ مؤكدا... الخ

ثم نهض مغضباً، فقال أبو الخلال: أعذني من شره - أعاذك الله من السوء - أيها الأمير.

قال: قد فعلت، على ألا تعرض له بعدها[1].

والسيد يعلم أنه يذكر هذا عند عقبة بن مسلم، أمير البصرة لأبي جعفر المنصور، وأنه بهذا يهدم القضية العباسية، وينقض تلك النظريات والحجج التي أسسها المنصور ليحتج بها على استحقاقه للخلافة. ولكنها عقيدة الشيعة التي فنى فيها السيد، وتعبد بها، وجعلها لب حياته، وجوهرها، وغايتها[2].

في الأغاني: عن الحسن بن علي الدؤلي، كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء فتذكرنا السيد، فجاء، فجلس، وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة، فنهض، فقلنا: يا أبا هاشم: مم القيام؟ فقال:

إنّي لأكرَهُ أن أُطيلَ بمجلسٍ لا ذكر فيه لفضلِ آل محمدِ
لا ذكر فيه لأحمدٍ ووصيّه ونبيه، ذلك مجلسٌ نظفٌ ردي
إنّ الذي ينساهمُ في مجلسٍ حتى يفارقهُ لغيرُ مسددِ

وهكذا كان السيد شاعراً ينفق حياته في التشيع، حتى كاد يحيا فيه

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج٧، ص ٢٥٤.
(٢) الدكتور عبد الحسيب طه حميده: أدب الشيعة، ص ٣١٢.

ولهُ، ويخص آل محمد بمحبةٍ في القلب قد طويت عليها الأضلع، وهو يجاهر بهذا الحب ويدعو إليه، حتى في قصور الخلفاء العباسيين وولاتهم[١].

ويقول السيد في قصيدة ثانية:

على آل الرسول وأقربيه سلامٌ كلما سمع الحمامُ
أليسوا في السماء هم نجومٌ وهم أعلام عز لا يرامُ
فيا من قد تحيّر في ضلال أمير المؤمنين هو الإمامُ
رسول الله يوم غديرِ خمٍّ أناف به وقد حضر الأنامُ[٢]

فأنت ترى السيد الحميري يمدح آل الرسول ويشبههم بنجوم السماء ويؤكد للذي تحيّر في أمر الخلافة بأن علياً أمير المؤمنين هو الإمام بعد الرسول لأن النبي قد أقامه يوم غدير خم بحضور العدد الغفير من المسلمين إماماً بعده.

والناشىء الصغير يعرض في شعره لأهل البيت أو آل ياسين ويعدد مناقبهم ويذكر علياً ووصيه الرسول إليه يوم غدير خم وقول عمر بن الخطاب في ذلك اليوم (بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) ويورد الشاعر قول جبريل في علي (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار) ويشير إلى شجاعته في خندق وخيبر ويقول:

يا آل ياسين مَن يحبكمُ بغيرِ شكٍّ لنفسهِ نصحَا
أنتم رشادٌ من الضلال كما كلُّ فسادٍ بحبّكم صلحا

---

(١) الدكتور عبد الحسيب طه حميده - أدب الشيعة، ص ٣١٢، وراجع الدكتورة وداد القاضي: الكيسانية في التاريخ والأدب، ص ٣٢٤.

(٢) الأمين: أعيان الشيعة، ج٢، ص ١٥٢. والأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٣٠. وراجع أيضاً ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج١، ص ٢٧٣.

وكُلُّ مستحسنٍ لغيركمُ ... إن قيسَ يوماً بفضلكم قبحا
ما محيت آية النهار لنا ... وآيةُ الليل ذو الجلال محا
وكيف تحمى أنوار رشدكمُ ... وأنتم في دُجى الظلام ضُحى
أبوكمُ أحمد وصاحبهُ ... الممنوحُ من علم ربِّه منحا
ذاك عليٌّ الذي تفردُهُ ... في يوم (خُمّ) بفضله اتضحا
إذْ قال بين الورى وقام بهِ ... معتضداً في القيام مكتشحا
: من كنت مولاه فالوصيُّ له ... مولى بوحيٍ من الإله وحا
فبخبخوا ثمَّ بايعوه وَمَنْ ... يبايع الله مخلصاً ربحا
ذاك عليٌّ الذي يقول له ... جبريل يوم النزال ممتدحا
لا سيف إلا سيف الوصيِّ ولا ... فتى سواه إن حادثٌ فدحا
لو وزنوا ضربه لعمرو وأعمال ... البرايا لضربه رجحا
ذاك عليٌّ الذي تراجع عنه ... فتح سواه وسار فافتتحا
في يوم حضَّ اليهود حين أ ... قلَّ الباب من حصنهم وحين دحا
لم يشهد المسلمون قطّ رحا ... حرب وألفو سواه قطب رحى
صلى عليه الإله تزكيةً ... ووفق العبد ينشىء المدحا[1]

والناشىء الصغير يمدح آل البيت إذ عُرف الصواب بهم ونزل القرآن في بيوتهم ويعدد الشاعر مناقبهم ويتغنى بحبهم ويذكر شجاعة علي وإقدامه في الحرب وبيعته يوم غدير خم ويقص علينا الشاعر في آخر قصيدته فضيلة واحدة من فضائل علي، وهي أن عليّاً عزم الركوب، فلبس ثيابه، وأراد لبس الخف، فلبس أحد خفّيه، ثم هوى إلى الآخر ليأخذه، فانقضّ عقاب من السماء، فحلق به، ثم ألقاه، فسقط منه ثعبان أسود فكلمهُ عليٌّ ثم دخل في حجر، ويقول:

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٤ - ٢٥.

بآل محمدٍ عُرفَ الصوابُ وفي أبياتهم نزل الكتابُ
همُ الكلمات والأسماء لاحت لآدم حين عزّ له المتابُ
وهم حججُ الإله على البرايا بهم وبحكمهم لا يُستَرابُ
بقية ذي العُلى وفروع أصلٍ بحسنِ بيانهم وضح الخطابُ
وأنوارٌ ترى في كلِّ عصرٍ لإرشاد الورى فهمُ شهابُ
ذراري أحمد وبنو عليٍّ خليفته فهم لبُّ لبابُ
تناهوا في نهاية كلِّ مجدٍ فطهَّر خلقهم وزكوا وطابوا
إذا ما أعوز الطلاب علمٌ ولم يوجد فعندهمُ يُصابُ
محبتهم صراطٌ مستقيمٌ ولكن في مسالكه عقابُ
ولا سيما أبو حسنٍ عليٌّ له في الحرب مرتبةٌ تهابُ
كأنّ سنان ذابله ضميرُ فليس عن القلوب له ذهابُ
وصارمُهُ كبيعته بخمٍّ معاقدها من القوم الرّقابُ
عليٌّ الدرُّ والذَّهَبُ المصفى وباقي الناس كلهمُ ترابُ
إذا لم تبرمن أعدا علي فما لك في محبّته ثوابُ
إذا نادت صوارمه نفوساً فليس لها سوا نِعمَ جوابُ
فبين سنانه والدِّرع سلمٌ وبين البيض والبيض اصطحابُ
هو البكاء في المحراب ليلاً هو الضحَّاك إن جدَّ الضرابُ
ومن في خفِّهِ طرح الأعادي حباباً كي يلبسه الحبابُ
فحين أراد لبس الخفّ وافى يمانعهُ عن الخفّ الغرابُ
وطار به فأكفاهُ وفيه حبابٌ في الصعيد له انسيابُ
ومن ناجاه ثعبانٌ عظيم بباب الطهر ألقته السَّحابُ
رآه الناس فانجفلوا برعبٍ وأغلقت المسالك والرحابُ
فلما أن دنا منه عليٌّ تدانى الناس واستولى العجابُ

فكلّمهُ عليٌّ مستطيلاً وأقبل لا يخاف ولا يهابُ
ودنّ لحاجر وانساب فيه وقال وقد تغيّبه الترابُ
: أنا ملك مُسخت وأنت مولى دُعاؤك إن مننت به يجابُ
أتيتكَ تائباً فاشفع إلى من إليهِ في مهاجرتي الإيابُ
فأقبل داعياً وأتى أخوه يؤمّن والعيونُ لها انسكابُ
فلمّا أن أُجيبا ظل يعلو كما يعلو لدى الجدِّ العقابُ
وأنبت ريش طاووس عليه جواهر زانها التبر المذابُ
يقول: لقد نجوت بأهل بيتٍ بهم يُصلىٰ لظى وبهم يثابُ
همُ النبأ العظيم وفلك نوحٍ وباب الله وانقطع الخطابُ[1]

أما أبو محمد العوني فيتناول أهل البيت في شعره ويعدد مناقبهم ثم يذكر جملة من فضائل الإمام علي ويورد قول رسول الله في علي يوم غدير خم ويقول:

يا آل أحمد لولاكم لما طلعت
شمس ولا ضحكت أرض من العشبِ
يا آل أحمد لا زال الفؤاد بكم
صبا بوادره تبكي من الندبِ
يا آل أحمد أنتم خير من وخذتْ
به المطايا فأنتم منتهى الأربِ
أبوكمُ خير من يُدعى لحادثةٍ
فيستجب بكشف الخطب والكربِ

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٥ - ٢٦.

عـدل الـقـرآن وصـيّ الـمـصـطـفـى وأبـو
الـسـبـطـيـن أكـرم بـه مـن والـد وأبِ
بـعـلُ الـمـطـهـرة الـزّهـراء ذو الـحـسـب
لـطـهـر الـذي ضـمـه شـفـعـا إلـى الـنـسـبِ
مـن قـال أحـمـد فـي يـوم (الـغـديـر) لـهُ
من كـنـت مـولـى لـه فـي الـعـجـم والـعـربِ
فـإنّ هـذا لـه مـولـى ومـنـذره
يـا حـبّـذا هـو مـن مـولـى ويـا بـأبـي
من مثله؟ وهو مولى الخلق أجمعها
بـأمـر ربِّ الـورى فـي نـصِّ خـيـر نـبـي
يـأتـي غـداً ولـواء الـحـمـد فـي يـده
والـنـاسُ قـد سـفـروا مـن أوجـه قـطـبِ
حـتـى إذا اصـطـكـت الأقـدام زائـلـة
عـن الـصـراط فـويـق الـنـار مـضـطـربِ[1]

فالشاعر يخاطب أهل البيت ويقول: لولا أهل البيت لما طلعت شمس ونبت عشب على وجه الأرض فالفؤاد لا زال يصبو إليهم ويبكي من الندب عليهم وهو خير من وطأت أقدامهم الأرض فعلي خير من يدعى ويستجيب للدعاء بكشف الكرب فالقرآن أشار إلى فضله ومنزلته فهو وصي الرسول وأبو السبطين الحسن والحسين وزوج فاطمة الزهراء، فقد قال له رسول الله يوم الغدير: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ويتساءل الشاعر من مثل علي في هذه الصفات والمناقب فهو مولى الخلق بأمر الله وبوصية رسول الله

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٨٧ - ١٨٨.

ويضيف الشاعر بأن علياً يأتي يوم القيامة وفي يده راية فمن كان موالياً له فنصيبه الجنة ومن كان معادياً فجزاءه جهنم.

وابن حماد العبدي يدعو الناس إلى حب أهل البيت لأن ولاءهم واجب على كل مسلم، وحبهم يرضي الله سبحانه وتعالى ويسخط الشيطان الرجيم ويجلب رضا الله يوم القيامة، فآل محمد هم خير الورى ومنزلتهم عند الله أجل منزلة ومكانة، فهم أركان الدين والدنيا، إذا ما أحبهم مؤمن ينال الأمان في يوم القيامة، ومن يطعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الرحمن، هم الطريق المستقيم وحبهم يزيد من ثقل ميزان المؤمن يوم المعاد، فالله قد جعلهم نبراساً لخلقه يهدونهم إلى طريق الخير ويجنبونهم الضلال. فهم قد حفظوا الشريعة الإسلامية يردون عنها كل زور وبهتان، فالقرآن قد فرض طاعتهم على المسلمين وجاءت الأخبار بأن النبي قد أوصى المسلمين بموالاتهم وهنا يأتي الشاعر على فضل رسول الله والعلائم الدالة على صدق رسالته فقد أنزل الله عليه القرآن وفيه علماً غزيراً كاملاً ليكون برهاناً على بعثته، فقد نصب الرسول علياً وصياً بعده ليكمل دين الله وهنا يأتي إلى ذكر فضائل علي ويقول بأن نصب علي يوم الغدير لتعد فضيلة لا يمكن جحدها مطلقاً فهو قد شارك الرسول في أكل الطير وهذا الحديث غير قابل للإنكار، فقد أهدى إليه الله رماناً وأنزل فيه آية ﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ وجزاه الله الحور العين والولدان المخلدون، ويضيف الشاعر بأن رسول الله قد أكثر فضل علي حيث لم يعط سواه المزايا والمناقب.

ويختم الشاعر قصيدته بقوله: لا يوالي علياً إلا من كانت أمّه نجيبة حفظت شرف زوجها وأطاعت ربها وراعت ما أمرها الله سبحانه وتعالى يقول العبدي:

ارضِ الإلـه واسـخـط الـشـيـطـانـا تعط الرِّضا في الحشر والرِّضوانا
وأمـحـض ولاءك لـلـذيـن ولاؤهـم فـضٌ عـلـى مـن يـقـرأ الـقـرآنـا

آل النبي محمد خير الورى وأجّلهم عند الإله مكانا
قومٌ قوام الدين والدنيا بهم إذ أصبحوا لهما معاً أركانا
قومٌ إذا أصفى هواهم مؤمنٌ يعطى غداً ممّا يخافُ أمانا
قومٌ يطيع الله طائعُ أمرهم وإذا عصاه فقد عصى الرحمانا
وهم الصِّراط المستقيم وحبّهم يوم المعاد يثقل الميزانا
والله صيّرهم لمحنة خلقه بين الضلالة والهدى فُرقانا
حفظوا الشريعة قائمين بحفظها ينفون عنها الزّور والبهتانا
وأتى القرآن بفرض طاعتهم على كلِّ البريّةِ فاسمع القرآنا
وتوالت الأخبار أنّ محمّداً بولائهم وبحفظهم أوصانا
منْ سبحت في كفّه بيض الحصا ليكون ذاك لصدقه تبيانا
مَنْ أنزل اللهُ الكتاب عليه في كلِّ العلوم ليغتدي برهانا
مَنْ بلّغ الدنيا بنصب وصيّه يوم (الغدير) ليكمل الإيمانا
مَنْ ذا له يوم (الغدير) فضيلةٌ إذ لا تطيق لفضله جحدانا
مَنْ آكل الطير الذي لم يستطع خلقٌ له جحداً ولا كتمانا
مَنْ آكل القطف الجني على حرى وإليه أهدى ربّه رمّانا
مَنْ فيه أنزل هل أتى ربّ العُلى وجزاه حور العين والولدانا
مَنْ نصّ أحمد في مزاياه التي لم يعطها ربُّ العلى إنسانا
مَنْ لا يُواليه سوى ابن نجيبة حفظت أباه وراعت الرحمانا

المبحث الثاني:

الهجاء

تناول شعراء الشيعة وصية رسول الله لعلي يوم غدير خم في معرض هجائهم لأعداء عليٍّ وخصوم أهل البيت، كما أن بعض الشعراء هاجموا الخلفاء الراشدين الثلاثة وطعنوا ببيعتهم ورأوا أنّهم خالفوا وصية رسول الله يوم غدير خم واغتصبوا الخلافة من علي بن أبي طالب.

فمن الشعراء الذين هاجموا الخلفاء الراشدين الثلاثة، الشاعر العبدي الكوفي وذلك في قصيدته التي مطلعها:

هل من سؤالك رسم المنزل الخربِ
برءٌ لقلبك من داء الهوى الوصبِ؟!

يقول فيها:

اسمع أبا حسنٍ إنّ الأولى عدلوا ... عن حكمك انقلبوا عن شرِّ منقلبِ
ما بالهم نكبوا نهج النجاة؟ وقد ... وضحته واقتفوا نهجاً من العطبِ
ودافعوك عن الأمر الذي اعتقلت ... زمامه من قريش كفُّ مغتصبِ
ظلّت تجاذبها حتى لقد حزمتْ ... خشاشها تربت من كفّ مجتذبِ
وكأن بالأمس منها المستقيل فلِم ... أرادها اليوم لو لم يأتِ بالكذب؟
وأنت توسعه صبراً على مضضٍ ... والحلم أحسن ما يأتي مع الغضبِ
حتّى إذا الموت ناداه فأسمعه ... والموت داع متى يدع إمرأً يُجبِ
حبابها آخراً فاعتاض محتقباً ... منه بأفظع محمول ومحتقبِ
وكان أول من أوصى ببيعته ... لك النبيُّ ولكن حال من كثبِ
حتّى إذا ثالثٌ منهم تقمصها ... وقد تبدّل منها الجدُّ باللعبِ
عادت كما بُدأت شوهاء جاهلة ... تجرُّ فيها ذئابٌ أكلة الغلبِ

وكان عنها لهم في (خُمّ) مزدجرٌ لمّا رقى أحمد الهادي على قتبِ
وقال والناس من دانٍ إليه ومَنْ ثاوٍ لديه ومن مُصغٍ ومرتقبِ
: قم يا عليُّ فإنّي قد أمرت بأن أُبلّغ الناسَ والتبليغ أجدرُ بي
إني نصبتُ علياً هادياً علماً بعدي وإنّ عليّاً خير منتصبِ
فبايعوك وكلٌّ باسطٌ يدهُ إليكَ من فوق قلب عنك منقلبِ
عافوكَ لا مانعٌ طولاً ولا حصرٌ قولاً ولا لهجٌ بالعشّ والرِّيبِ
وكنت قطب رحى الإسلام دونهم ولا تدور رحًى إلا على قطبِ[1]

نلاحظ في هذه القصيدة بأن الشاعر يشير إلى أن الصحابة قد عدلوا عن حكم علي وانقلبوا عن ذلك شرّ منقلب، وتركوا الطريق الذي ينجيهم وسلكوا طريق الضلال. فالخليفة الأول تولى الخلافة بعد رسول الله وعلي صابر على مضض، وحينما حضرته الوفاة أوكلها إلى آخر أشد منه قسوة وخشونة، حتى إذا مات الخليفة الثاني تولاها ثالثهم، فتبدلت الخلافة في عهده ورجعت كما بدأت جاهلية شوهاء. ويرسم الشاعر صورة لمشهد يوم الغدير وقد صعد رسول الله على قتب والناس مصغون إليه يرقبون قوله فأمسك بيد علي ونصبه إماماً على المسلمين، حينذاك بايعه المسلمون وبسطوا إليه أيديهم لكن قلوبهم كانت تضمر له العداء والغدر، فهؤلاء تركوا علياً دون أن يعبأوا بقول رسول الله.

أنت ترى في هذه القصيدة بأن الشاعر يهاجم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ويطعن في بيعتهم ويرى أنّهم أخذوا ما ليس بحقهم وخالفوا وصية الرسول بخلافة علي بن أبي طالب يوم غدير خم.

ودعبل الخزاعي عرّضَ بالخلفاء الراشدين الثلاثة وأشار إلى أن هؤلاء غدروا بوصية رسول الله بقوله:

---

(١) الأميني: الغدير، ص ٢٩٠ - ٢٩٤.

يا خالَ وجَنتِها المخلَّدَ في لظىً ... ما خِلْتُ قبلكَ في الجحيم يُخلَّدُ
إلاّ الذي جَحَدَ الوصيَّ ومَنْ حكى ... في فضْلِهِ يومَ الغدير (محمدُ)
وغدا سليلُ (أبي قحافة) سيِّداً ... لَهُمُ، ولم يكُ قبلَ ذلك سيِّدُ
يا للرجالِ لأمَّةٍ ملعونةٍ ... سادت على السادات فيها الأعبدُ
أضحى به الأقصى البعيدُ مقرّباً ... والأقربُ الأدنى يذادُ ويُبْعَدُ
هذا تقدمَهُ غداةَ براءةٍ ... إذْ ردَّ وَهْوَ بفرطِ غيظٍ يكمِدُ
ويقولُ معتذراً: أقيلوني، وفي ... إدراكها قد كان قدماً يمهدُ
أيكون فيها المستقيلَ وقد غدا ... في آخر يُوصى بها ويؤكِّدُ
ثمَّ اقتضى نهجَ الضلالةَ بَعَدهُ ... فَظٌّ غليظُ القلب وَغْدٌ أنكدُ
فقضى بها خشِناً يغلّظُ كلِمةً ... ذلَّ الوَليُّ بها وعزّ المُفسِدُ
وأشار بالشُّورى فقرّبَ (نعثلاً) ... مِنْها، فبئسَ الخائنُ المتمردُ
فغدا لمالِ اللهِ في قربائهِ ... عمداً يُفرّقُ جمعَهُ ويُبدّدُ
وَنفى (أبا ذرٍّ) وقرَّبَ فاسقاً ... كان النبيُّ له يَصُدُّ ويطردُ
لعبوا بها حيناً وكلٌّ منهمُ ... في حُكمِها متحيّرٌ متردّدُ
ولو اقتدوا بإمامِهِمْ وَوَليِّهِمْ ... سَعدوا وكانَ هوَ الوليُّ الأسعدُ
لكِنْ شقوا بخلافهِ أبداً، وما ... سعِدوا به وهو الوصيُّ الأوكدُ
وسواه محزونٌ خلال (الغار) مِنْ ... حذَر المنيّةِ نفسُهُ تتصعَّدُ
وتُعدُّ مَنْقبةً لديهِ وإنّها ... إحدى الكبائرِ عند من يتفقّدُ[1]

فدعبل الخزاعي يهاجم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول الذين جحدوا وصية رسول الله، ويعجب كيف أن أبا بكر أصبح سيداً وخليفة على المسلمين، وكيف ساد العبيد على الأسياد، وكيف أضحى البعيدُ مقرّباً

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي: صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر، ص ٢٥٠.

والقريبُ مبعّداً؟. ويحمل الشاعر على أبي بكر ويرى أنّه لم يقل كلمته المشهورة إلاّ كذباً وكيف يقول ذلك وقد أوصى إلى الخليفة الثاني بعده وأكّد هذه الوصية. ويصف الشاعر الخليفة الثاني بكلمات قاسية جداً فهو فظ، غليظ القلب، وغدٌ، أنكدُ، لأنه اقتفى نهج أبي بكر، ويرى أنه قد قضى فترة خلافته يحكم الناس بخشونة وقسوة حتى صار الوليُّ ذليلاً والمفسد عزيزاً. والشاعر يتتبع سير الأحداث، إذ أشار الخليفة الثاني إلى أصحابه بالشورى، وهكذا أصبح عثمان خليفة بعده، ويورد الشاعر اسماً اشتهر به الخليفة الثالث وهو (نعثل) ويحمل عليه حملة شعواء قاسية، ويصفه بالخائن المتمرّد، لأنّه فرق أموال المسلمين بين أقاربه وبددها عليهم ونفى الصحابيّ أبا ذرّ وقرّب فاسقاً صدّه رسول الله وأبعده. فالخلفاء لعبوا بالخلافة، وكان كل منهم متحير ومتردد في حكمه. ويرى دعبل أنه إذا ما اقتدى هؤلاء الخلفاء الثلاثة بعلي وهو إمامهم ووليّهم لكانوا قد سعدوا، لكنهم شقوا لأن الخليفة والوصيّ كان علي بن ابي طالب. بعد ذلك يشير الشاعر إلى الخليفة الأول وكيف أنه دخل غار ثور مع رسول الله خائفاً حزيناً، حذراً من الموت. ولا يرى دعبل دخول أبي بكر مع رسول الله في الغار منقبة له بل يعتبره إحدى الكبائر.

يقول الدكتور محسن غياض عن هجاء دعبل:

«فدعبل الخزاعي قد أغرق في الهجاء وأسرف حتى عرف عنه واشتهر به وقرن لأجله. بشار والحطيئة ووصفته معظم كتب الأدب لأجل ذلك بأنه (هجاء خبيث اللسان) ولم يسلم أحدٌ من هجائه. ونحن لا ننكر ذلك ولا ندفعه عن الرجل، فالحق أن دعبلاً كان هجاء مقذعاً في الهجاء. والحق أنه أسرف على نفسه وعلى الناس في هذا الهجاء أيضاً. ولكننا ننكر أن يكون هذا الهجاء سبباً للتحامل على الرجل والطعن عليه كما فعل العقاد الذي قال: إنَّ دعبلاً هجاء مطبوع على الهجاء كلف به لذاته (لا جلباً لكسب أو درءاً لمساءة) ونحن نعتقد أن دعبلاً لم يكن كما صوّره العقاد

ولم يكلف بالهجاء لذاته وإنما كانت تدفعه إلى الهجاء أسباب ومبررات، وليس بغريب أن يهجو دعبل الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وإنما الغريب ألا يهجوهم. فهو كشاعر شيعي كان يرى فيهم مغتصبين للخلافة من أصحابها الشرعيين من العلويين، وكان يرى عدم شرعية خلافتهم ولا يراهم إلاّ ملوكاً غاصبين متجبرين. والهجاء لون من ألوان الكفاح السياسي عرفته الشيعة كما عرفته جميع الأحزاب السياسية الأخرى، وكذلك كان هجاء دعبل لرجال الدولة العباسية الذين كان يرى فيهم أعواناً لهؤلاء الخلفاء وسنداً لسلطانهم، فهجا إبراهيم بن المهدي لأنه خرج على المأمون لبيعته للإمام الرضا بولاية العهد، وهجا ابن داود لسعايته به عند المأمون والمعتصم وهكذا الحال مع الآخرين.

وإذن فقد كانت هناك أسباب قوية تدفعه إلى هذا الهجاء، وهي أسباب نابعة من عقيدته الشيعية كما ترى. وإنه لغريب حقاً أن يهجو دعبل هؤلاء الخلفاء والوزراء متعرضاً لغصبهم وسخطهم ومتكلفاً لعناء التشرد والتستر والخوف من السلطان لا شيء إلا لكلف بالهجاء وميل له فقط. ويضيف الدكتور عياض: وعجبٌ أن يقول العقاد: (فما اتفق الناس على إمام إلاّ وهجاه والحَّ في هجائه) وقد نسي الأستاذ العقاد أو تناسى أن دعبلاً وجميع الشيعة الآخرون لم يكونوا من هؤلاء الناس الذين يتفقون على خلافة أحد من العباسيين وإمامته، وإنما كانوا يرون بيعتهم باطلة أصلاً وخلافتهم غصباً[١].

ويحمل الشاعر في قصيدة ثانية حملة شعواء على الصحابة الذين عدلوا عن عهد علي في يوم الغدير ويقول:

مالت إلى الهَجْر من بعد الوصالِ وعهدُ الغانياتِ كفيءِ الظِّل مُنتقلُ

(١) الدكتور محسن غياض: التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، ص ٢١٤ - ٢١٥. وراجع أيضاً: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: الدكتور شوقي ضيف، ص ٩٣.

كمعشرٍ عَدِلوا عَن عهدِ (حيدرةٍ) وقاتلوُهُ بعُدوانٍ وما قبلوا
وَبَدّلوا قولَهُمْ يوم الغديرِ لهُ عذلاً وما عَدِلوا في الحكم بَلْ عَدَلوا
مالوا إليها سِراعاً والوصيُّ يرى والمصطفى عنهُمُ لاهٍ ومشتغِلُ
وقلّدوها (عتيقاً) لا أباً لهُمُ أنىّ تسودُ أسودُ الغابةِ الهملُ؟
وخاطبُوهُ أمير المؤمنينَ وَقَدْ تيقّنوا أنّهُ في ذاكَ منتحلُ
وأجمعوا الأمرَ فيما بينهُمْ وغَوتْ لهُمْ أمانيهمُ والجهلُ والأملُ
وأحرقوا منزلَ الزهراءِ (فاطمة) فيا لَهُ حادثٌ مستعصبٌ حَثَلُ
بيتٌ لمن كان (جبرائيلُ) سادِسَهُمْ مِنْ غَيْر ما سببٍ بالنار يشتعلُ
وأخْرَجَ المرتضى مِنْ عُقرِ منْزِلهِ بين الأراذلِ محتفٌ بهم وَكِلُ
يا للرجال لدينٍ قلَّ ناصِرُهُ ودولةٍ ملكتْ أملاكُها السَّفَلُ!
أضحى [بها] (ابن جُدْعانٍ) لها خَلفاً برُتبةِ الوَحيِّ مقرونٌ ومتّصِلُ[1]

فالشاعر يحمل على الصحابة الذين تركوا عهد عليٍّ وقاتلوه وبدّلوا ما قالوه يوم الغدير، وعدلوا عن ولاية عليٍّ وجعلوا الخلافة في أبي بكر في حين أن علياً كان مشغولاً بدفن النبيِّ ﷺ ويضيف الشاعر بأن هؤلاء خاطبوا أبا بكر بأمير المؤمنين وهم يعلمون أنه ليس جديراً بهذا اللقب وهم الذين أحرقوا منزل فاطمة الزهراء وقد كان منزلها مكاناً لجبريل، وأنّهم أخرجوا علياً من منزله عنوة ليبايع أبي بكر ويظهر الشاعر دهشته من دين قلّ ناصره ودولةٍ يديرها أناس وضيعون.

ومهيار الديلمي يحمل على الخلفاء الثلاثة ويقول في قصيدته التي مطلعها:

هل بعدَ مفترق الأضعان مجتمعُ؟! أم هل زمانٌ بهم قد فات يُرتجعُ؟!

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي: صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر، ص ٢٦٦. وراجع أيضاً: ديوان دعبل بن علي الخزاعي: عبد الصاحب عمران الدجيلي، ص ٢٨.

ويقول فيها:

هذي قضايا رسول الله مهملةٌ ... غدراً وشملُ رسول الله منصدعُ
والناس للعهد ما لاقوا وما قربوا ... وللخيانةِ ما غابوا وما شسعوا
وآله وهمُ آل الإلَه وهمْ ... رُعاة ذا الدين ضيموا بعده ورُعوا
ميثاقه فيهمُ ملقى وأُمتُّهُ ... مع من بغاهم وعاداهم له شيعُ
تضاعُ بيعته يوم (الغدير) لهمْ ... بعد الرِّضا وتحاط الرومُ والبيعُ
مقسَّمينَ بإيمان همُ جذبوا ... بيوعها وبأسياف همُ ظبعوا
ما بين ناشر حبلٍ أمس أبرمه ... تُعدُّ مسنونةً من بعده البدعُ
وبين مقتنص بالمكر يخدعه ... عن آجل عاجلٌ حلوٌ فينخدعُ
وقائلٌ لي: عليٌّ كان وارثه ... بالنصِّ منه فهل أعطوه؟! أم منعوا؟!
فقلتُ: كانت هناتٌ لست أذكرها ... يجزي بها اللهُ أقواماً بما صنعوا
أبلغْ رجالاً إذا سميتهم عُرفوا ... لهم وجوهٌ من الشحناء تمتقعُ
توافقوا وقناةُ الدين مائلةٌ ... فحين قامت تلاحوا فيه واقترعوا
أطاعَ أوّلهم في الغدرِ ثانيهم ... وجاء ثالثهم يقفوا ويتّبعُ
قفوا على نظر في الحقِّ تفرضه ... والعقلُ يفصُلُ والمحجوجُ ينقطعُ
بأيِّ حكم بنوه يتبعونكمُ ... وفخركم أنّكم صحبٌ له تبعُ؟!
وكيف ضاقت على الأهلين تربتهُ ... وللأجانب من جنبيه مضطجعُ؟!
وفيهم صيّرتمُ الإجماعَ حجّتكم ... والناسُ ما اتّفقوا طوعاً ولا اجتمعوا؟
أمرٌ (عليٌّ) بعيد عن مشورته ... مستكرهٌ فيه و(العباس) يمتنعُ
وتدّعيهِ قريشٌ بالقرابة والأ ... نصار لا رفعٌ فيه ولا وُضعُ
فأيّ خُلف كخلف كان بينكمُ ... لولا تلفّق أخبارٌ وتصطنعُ؟!
وأسألهمُ يوم (خُمٍّ) بعدما عقدوا ... له الولاية لِمَ خانوا ولم خلعوا؟!
قولٌ صحيحٌ ونيّاتٌ بها نَغَلٌ ... لا ينفعُ السيف صقلٌ تحته طبعُ

إنكارهم يا أمير المؤمنين لها بعد اعترافهم عارٌ به ادّرعوا
ونكثهم بك ميلاً عن وصيتهم شرعٌ لعمرك ثان بعده شرعوا
تركت أمراً ولو طالبته لدرت معاطسٌ راغمته كيف تجتدعُ
صبرت تحفظ أمر الله ما اطّرحوا ذبّاً عن الدين فاستيقظت إذ هجعوا
ليشرقنَّ بحلو اليوم مُرَّ غدٍ
إذا حصدت لهم في الحشر ما زرعوا[1]

فمهيار الديلمي يتناول مسألة وصية رسول الله لعلي يوم غدير خم ويبرز بصفة خاصة موقف الصحابة من هذه الوصية بعد وفاة الرسول. فقضايا رسول الله مهملة وشمله متفرق والناس بعدْ قد خالفوا العهد، وآل رسول الله الذين هم رعاة الدين قد لاقوا الضيم بعده ورُوعوا وميثاق رسول الله قد ترك وأمتّه قد شايعت من بغى وعادى أهل بيت رسول الله. ويأتي الشاعر إلى قضية يوم الغدير فيقول: ففي هذا اليوم الذي عاهد الناس رسول الله بأن يوالوا علياً بعده ما نراهم قد ضيّعوا هذا العهد الذي رضوا به. ويتناول الشاعر موقف الصحابة بعد رسول الله، فالخليفة الأول أطاع الخليفة الثاني في غدر بيعة الغدير واتبع الخليفة الثالث طريقهما، ويقارن الشاعر بعد ذلك بين بني علي وبني العباس وما فيه بني علي من فضل وفخر. والشاعر يشير مرة أخرى إلى يوم غدير خم وكيف خان الصحابة عقد الولاية ويتوجه بالكلام إلى علي ويقول: إنَّ إنكار الصحابة للعهد لهو عارٌ عليهم لأنهم اعترفوا به، فعليّ بن أبي طالب قد ترك أمر الخلافة ولو طلبها لدرت عليه ويخاطب علياً بقوله: لقد صبرت من أجل أن تحفظ أمر الله ذبّاً عن الدين فكنت متيقظاً عندما كانوا هاجعين، إنهم سوف يحصدون ما زرعوا يوم القيامة وينالون جزاء أعمالهم يوم الحساب.

---

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٣٢ - ٢٣٤. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٢٢٩.

هناك شعراء آخرون حملوا على الصحابة الذين سمعوا وصية رسول الله لعلي يوم غدير خم وخالفوا ما سمعوه وانصرفوا عن بيعة علي، واغتصبوا الخلافة منه، لكن هؤلاء الشعراء لم يصرحوا بأسماء هؤلاء الصحابة، بل اكتفوا بالإشارة والتلميح.

فالسيد الحميري يقول في قصيدته العينية التي مطلعها:

لأمِّ عمرو باللّوى مربعُ طامسةً أعلامها بلقعُ

يقول فيها:

تروعُ عنها الطير وحشيّةً والوحشُ من خيفته تفزعُ
رقشٌ يخاف الموت من نقشها والسُّمُّ في أنيابها منقعُ
برسم دار ما بها مؤنسٌ إلاّ ضلالٌ في الثرى وُقّعُ
لما وقفتُ العيسَ في رسمها والعين من عرفانه تدمعُ
ذكرت من كنت الهو بهِ فبتُّ والقلب شجٌ موجعُ
كأنّ بالنار لما شفّني من حبّ أروى كبدي لُدَّعُ
عجبتُ من قومٍ أتوا أحمداً بخطّةٍ ليس لها موضعُ
قالوا له: لو شئتَ أعلمتنا إلى من الغاية والمفزعُ
إذا توفيتَ وفارقتنا ومنهمُ في الملك مَنْ يطمعُ
فقال: لو أعلمتكم مفزعاً كنتم عسيتم فيه أن تصنعوا
صنيع أهل العجلِ إذ فارقوا هارون فالتركُ له أوسعُ
وفي الذي قال بيانٌ لمنْ كان إذا يعقلُ أو يسمعُ
ثمَّ أتتهُ بعد ذا عزمةٍ من ربّها ليس لها مدفعُ
بلِّغ وإلا لم تكن مبلغاً واللهُ منهمُ عاصمٌ يمنعُ
فعندها قام النبيُّ الذي كان بما يُؤمرْ به يصدعُ
يخطبُ مأموراً وفي كفّهِ كفُّ عليٍّ ظاهرٌ تلمعُ

رافعها أكرم بكفّ الذي ... يرفعُ الكفّ الذي ترفعُ
يقولُ والأملاك من حوله ... والله فيهم شاهدٌ يسمعُ
: من كنت مولاه فهذا لهُ ... مولى فلم يرضوا ولم يقنعُ
فاتهموه وحنت فيهمُ ... على خلاف الصادق الأضلعُ
وضلَّ قومٌ غاضهم فعله ... كأنّما آنافهم تجدعُ
حتى إذا واروه في لحدهِ ... وانصرفوا عن دفنه ضيّعوا
ما قال بالأمسِ وأوصى به ... واشتروا الضرّ بما ينفعُ[1]

فالسيد الحميري يورد ذكر الغدير وكيف أن الله أمر رسوله بأن يخلف عليّاً ولا يخشى من قومهِ لأن اللهَ قد عصمه منهم والشاعر يصف ما قام به رسول الله في ذلك المكان، إذ أخذ بيد علي ورفعها وقال للمسلمين: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه. لكن قومه لم يرضوا بما فعل رسول الله ولم يقنعوا بما قاله فاتهموه وهو الصادق وخالفوا قوله وغاضهم فعله. والشاعر ينتقل إلى الفصل الأخير ويروي لنا ما قام به أصحاب رسول الله بعده، فقد واروه في قبره وانصرفوا عنه، وتركوا ما قاله بالأمس وما أوصى به لعلي بالإمامة، فكان جزاء عملهم أن خسروا في الدنيا، وكان الضرر نصيبهم.

والسيد الحميري يقول في قصيدة ثانية:

يا لقومي للنبيِّ المصطفى ... ولما قد نال من خير الأممْ
جحدوا ما قاله في صنوهِ ... يوم خم بين دوح منتظمْ
: أيُّها الناس فمن كنت لهُ ... والياً يوجبُ حقيٍّ في القدمْ
فعليٌّ هو مولاه لِمنْ ... كنت مولاه قضاءً قد حُتمْ
أفلا ينفذ فيهم حكمه ... عجباً يولعُ في القلب الضرم[2]

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٢٠. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٤.
(٢) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٢٩.

فالسيد الحميري يشير في هذه الأبيات إلى ما فعله المسلمون بعد رسول الله إذ جحدوا قوله في علي يوم غدير خم: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه. ويعجب من فعل هؤلاء، وكيف أنهم لم ينفذوا حكم رسول الله. فهذا الأمر يضرم النار في القلب ويبعث الأسف في النفس.

أما أبو تمام الطائي فإنه يهجو الذين غدروا بأبناء النبي وخانوا أهل بيته، وخالفوا قبل ذلك علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله وفي قصيدته التي مطلعها:

أظبيةُ حيث استنت الكثب العفرُ رويدك لا يغتالك اللومُ والزجرُ

يقول:

فعلتُمْ بأبناء النبيِّ ورَهطِهِ أفاعيلَ أدناها الخيانةُ والغدرُ
ومن قبله أخلفتمُ لوصيّهِ بداهيةٍ دهياء ليس لها قدرُ[1]

ويعرج الشاعر إلى غدير خم، ففي هذا اليوم وضح الحق عند أهله إذ دعا رسول الله قومه إلى الحق ليقربهم إلى طريق الصواب ويجنبهم سبيل الضلال، ورفع يد علي علماً منه بأن علياً سيكون وليّاً على المسلمين بعده وخليفة له على أمته وكان يروح ويغدو بإيضاح البيان والوعظ والإنذار والإرشاد والنصيحة وذلك بكل حلم وسعة صدر. إن المسلمين قد جهروا بأنه هو صاحب الحق بالخلافة واعترفوا له بحقّه وصدقوه جهاراً لكنهم غدروا به وقتلوه. وفي هذا المعنى يقول:

ويومَ الغدير استوضح الحقَّ أهلَهُ بضحياءَ لا فيها حجابٌ ولا سترُ
أقامَ رسول الله يدعُوهُمُ بها ليقربَهُمْ عُرفٌ وينآهُمُ بكرُ
يَمُدُّ بضبعيهِ ويعلمُ أنّهُ وليٌّ ومولاكُمْ فهلْ لكُمُ خُبْرُ

(١) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٣.

يروحُ ويغدو بالبيان لمعْشرٍ يروحُ بهم غمْرٌ ويغدو بهمْ غمْرُ
فكان لهُمْ جهرٌ بإثباتِ حقِّهِ وكان لهمْ في بَرِّهِمْ حقّهُ جَهرُ
أثمَّ جعلتُمْ حَظّهُ حدَّ مُرْهَفٍ من البيضِ يَوْماً حظّ صاحبهِ القبرُ[1]

ودعبل الخزاعي يهجو أصحاب السقيفة، ويرى أنهم لو تركوا الأمر لعلي بن أبي طالب وصي الرسول لسارت الأمور في مجراها وسلم المسلمون من العقبات والعثرات. فعليٌّ أخ الرسول وقاتل الأبطال في الحروب، ولا يرى الشاعر حجة لأعداء علي في تركهم وجحدهم لوصيّة رسول الله، لأن يوم غدير خم ويوم بدر وأُحد فضلاً عن الآيات القرآنية التي نزلت في فضل علي وإيثار علي في الشدة والمناقب والفضائل التي تحلّى بها أمير المؤمنين لخير شاهد ودليل على إمامته بعد رسول الله. يقول دعبل في قصيدته التائية المشهورة التي أولها:

تجاوَبْنَ بالأرنانِ والزّفراتِ نوائحُ عُجْمُ اللّفْظِ، والنَّطقاتِ

ويقول:

وما نال أصحابُ (السقيفة) إمرَةً بدعوى تُراثٍ، بل بأمرِ تراتِ
ولو قلّدوا المُوصى إليه زمامَها لزُمَّتِ بمأمون من العثراتِ
أخا خاتم الرُّسْلِ المُصفّى من القذى ومفترسَ الأبطال في الغمراتِ
فإن جحدوا كان (الغديرُ) شهيدَهُ و(بدرٌ) و(أُحدٌ) شامخُ الهضباتِ
وآيٌ مِنَ القرآنِ تُتلى بفضلِهِ وإيثاره بالقوتِ في اللَّزَباتِ
وغُرٌّ خِلالٍ أدْرَكْتهُ بسَبقِها مناقِبَ كانتْ فيهِ مؤتنفاتِ
مناقبَ لم تُدركْ بكيْدٍ ولم تُنلْ بشيءٍ سوى حدِّ القنا الذرباتِ[2]

(١) بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام: الدكتور ملحم إبراهيم الأسود، ج١، ص ٣٧١ - ٣٧٩. والأميني: الغدير، ج٢، ص ٣٢٩. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٤١.
(٢) شعر دعبل بن علي الخزاعي: صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر، ص ١٢١ - ١٢٥. وراجع أيضاً: الأربلي: كشف الغمة، ج٣، ص ١١٢ - ١١٣. والأميني: الغدير، ج٢، ص ٣٤٩.

والشريف المرتضى يذكر يوم الغدير وكيف برزت أحقاد قوم أضمروا العداء والبغضاء لعلي بن أبي طالب ومنعوه من حقّه الذي أكّده رسول الله في هذا اليوم.

يقول الشريف المرتضى في قصيدته التي مطلعها:

لو لم يعاجله النّوى لتحيّرا وقصارُه وقد انتأوا أن يقصرا

ويقول:

أما الرسولُ فقد أبان ولاءَهُ لو كانَ ينفعُ (جائراً) أن ينذرا
أمضى مقالاً لم يقله معرِّضاً وأشاد ذكراً لم يشده (مغرِّرا)
ولقد شفى (يومُ الغدير) معاشراً ثَلجَتْ نُفوسُهُمُ (وأدوى) معشرا
(قَلقَتْ) بهمْ أحقادهم فمرَجِّعٌ نفساً ومانعُ أنّةٍ أن تجهرا[1]

* * *

○ هجاء أعداء عليّ:

ويهجو أبو الفتح كشاجم أولئك الذين غدروا بوصيّة رسول الله يوم غدير خمٍّ ويرى أن هؤلاء بغدرهم يوم الغدير قد جرّوا إلى حرب يوم الجمل، إذ إنهم أنكروا إمامة علي وعدلوا عنه، لكن بنصّ القرآن ونصّ رسول الله فخالفٌ لما يزعمون، إن هؤلاء نبذوا وصيّة الرسول لعلي بالخلافة.

وقالوا فيه ما لم يقل أحد من قبل، إنَّ الضلال قد أعمى أبصارهم وأضلّهم عن سواء السبيل. ويهجو الشاعر بعد ذلك الخليفة الأول هجاءً مقذعاً شديداً ويحمل عليه بعنف ويصفه بأنه (ظلوم، غشوم، زنيم وعتل)

(١) ديوان الشريف المرتضى: تحقيق رشيد الصفار المحامي، ج٢، ص ٣٣. وراجع أيضاً: الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٦٢. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٢٤.

ذلك أنه منع فاطمة الزهراء حقها. ثم يهجو الشاعر بني أمية الذين قتلوا الحسين بن علي بسيوفهم وهو ظمآن، ثم ينتقل إلى ما فعله الأمويون بأهل بيت رسول الله وبناته. وما أن أذاقوهن من السبي، ويرى أن الله سيحاسبهم يوم القيامة على ما فعلوه بأهل البيت.

ويقول في قصيدته التي أولها:

لـهُ شـغـلٌ عـن سـؤال الـطُّـلـلْ أقـامَ الـخـلـيـط بـه؟ أمْ رَحَـلْ؟

ويقول:

وقـد عَـلِـمـوا أنّ (يـوم الـغـديـر) بـغـدرهـم جـرَّ (يـوم الـجـمـلْ)
فـيـا مـعـشـر الـظـالـمـيـن الـذيـن أذاقـوا (الـنـبـي) مـضـيـض الـثـكـلْ
أفـي حـكـمـكـم أن مـفـضـولـكـم بـيـومٍ نـقـيـصـتـه مـن فـضـلْ
فـإنْ كـانَ مَـنْ كـانَ لا تـزعـمـون إمـامـاً وذلـك خـطـبٌ جـلـلْ
فـإنْ خـرجَ (الـمـصـطـفـى) جـافـيـاً تـمـيـلُ بـه سـكـرات الـعِـلَـلْ
فـنـحّـاه عـن ظـل مـحـرابِـهِ ونـاداه مـنـتـهـراً لا تـضِـلْ
فـلـولا تـتـابـعـهـم فـي الـضـلالِ لـمـا كـان يـطـمـع فـيـمـا فـعـلْ
كـأنـكـم حـيـن قـلّـدتـمـوهُ نـصـبـتـمُ (أسـافَ) بـه أو (هُـبـلْ)
فـيـا لـك مـن بـاطـلٍ بـالـمـحـا بـل ثـمّ ويـا لـكِ حـقـاً بـطـلْ
عـدلـتـم بـهـا عـن إمـام الـهُـدى فـلا عـدلَ الـلـعـن عـمَّـنْ عَـدَلْ
فـمـا جـاء مـا جـئـتـمـونـا بـه مـن الـظُّـلـمِ أعـمـى الـقـرون الأُولْ
تـخـالـفِـكُـم فـيـه نـص الـكـتـابِ ومـا نـصّ فـي ذاك خـيـر الـرُّسُـلْ
نـبـذتـم وصـيـتـه بـالـعـراء وقـلـتـم عـلـيـه الـذي لـم يـقـلْ
تـخـذتـم بـذاك الـبـرايـا خـول ودنـيـا تـقـرفـتـمـوهـا دولْ
لـقـد طـمـس الـغـيُّ أبـصـاركـمْ وضّـل بـكـمْ عـن سـواء الـسُّـبُـلْ
أيـمـنـع (فـاطـمـة) حـقّـهـا ظـلـومٌ غـشـوم زنـيـمٌ عُـتُـلْ

وتردى (الحسين) سيوف الطغا ... ة ظمآن لم يُطف حرَّ الغللْ
ثوى عطشاً وتنال الرما ... حُ من دمه علّها والنهّلْ
فلم يخف الله بالظالمين ... ولكنّه لا يخاف العَجَلْ
لقد نشطت لعناد (الرسول) ... رجالٌ بها عن هُواه كسَلْ
فلا بوعدتْ أعينٌ من عمًى ... ولا عوفيت أذرعٌ من شللْ
نظار فادن بنات (النبيِّ) ... السبايا ومال النبي النفلْ
غداً يتولى الآله الجدا ... ل إن كنتم من رجال الجدلْ
فيعلم مَنْ في ظلال النعيم ... ومن في الجحيم عليه ظُلَلْ[1]

وابن الحجاج البغدادي يهجو القوم الذين قال قائلهم (بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) فهؤلاء بايعوا علياً يوم غدير خم ثم أكد رسول الله هذه البيعة، لكنهم تركوا علياً وطرحوا أمر النبي جانباً، ولم يمنعهم قول رسول الله ونصه على ولايته بعده ودعوة المسلمين إلى التمسك به دون خشية ووجل، ويقول في قصيدة مطلعها:

يا صاحبَ القبةِ البيضاء في النجفِ ... من زار قبرك واستشفى لديك شُفي

ويقول فيها:

لا قدّس الله قوماً قال قائلهم ... بخ بخ لك من فضلٍ ومن شرفِ
وبايعوك (بِخُمٍّ) ثم أكّدها ... (محمدٌ) بمقال منه غير خفيّ
عافوك واطرحوا أمر النبي ولمْ ... يمنعهمُ قوله: هذا أخي خلفي
هذا وليكمُ بعدي فمن علقت ... به يداه فلن يخشى ولم يخفِ[2]

(١) ديوان كشاجم: تحقيق وشرح وتقديم خيرية محمد محفوظ، ص ٤١٩ - ٤٢٣، والأميني: الغدير، ج٤، ص ٣.
(٢) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٨٨.

والشاعر ابن حمّاد العبدي يهجو الذين غدروا بعلي ولم يفوا بالعهد الذي قطعه رسول الله له يوم غدير خم في قصيدته التي مطلعها:

يا راكباً أجُداً تخبُّ وتوضعُ في سرعة والشوق منها أسرعُ

يقولُ فيها:

عجباً لعمى عن ولاك ونورُهُ كالشمس طالعة تضيءُ وتسطعُ
فكأنهم لم يسمعوا ما قالهُ فيك المهيمن في الكتاب ولم يعوا
أوليس من يهدي إلى الحقِّ الذ ينجي أحقُّ بالاتباع فيتبعُ؟!
أولم يك السور الذي أضحى لهُ بابٌ وفيه للمحاول مقمعُ؟!
والباب باطنه المغيّب رحمةً لكنّ ظاهره العذاب الأفظعُ
تركوا سبيل الرُّشد بعد نبيّهم سفهاً وتاهوا في العمى وتسكعوا
أنّى ينالُ مفاخرٌ فخر أمرىءٍ ساء البرّية وهو طفلٌ يرضعُ؟
والله ما قعد الوصيُّ لذلةٍ عنهم فإنّهمُ أذلُّ وأوضعُ
لكن أراد بأن يقيمَ عليهمُ الحجج التي أسبابها لا تدفعُ
غدروا به يوم (الغدير) ولم يفوا ولعهده المسؤول منهم ضيعوا[1]

فالعبدي يعجب كيف أن القوم تركوا ولاية علي بن أبي طالب وأنها واضحة كالشمس، فكأنّ هؤلاء لم يسمعوا ولم يعوا ما قاله الله في كتابه العزيز: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ [يونس: ٣٥]، إنَّ هؤلاء تركوا سبيل الرشاد بعد نبيهم سفاهاً وتسكعوا، وتاهوا في العمى والضلال، فعليّ لم يسكت عن حقّه في الخلافة ذلاً وإنما أراد أن يقيم عليهم الحجج والبراهين التي لا مجال لهم إلى نكرانها فهؤلاء القوم غدروا بعلي يوم الغدير ولم يفوا بعهدهم وضيعوا العهد الذي عهد به رسول الله إليه.

---

(١) المرجع نفسه، ج٤، ص ١٤٩.

وأبو محمد الصوري يهجو القوم الذين غدروا بعهد الله يوم غدير خم، ففي هذا اليوم قام رسول الله خطيباً بين المسلمين وأرشدهم على أمير المؤمنين بعده، وأشار لعلي بالخلافة بعده، لكن القوم خالفوا قول رسول الله إذ كان بين الحاضرين يوم الغدير قومٌ يخالفون قول رسول الله، فيوم الغدير أثار أحقاد هؤلاء وجرهم إلى يوم عبوس قمطرير. ويختم الشاعر أبياته بقوله إن الحياة الدنيا قد غرت هؤلاء وسوّلت لهم أنفسهم بمخالفة وصية رسول الله. يقول الشاعر:

أبا حسنٍ تبيّنَ غدر قومٍ ... لعهد الله من عهد (الغدير)
وقد قام النبي بهم خطيباً ... فدلّ المؤمنين على الأميرِ
أشار إليه فيه بكلِّ معنى ... بنوه على مخالفة المشيرِ
فكم من حاضر فيهم بقلبٍ ... يخالفه على ذاك الحضورِ
طوى يوم (الغدير) لهم حقوداً ... أنالَ بنشرها يوم الغديرِ
فيا لك منه يوماً جرَّ قوماً ... إلى يوم عبوس قمطريرِ
لأمر سوّلته لهم نفوسٌ ... وغرّتهم به دارُ الغرور[1]

وفي قصيدة ثانية يهجو الصوري الذين حقدوا على رسول الله وأهل بيته وجحدوا موالاة علي بن أبي طالب يوم غدير خم وهم عارفون بما نص عليه رسول الله وما قاله في علي وما أشار إلى فضائله ومناقبه. ويضيف الشاعر بأن هؤلاء قالوا بألسنتهم عكس ما يضمرون في قلوبهم. ويتساءل الشاعر مَن مِن هؤلاء القوم كان أولى بالخلافة وأثبت أمراً من علي؟ ومن كان وصياً بعد رسول الله ومن كان أميناً؟ ومن نام في فراش النبي وقد أراد القوم قتله؟ ومن شارك الرسول في أكل الطير؟ ويقول:

حقدتم عليهم حقوداً مضت ... وأنتم بأسيافهم مسلمونا

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٢٢.

جحدتم موالاة مولاكمُ ويوم (الغدير) لها مؤمنونا
وأنتم بما قاله المصطفى وما نصَّ من فضله عارفونا
وقلتم: رضينا بما قلته وقالت نفوسكم: ما رضينا
فأيّكم كان أولى بها؟! وأثبت أمراً من الطيبينا؟!
وأيّكمُ كان بعد النبي وصيّاً؟! ومن كان فيكم أميناً؟!
وأيكمُ نامَ في فرشه وأنتم لمهجته طالبونا؟!
ومن شارك الطهر في طائر وأنتم بذاك له شاهدونا؟!
لحا الله قوماً رأوا رشدكم مبيناً فضلوا ضلالاً مبينا[١]

ويهجو الصوري مَنْ غدروا بعهد رسول الله وشهدوا واقعة الغدير وتآمروا فيما بينهم على أن ينصبوا من بينهم أميراً، إن هؤلاء قد ملأت الضغائن صدورهم وأوغرت بالأحقاد نفوسهم ويقول:

ما لم يكن من معشرٍ غدروا وقد شهدوا الغديرا
وتوامروا ما بينهم أن ينصبوا فيها أميرا
من كلّ صدرٍ موغرٍ ملأت ضغائنه الصدورا[٢]

ومهيار الديلمي يهجو أصحاب السقيفة الذين حمّلوها أوزاراً أثقل من الجبال، ويشير الشاعر إلى ما فعله هؤلاء القوم في هذا اليوم، ويرى مهيار أن هؤلاء الذين قتلوا عليّاً ماذا سيقولون لرسول الله يوم الحساب. وإذا كان هكذا فعلوا يوم السقيفة فكيف كانت الحال يوم الغدير؟ يقول الشاعر:

حمّلوها يوم (السقيفة) اوزا راً تخفُّ الجبال وهي ثقالُ
ثم جاؤوا من بعدها يستقيلو ن وهيهات عثرةٌ لا تقالُ

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٢٢.
(٢) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٢٢.

يـــا ســـوءةً إذا أحـــمـــد قـــا مَ غـداً بـيـنـهـم فـقـال وقـالـوا!
ربـع هـمّـي عـلـيـهـم طـلـلٌ بـا قٍ وتـبـلـى الـهـمـومُ والأطـلالُ
بـالـقـوم إذ يـقـتـلـون عـلـيّـاً وهـو لـلـمـحـل فـيـهـم قـتـالُ
ويُسرّون بعضه وهو لا تقبلُ إلاّ بـحـبّـه الأعـمـالُ
وتـحـالُ الأخـبـارُ والله يـدري كيف كانت يوم (الغدير) الحالُ[1]

* * *

○ الردّ على الشعراء المخالفين:

كان بعض أهل السُّنة يوجّهون النقد للشيعة وبخاصة حول اعتقادهم بالإمامة، فكان الشعراء الشيعة يردون على هذا النقد، يفندون مزاعمهم ويعارضون آراءهم ويحتجون لأهل البيت على خصومهم. من ذلك قول العبدي في الردّ على قول أهل السنة في بيعة أبي بكر وفيه يذكر يوم غدير خم:

وقالوا رسول الله ما اختار بعده إماماً ولكنّا لأنفسنا اخترنا
أقمنا إماماً إنْ أقام على الهدى أطعنا وإنْ ضل الهداية قوّمنا
فقلنا إذا أنتمْ إمام إمامكم بحمد من الرحمن تهتمْ وما تهنا
ولكننا اخترنا الذي اختار ربنا لنا يوم خمٍّ ما اعتدينا ولا ملنا
سيجمعنا يوم القيامة ربّنا فتجزون ما قلتم ونجزى الذي قلنا
هدمتم بأيديكم قواعد دينكم ودين على غير القواعد لا يُبنى
ونحن على نورٍ من الله واضح فيا رب زدنا منك نوراً وثبتنا[2]

فالشاعر يفند مزاعم من يقولون بأن رسول الله لم يختر بعده إماماً

(١) نفس المرجع، ج٤، ص ٢٢٢.
(٢) الأمين: أعيان الشيعة، ج٣٥، ص ١٦٠.

ولكنهم اختاروا إمامهم، فإن سار على النهج القويم أطاعوه وإن ضل السبيل قوموه. يقول لهم الشاعر: إذا أنتم اخترتم إمامكم فقد تهتم ولم نضل عن السبيل، لأننا اخترنا ما اختاره الله لنا يوم غدير خمّ، فإننا باختيارنا هذا الطريق لم نعدل عن الطريق الصحيح. ويضيف الشاعر بأن الله سيجمعنا يوم القيامة، فتجزون بما قلتم ونجزى بما قلنا. ويستطرد قائلاً بأنكم قد هدمتم قواعد دينكم بأيديكم لأن الدين لا يبنى على غير القواعد، إننا نسير على نور الله واضح. ويدعو الشاعر ربه أن يزيده نوراً ويثبته على الإيمان.

كذلك فعل بعض الشعراء الأمويين والعباسيين، فانتقدوا عقيدة الشيعة حول الإمامة، فما كان من الشعراء الشيعة إلا أن يفندوا مزاعمهم ويردوا على هذا النقد بالحجج الدامغة والدلائل الواضحة والبراهين القاطعة ويعارضوا كل أقوالهم.

فعندما قال عبد الله بن المعتز قصيدة يفتخر بها ببني العباس على بني أبي طالب مطلعها:

أبى اللهُ إلا ما ترونَ فما لكُمْ غضاباً على الأقدار يا آل طالب؟!

أجابه أبو القاسم التنوخي بقصيدة يهجوه فيها ويذكر يوم غدير خم:

من ابن رسول الله وابن وصيّه إلى مُدغلٍ في عقدة الدّين ناصبِ
نشا بين طنبور ودَفٍّ ومَزهرٍ وفي حجر شادٍ أو على صدر ضاربِ
ومن ظهر سكرانٍ إلى بطن قينةٍ على شبهٍ في ملكها وشوائبِ
يعيبُ علياً خير من وطأ الحصى وأكرم سار في الأنام وسارِبِ
ويزري على السبطين سبطي محمدٍ فقل في حضيض رام نيل الكواكبِ
وينسب أفعال القراميط كاذباً إلى عترة الهادي الكرام الأطائبِ
إلى معشرٍ لا يبرحُ الذمُّ بينهم ولا تزدري أعراضهم بالمعائبِ

إذا ما انتدوا كانوا شموس بيوتهم وإن ركبوا كانوا شموس المواكبِ
وإن عبسوا يوم الوغى أضحك الرّدى وإن ضحكوا أبكوا عيون النوادبِ
نشوا بين جبريل وبين (محمدٍ) وبين (علي) خير ماشٍ وراكبِ
وزير النبي المصطفى ووصيّه ومشبهه في شيمة وضرائبِ
ومن قال في يوم (الغدير) محمدٌ وقد خاف من غدر الغداة النواصبِ
: أما إنني أولى بكم من نفوسكم؟ فقالوا: بلى قول المريب الموارِبِ
فقال لهم: مَن كنت مولاه منكمُ فهذا أخي مولاه بعدي وصاحبي
أطيعوه طُرّاً فهو منّي بمنزلٍ كهارون من موسى الكليم المخاطب[1]

فالشاعر يهجو عبد الله المعتز هجاءً عنيفاً، قاسياً ومقذعاً ويدعوه بالناصب المعادي الذي نشأ بين آلات الطرب والغناء وتربى في حجر منشدٍ وعلى صدر ضارب، وشبّ وتنقّل من ظهر سكران إلى بطن قينة. فعبد الله بن المعتز عاب علياً وأزرى على الحسن والحسين ونسبَ أفعال القرامطة إلى أهل بيت رسول الله الأكارم زوراً وبهتاناً. والشاعر يذكر فضائل أهل البيت ويشير إلى منزلتهم الرفيعة. إنهم قد نشأوا بين جبريل ومحمد كما أنهم نشأوا في كنف علي وزير النبي ووصيه وشبيهه. ثم يتناول الشاعر يوم غدير خم ويورد قول رسول الله للمسلمين في ذلك اليوم: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقال المسلمون: بلى، فقال لهم: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه». وأمر المسلمين أن يطيعوا عليّاً فهو بمنزلة هارون من موسى. وهكذا نرى رد التنوخي على ابن المعتز جاء ردّاً مشفوعاً بالحجج الدامغة، ليسكت الخصم ويلجمه.

وعندما هجا ابن سكرة أهل البيت ردّ عليه ابن الحجاج البغدادي يهجوه هجاءً شديداً بقصيدة مطلعها:

---

(١) الأميني: الغدير، ج٣، ص ٣٧٧، وراجع أيضاً: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٤، ص ١٨٠. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣١.

لا أكذب الله إن الصدق ينجيني ... يد الأمير بحمد الله تحييني

يقول فيها:

فما وجدتَ شفاء تستفيد به ... إلا ابتغاءك تهجو آل ياسينِ
كافاك ربّك إذ أجرتك قدرته ... بسبِّ أهل العلا الغرّ الميامينِ
فقرٌ وكفرٌ هميعٌ أنت بينهما ... حتى الممات بلا دنيا ولا دينِ
فكان قولك في الزهراء فاطمة ... قول امرىءٍ لنهج بالنصب مفتونِ
عيّرتها بالرّحا والزاد تطحنه ... لا زال زادك حبّاً غير مطحونِ
وقلت: إنّ رسول الله زوّجها ... مسكينة بنت مسكين لمسكينِ
كذّبت يابن التي باب استها ... سلس الإغلاق بالليل مفكوك الزرافينِ
ستُّ النساء غداً في الحشر يخدمها ... أهل الجنانِ بحور الخرّد العينِ
فقلتَ: إن أمير المؤمنين بغى ... على معاوية في يوم صفيّنِ
وإن قتل الحسين السبط قام به ... في اللهِ عزم إمام غير موهونِ
فلا ابن مرجانة فيه بمحتقبٍ ... إثم المسيء ولا شمر بملعونِ
وإنّ أجر ابن سعدٍ في استباحةِ ... آل النبوة أجرٌ غير ممنونِ
هنا وعدتَ إلى عثمان تندبه ... بكلِّ شعر ضعيفِ اللفظ ملحونِ
فصرت بالطعن من هذا الطريق إلى ... ما ليس يخفى على البله المجانينِ
وقلتَ: أفضل من يوم (الغدير) إذا ... صحّت روايته يوم الشعانينِ
ويوم عيدك عاشوراء تعدّله ... ما يستعد النصارى للقرابينِ
تأتي بيوتكمُ فيه العجوز وهل ... ذكر العجوز سوى وحي الشياطينِ
عانذْتَ ربّكَ مغترّاً بنقمته ... وبأس ربّك بأسٌ غير مأمونِ
فقال: كن أنت قرداً في استه ذنبٌ ... وأمرُ ربّك بين الكاف والنونِ
وقال: كن لي فتًى تعلو مراتبه ... عند الملوك وفي دور السلاطينِ

واللهُ قد مسخ الأدوار قبلك في زمان موسى وفي أيام هارونِ
بدونِ ذنبك فالحق عندهم بهمْ ودع لحاقك إن كنت تنويني[١]

فابن الحجاج البغدادي يحمل على ابن سكرة حملة شعواء ويهاجمه بعنف لأنه هجا أهل البيت وسبّهم. ويدعو الشاعر على ابن سكرة أن يحلّ فيه الفقر والكفر حتى يتيه بينهما ويظل لا دين له ولا دنيا. ثم يشير الشاعر إلى أن ابن سكرة قد عيّر فاطمة الزهراء بالرحا والطحن، وقال إن رسول الله قد زوّج فاطمة إلى مسكين ويرد عليه البغدادي ويكذب قوله ويوجّه له كلاماً فاحشاً ويقول: بأن الحور العين سوف تخدم سيدة النساء فاطمة الزهراء يوم القيامة.

ويشير كذلك إلى زعم ابن سكرة في أن أمير المؤمنين قد بغى على معاوية في يوم صفين وإن قتل الحسين تم على يد إمام يعمل في سبيل الله، وإن ابن مرجانة لم يرتكب إثماً ولا شمر ملعون وإن ابن سعد في استباحة قتل الحسين وأهل البيت له أجر عظيم، ويشير الشاعر إلى أن ابن سكرة يندب عثمان بشعر ضعيف ولفظ ملحون.

ويضيف الشاعر بأن ابن سكرة قد فضّل يوم الشعانين على يوم الغدير وجعل يوم عاشوراء يوم عيد يعدّ فيه القرابين كما يعدّه النصارى. ثم يهجو الشاعر ابن سكرة هجاءً مقذعاً مرّاً.

وعندما أنشد مروان بن أبي حفص شعراً للمتوكل:

لكمُ تراث محمدٍ وبعدلكم تنفى الظلامهْ
يرجو التراث بنو النباتِ وما لهم فيه قلامهْ
والصهر ليس بوارثٍ والبنت لا ترث الإمامهْ
ما للذين تنحلوا ميراثكم إلا الندامهْ

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٨٨.

أخذ الوراثة أهلها فعلام لومكمُ علامهْ؟!
لو كان حقّكم لها قامت على الناس القيامهْ
ليس التراث لغيركم لا والإلآه ولا كرامهْ
أصبحت بين محبِّكم والمبغضين لكم علامهْ[1]

ردّ عليه جعفر بن الحسين يهجوه ويشرح له عقيدة الشيعة في الإمام والإمامة ويذكر يوم غدير خم قائلاً:

قل للذي بفجورهِ في شعره ظهرت علامهْ
ويبيع جهلاً دينه لمضلّلٍ يرجو حطامهْ
: من أين أنت لعنت؟ أو من أين أسرار الإمامهْ؟!
أظننتها إرث النبيّ؟ فما أصبت ولا كرامهْ
إنّ الإمامة بالنصو صي لمن يقوم بها مقامهْ
كمقاله في يوم (خمّ) لحيدر لمّا أقامهْ
: من كنتُ مولاه فذا مولاه يسمعهم كلامهْ
سل عنه ذا خبر بهِ فلتذهبنّ إذا ندامهْ
فهو الذي بحسامهِ للنقع قد جلّى قتامهْ
في يوم بدرٍ إذ شكا سادات ما لككم صدامهْ
وأنين والدهم وقد منع النبيّ به منامهْ
إنّ الإمام لديننا من شاده وبنى دعامهْ
في كلّ معترك إذا شبّ الوغى أطغى ضرامهْ
فتاح خيبر بعدما فرّ الذي طلب السلامهْ
تالله لو وُزنَ الجميع لما وفوا منه قلامهْ[2]

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٧٦.
(٢) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٧٥.

فالشاعر يعيب على مروان بن أبي حفصة هجاءه لأهل البيت مقابل حطام الدنيا وبيعه دينه جهلاً لشخص مضلل من أجل المال. والشاعر لا يرى الإمامة إرثاً يرثها من يشاء وإنما الإمامة تأتي بالنصوص، فالنبي نصّ على علي بن أبي طالب بالخلافة يوم غدير خمّ وأقامه إماماً على المسلمين وقال: من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه. ويورد الشاعر أيضاً فضائل علي ومناقبه مبيناً مواقفه المشرفة في بدر وخيبر وفي كل معركة من معارك المسلمين. فقد وقف عليٌّ وقفة الأبطال بينما فرّ آخرون عندما طلبوا السلامة. ويرى الشاعر أن الإمامة عند الشيعة هي التي تشيد الدين وتبني دعائمه فلو وزنت جميع أعمال الناس لما وزنت من علي قلامة.

والسيد الحميري الذي اشتهر بتعصبه الشديد للشيعة كان عنيفاً مع خصومه سواء كانوا حكاماً أو من عامة الناس. وكان السيد الحميري أكثر شعراء الشيعة تطرفاً في هجاء الخصوم وأشدّهم اندفاعاً في هذا السبيل ومن أمثلة قسوته في الهجاء، وتطرفه قوله يهجو سوّاراً ويذكر يوم الغدير:

قولا لسوّار أبي شملة ... يا واحداً في النوك والعارِ
ما قلت في الطير خلاف الذي ... رويته أنت بآثارِ
وخبر المسجد إذ خصّه ... محللاً من عرصةِ الدارِ
إن جُنباً كان وإن طاهراً ... في كلِّ إعلانٍ وإسرارِ
وأخرج الباقين منه معاً ... والحسن الطهر لأطهارِ
وفاطماً أهل الكساء الأولى ... خصّوا بإكرام وإيثارِ
فمبغض الله يرى بغضهم ... يصير للخزي وللنارِ
عليه من ذي العرش في فعله ... وسمٌ يراه العائب الزاري
وأنت يا سوار رأسٌ لهمْ ... في كلِّ خزي طالب الثارِ
يعتب مَن آخاه خير الورى ... من بين أطهار وأخيارِ

وقال في (خمٍّ) له معلناً ما لم يلّقوه بإنكارِ
: من كنت مولاه فهذا لهُ مولًى فكونوا غير كفّارِ
فعوّلوا بعدي عليه ولا تبغوا سراب المهمة الجاري[1]

فالشاعر يبلغ بهجائه حد الفحش والإقذاع. وإذا ما علمنا بأن سوّاراً هذا كان قاضياً على البصرة، ندرك شجاعة الشاعر، وعدم خوفه من المهجو وتحمله كل النتائج المترتبة على ذلك في سبيل أداء رسالته في الدفاع عن مذهبه. في هذه الأبيات نلاحظ بأن الشاعر يهجو سوّاراً لأنه عاب على أمير المؤمنين على ذلك الذي آخاه رسول الله من بين أصحابه الأطهار الأخيار ويشير الحميري إلى يوم غدير خم وقول رسول الله: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، وكيف أن النبي أمر المسلمين أن يوالوا علياً ويعتمدوا عليه ولا يتركوه ويتبعوا أهواءهم. لقد كان هذا الهجاء في حياة سوار، وعندما مات هجاه السيد الحميري بقصيدة يقول فيها:

يا مَنْ غدا حاملاً جثمان سوّارِ من دارهِ ظاعناً منها إلى النارِ
لا قدّس الله روحاً كان هيكلها لقد مضت بعظيم الخزي والعارِ
حتّى هوت قعر بيروت معذّبةً وجسمه في كنيف بين أقذارِ
لقد رأيتُ من الرحمن معجبةً فيه وأحكامه تجري بمقدارِ
فاذهبْ عليك من الرحمن بهلته يا شر حي يراه الواحد الباري
يا مبغضاً لأمير المؤمنين وقده قال النبيُّ له من دون إنكار
يوم الغديرِ وكلُّ الناس قد حضروا : من كنت مولاه في سرٍّ وإجهارِ
هذا أخي ووصيّ في الأُمور ومَنْ يقوم فيكم مقامي عند تذكاري
يا ربِّ عاد الذي عاداه من بشر واصله من جحيم ذات إسعارِ

(١) الأمين: أعيان الشيعة، ج١٢، ص ١١٧. والأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٨ - ٢١٩.

وأنـت لا شـك عـاديـت الإلـه بـهِ فـيـا جـحـيـمُ ألا هـبـيّ لِـسـوّارِ[١]

فالسيد الحميري يهجو سوّاراً بهذا الهجاء العنيف الذي لا يدانيه هجاء، فسوّاراً هذا كان ببغض الإمام علي بن أبي طالب، ونحن نعرف كيف كان السيد الحميري شديد التمسك بحب علي يهجو كل من يبغضه، وسوف نرى كيف أن الشاعر هجا أبويه لأنهما كانا يسبان الإمام علي.

فالحميري يردّ على اسوار ويقول له: كيف تبغض علياً وقد قال له رسول الله أمام من حضروا في يوم الغدير: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وأكدّ أيضاً أن عليّاً أخوه ووصيّه في الأمور ويقوم مقامه. وقد دعا رسول الله وقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وادخل معاديه النار. وهنا يخاطب الشاعر سوّاراً ويقول له بأنّك عاديت الله بمعاداة علي فيا جحيم هبّي وتلقفي سواراً.

فالسيد الحميري قاسٍ مقذعٍ يجد في الهجاء لذة، وخاصة إذا كان بسبب عقيدته الشيعية، وهو يسلك فيه مسلك التندر والسخر، ويختار له الخفيف المرقص من الأوزان غالباً، ليكون أعون على الحفظ والذيوع، وفي الأغاني كثير من هذا الهجاء وإن شئت فاقرأ قصة السيد مع قاضي البصرة للمنصور: سوار بن عبد الله العنبري[٢].

روى صاحب الأغاني عن الحارث بن عبد المطلب، قال: كنت جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور - وهو بالجسْر - وهو عاقد مع جماعة على دجلة البصرة، وسوار بن عبد الله العنبري - قاضي البصرة - جالس عنده، والسيد بن محمد بين يديه ينشد:

إن الإلـه الـذي لا شـيء يُـشـبـهـهُ أعـطـاكـم الـمـلـك لـلـدنـيـا ولـلـديـنِ

---

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٨ - ٢١٩. وابن شهرآشوب: من مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٥.

(٢) الدكتور عبد الحسيب طه حميده: أدب الشيعة، ص ٣٢٧.

أعطاكمُ اللهُ مُلكاً لا زوالَ لهُ حتى يقاد إليكم صاحبُ الصينِ
وصاحب الهند مأخوذاً برمّتهِ وصاحبُ الترك محبوساً على هونِ

والمنصور يضحك سروراً بما ينشده، فحانت منه التفاتة، فرأى وجه سوار يتربد غيظاً، ويسود حنقاً، ويدلك إحدى يديه بالأخرى ويحترق، فقال له المنصور: ما لك! أرى بك شيء؟ قال: نعم، هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله يا أمير المؤمنين، صدقك ما في نفسه، وإن الذين يواليهم لغيركم. فقال المنصور: مهلاً! هذا شاعرنا ووليّنا، وما عرفت منه إلا صدق محبة وإخلاص نيّة. فقال له السيد: يا أمير المؤمنين، والله ما تحملت غضكم لأحد، وما وجدت أبوي عليه فافتتنت بهما، وما زلت مشهوراً بموالاتكم في أيام عدوكم، فقال له صدقت. قال: ولكن هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديماً، والذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، فنزلت فيهم آية من القرآن: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وجرى بينهما خطاب طويل؛ فقال السيد قصيدته التي أولها:

قف بنا يا صاح واربَع بالمغاني الموحشاتِ

وفيها:

يا أمين اللهِ يا منصورُ يا خير الولاةِ
إنّ سوار بن عبد الله من شر القضاةِ
نعثليٌّ جملييٌّ لكم غير مواتِ
جدّهُ سارقُ عنزٍ فجرةٌ من فجراتِ
لرسول الله والقا ذفة بالمنكراتِ
وابن من كان ينادي من وراء الحجراتِ
يا هناة اخرج الينا إننا أهل هناتِ
مدحنا المدح ومن نر م يصب بالزفراتِ

فـاكـفـنـيـه لا كـفـاه الله شـرّ الـطـارقـاتِ

فشكا سوّار إلى أبي جعفر، فأمره أن يصير إليه معتذراً، ففعل، فلم يعذره سوار، فقال:

أتـيـتُ دعـيّ بـنـي الـعـنـبـر أرومُ اعـتـذاراً فـلـم أعـذرِ
فـقـلـت لـنـفـسـي - وعـاتـبـتـهـا على اللؤم في فعلها: أقصري
أيـعـتـذر الـحـرُّ مـمـا أتـى إلى رجلٍ من بني العنبري؟!
أبـوك ابـن سـارق عـنـز الـنـبـي وأمـك بـنـت أبـي جـحـدرِ
ونـحـن عـلـى رغـمـك الـرافـضـو ن لأهـل الـضـلالـة والـمـنـكـرِ

على أن صاحب الأغاني قد روى هذه الخصومة من طريق آخر، وأن السيد تقدم إلى سوار في شهادة، فردها عليه. فقام مغضباً، وكتب إليه رقعة فيها:

إن سـوار بـن عـبـد الله مـن شـرِّ الـقـضـاةِ

فلما رآه السيد وثب من مجلسه، وقصد أبا جعفر بالجسر، فسبقه السيد، وأنشد:

قـل لـلإمـام الـذي يُـنـجـي بـطـاعـتـهِ يـوم الـقـيـامـةِ مـن بـحـبـوحـة الـنـارِ
لا تـسـتـعـيـنـن - جـزاك الله صـالـحـة - يـا خـيـر مـن ربَّ مـن حـكـم بـسـوّارِ
لا تـسـتـعـن بـخـبـيـث الـرأي ذي صلف جم العيوب عظيم الكبر جبّارِ
تـضـحـى الـخـصـوم لـديـه من تكبره لا يـرفـعـون إلـيـه لـحـظ أبـصـارِ
تـيـهـاً، وكـبـراً، ولـولا مـا رفـعـت لـه من ضبعه كان عين الخائع العاري

ودخل سوار، فلما رآه المنصور تبسّم وقال: أما بلغك خبر أياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق، واستزاد في الشهود؟ فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه، ثم أمر السيد بمصالحته.

وسواء أكانت الخصومة لهذا أم لذلك أم لكليهما، فقد عرّض سوار نفسه للسان السيد فاتبعه هجاءه، حتى أمر المنصور فكف، وحتى ضاق سوار، فأراد أن يستعمل حيلته القضائية. فأعدّ جماعة يشهدون على السيّد بسرقة ليقطعه، فأنذر السيد بما دبره له القاضي، فشكاه إلى المنصور، فعزله عن الحكم للسيد أو عليه، فما استطاع أن يتعرض له بسوء حتى إذا مات سوّار لم ينج من لسان السيد ميتاً كما لم ينج منه حيّاً[١].

والسيد الحميري يهجو مرة أخرى من يبغض عليّاً ويبيع دينه بدنياه قائلاً:

يا بايع الدين بدنياه ... ليس بهذا أمر اللهُ
فارجع إلى الله والق الهوى ... إن الهوى في النار مأواهُ
من أين أبغضت علي الرضى ... وأحمد قد كان يرضاهُ
جهدك أن تسلبه اليوم ما ... كان رسول الله أعطاهُ
من ذا الذي أحمد من بينهم ... يوم غدير الخم ناداهُ
أقامه من بين أصحابه ... وهم حواليه فسمّاهُ
هذا علي بن أبي طالب ... مولى لمن قد كنت مولاهُ
فوال من والاه يا ذا العلى ... وعاد من قد كان عاداهُ[٢]

فالشاعر يخاطب مبغض علي الذي ترك دينه من أجل دنياه ويقول له إن الله لم يأمر بهذا، وينصحه بالرجوع إلى الله وترك الهوى، لأن الهوى يوصل الإنسان إلى النار. ويتساءل الشاعر كيف أبغض علياً وقد رضي

(١) الدكتور عبد الحسيب طه حميده: أدب الشيعة، ص ٣٣٠.
(٢) المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٥١. ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ٣٤. ديوان السيد الحميري، ص ٤٥٣. والأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٣. والأربلي: كشف الغمة، ج١، ص ٣٠٥. ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٤.

رسول الله عنه؟ وكيف يسعى انتزاع تلك التي منحه النبي إياه واقامه من بين أصحابه خليفة وقال للمسلمين: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

* * *

○ هجاء السيد الحميري لوالديه:

وإذا كان السيد الحميري لم يتورع عن هجاء خصوم علي وأهل بيت رسول الله من الحكام والقضاة والشعراء، فكيف والحال مع والديه اللذان كانا أباضيين يكرهان الإمام علياً ويسبانه. ولقد روت لنا كتب الأدب بأن السيد الحميري كان يؤذيه سبّ أبويه للإمام علي فما كان منه إلاّ أن هجاهما بقوله:

لعن الله والديَّ جميعاً ثمّ أصلاهما عذاب الجحيمِ
حكما غدوة كما صليا الفجر بلعن الوصيِّ باب العلوم
لعنا خير من مشى فوق ظهر الأرض أو طاف محرماً بالحطيمِ[1]

هكذا نرى السيّد لا يقبل أن يهجو أحداً علياً حتى أبويه، ويلعنهما على فعلهما هذا ويدعو عليهما بعذاب النار، لانهما يسبان إمامه الذي هو خير من مشى وطاف على وجه الأرض.

وفي قصيدة أخرى يهجو السيد الحميري أباه الذي كان سبباً في إغواء أمه وجرّها إلى شتم علي، ويدعو أيضاً والديه إلى التشيع وولاء علي وينهاهما عن سبّه:

خف يا محمد فالق الإصباح وأزل فساد الدين بالإصلاحِ
أتسبُّ صنو محمدٍ ووصيه؟ ترجو بذلك الفوز بالإنجاحِ

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٣٤. وفوات الأعيان: ج١، ص ٣٢.

هيهات قد بعدا عليك وقرّبا منك العذاب وقابض الأرواحِ
أوصى النبيُّ له بخير وصيةٍ يوم (الغدير) بأبين الإفصاحِ
من كنت مولاه فهذا واعلموا مولاه قول إشاعة وصراحِ
قاضي الديون ومرشدُ لكم كما قد كنت أرشد من هدى وفلاحِ
أغويتَ أمي وهي جد ضعيفة فجرت بقاع الغيّ جري جماحِ
بالشتم للعلَم الإمام ومن لهُ إرث النبيِّ بأوكد الإيضاحِ
إني أخاف عليكما سخط الذي أرسى الجبالَ بسبب صحصاحِ
أبويّ فاتقيا الإله وأذعنا للحق... (بياض في الأصل)[1]

فالشاعر يدعو والده (محمداً) أن يخاف الله بترك فساد الدين وإصلاح النفس، ويسأل الشاعر والده: هل أنه يرجو الفوز والنجاح وهو يسبّ صنو رسول الله ووصيه؟ ويجيب الشاعر على هذا السؤال بقوله: هيهات إن الفوز بعيد عنك وإن العذاب وقابض الأرواح قريبين منك. ويشير الشاعر إلى وصية الرسول لعلي يوم غدير خم حيث قال النبي للحاضرين، من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وذكّرهم بأن عليّاً هو قاضي ديونه ومرشدهم كما كان هو مرشد لهم. وهنا يحمّل الشاعر والده مسؤولية غواية أمّه وجعلها تسبّ علياً وارث رسول الله، ويظهر الشاعر خوفه عليهما من سخط الله بسبب سبابهما ويدعو الشاعر في ختام قصيدته أبويه إلى تقوى الله والإذعان للحق.

(١) الأمين: أعيان الشيعة، ج١٢، ص ٩٦. وراجع أيضاً الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٣ وديوان السيد الحميري: تحقيق شاكر هادي شكر، ص ١٤٩.

المبحث الثالث:

الرثاء

والرثاء عنصر أصيل في الأدب الشيعي بل هو شطر الأدب الشيعي، فقد علمنا أنه نتاج عاطفتين - عاطفة الحزن وعاطفة الغضب - لذلك كان رثاء أدباء الشيعة من الأدب العاطفي الرقيق(١).

تناول شعراء الشيعة وصاية رسول الله ﷺ لعلي بالخلافة يوم غدير خم في معرض رثائهم لأهل البيت والتفجع لما أصابهم من قتل وتعذيب وسجن وتشريد وتنكيل على يَد بني أمية وبني العباس، وتصوير النكبات والمحن والظلم والاضطهاد الذي حلّ بهم ومحاولة هؤلاء الشعراء إثارة النقمة والسخط على أعدائهم وذلك بذكر فاجعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي بن أبي طالب بتلك الصورة الشنيعة التي تلهب المشاعر وتثير الأحاسيس وتطلق الألسن وتترك في النفوس أثراً حزيناً باكياً، كما حرص شعراء الشيعة على المقارنة بين أهل البيت وما هم عليه من فقر وعوز وخوف وتشرد وما عليه أعداؤهم من غنى وترف ونفوذ وسلطان.

فدعبل الخزاعي في تائيته المعروفة التي قصد بها الإمام الرضا في خراسان أيام ولايته لعهد المأمون والتي أعجب بها وأجاز دعبلاً عليها يذكر واقعة الغدير بعد أن يذكر ديار آل البيت التي أصبحت مقفرة خالية من أهلها، ويستعرض مقاتل العلويين وأماكن قبورهم ويقف وقفة خاصة عند ذكره لمقتل الحسين في كربلاء ويطيل في رثائه ثم يمدح آل البيت ويبين شدة حبه لهم وحزنه لما أصابهم ويختمها بذكر ما يتمناه من خروج المهدي وما يستحقه من رد حقوق العلويين ورفع الظلم عنهم والتنكيل بأعدائهم.

---

(١) عبد الحسيب طه حميده: أدب الشيعة، ص ٣٣٢.

ونحن نلاحظ أن القصيدة بمجموعها تكاد تكون سجلاً لكل قتلى العلويين ولكل ما وقع عليهم من ظلم وأذى وقد صور الشاعر ذلك بنبرة حزينة باكية[١]:

تجاوبْنَ بالإرنانِ والزّفراتِ نوائحُ عُجْمُ اللفظ، والنطقاتِ
يخبّرنَ بالأنفاسِ عن سرِّ أنفُس أسارى هوًى ماضٍ وآخرَ آتِ
فأسْعَدْنَ أو أسعفن حتّى تقوّضت صُفوفُ الدُّجى بالفجرِ منهزمات
على العَرَصاتِ الخالياتِ من المَها سلامُ شجٍ صَبٍّ على العرصاتِ
فعهدي بها خُضَرَ المعاهدِ مألفاً مِن العطراتِ البيضِ والخفراتِ
ليالِيَ يُعدين الوصالَ على القلى ويُعدي تدانينا على الغرباتِ
وإذ هُنَّ يلحظن العيونُ سوافراً ويستُرنَ بالأيدي على الوجناتِ
وإذْ كلَّ يومٍ لي بلحظي نشوةٌ يبيتُ لها قلبي على نشواتي
فكم حسراتٍ هاجها (بمُحسّرٍ) وقوفيَ يوم الجمعِ من (عرفاتِ)!
ألمْ ترَ للأيامِ ما جرَّ جورُها على الناسِ من نقصٍ وطول شتاتِ؟
ومن دُوَلٍ المستهترينَ ومن غدا بهمْ طالباً للنّورِ في الظلماتِ؟
فكيفَ ومِنْ أنَّى يُطالبُ زُلفةً إلى اللهِ بَعدَ الصّوم والصَّلواتِ
سوى حُبّ أبناءِ النبيِّ وَرَهْطِهِ وَبُغضُ بني (الزَّرقاء) و(العبلاتِ)؟
و(هندٍ) وما أدّتْ (سُميَّةُ) وابنها أولو الكفرِ في الإسلامِ والفجراتِ
هُمُ نقضوا عَهْدَ الكتاب وفرضُهُ ومُحكمَهُ بالزّور والشُّبهاتِ
ولَمْ تكُ إلا محنةٌ كشفتهُمُ بِدَعْوى ضلالٍ من هَنٍ وهناتِ
تُراثٌ بلا قُربى ومِلكٌ بلا هُدًى وحكمٌ بلا شورى، بغير هُداةِ
رزايا أرتنا خُضرةَ الأفقِ حُمرةً وردّتْ أجاجاً طعْمَ كلِّ فراتِ

(١) الدكتور محسن غياض: التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، ص ٢١٢.

وما سهَّلتْ تلكَ المذاهبَ فيهمُ على الناسِ إلا بيعةُ الفلتاتِ
وما نالَ أصحابُ (السقيفة) إمرةً بدعوى تُراثٍ، بل بأمرِ تراتِ
ولو قلّدوا المُوصى إليهِ زمامَها لزُمّت بمأمونٍ من العثراتِ
أخا خاتمِ الرُّسلِ المصفى من القذى ومفترسَ الأبطالِ في الغَمراتِ
فإن جحدوا كان (الغديرُ) شهيدَهُ و(بدرٌ) و(أُحدٌ) شامخ الهضباتِ
وآيٌ من القرآنِ تُتلى بِفَضْلِه وإيثاره بالقوتِ في اللزّباتِ
وَغُرٌّ خلالٍ أدركتْهُ بسبقِها مناقبَ كانت فيه مُؤتنفاتِ
مَناقبَ لَمْ تُدرك بكيدٍ ولم تُنلْ بشيءٍ سوى حدِّ القنا الذّرباتِ
نجيٌّ (لجبريلَ الأمين) وأنتُمُ عكوفٌ على (العُزى) معا و(مناةِ)
بكيتُ لرسمِ الدار مِنْ (عَرفاتِ) و(أذريتُ دَمْعَ العَينِ في الوجناتِ)
وَفلَّ عُرى صبري وهاجَتْ صبابتي رُسُومُ ديارٍ قد عَفَتْ وَعراتِ[1]

وأبو القاسم الصنوبري يذكر واقعة الغدير بعد أن يُرثي أهل البيت ويتفجع عليهم ويبكي منازلهم الخالية من أهلها، ففي رثائه لأهل البيت يذكر الشاعر واقعة كربلاء والدماء التي سفكت فيها، ثم يضيف الشاعر بأن الذي قُتل في كربلاء لهو ابن من أوصى النبيُّ لهُ بالخلافة وهو علي بن أبي طالب فالنبي رفع يمين علي ليرى الناس ذلك، ففي يوم الغدير آخى رسول الله بينه وبين علي وأشار إلى ذلك ونوّه به وقال في علي: إنّه أفضلكم ومنزلته كمنزلةِ هارون من موسى قائلاً:

ما في المنازلِ حاجةٌ نقضيها إلاّ السلام وأدمعٌ نذريها
وتفجّعٌ للعين فيها حيث لا عيشٌ أُوازيهِ بعيشي فيها
أبكي المنازلَ وهي لو تدري الذي بحث البكاء لكنت أستبكيها

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي: صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر، ص ٢٢١.

بالله يا دمع السحائب سقنها ولئن بجلت فأدمعي تسقيها
يا معرباً نفسي بوصفِ عزيزةٍ أغريتَ عاصية على مغريها
لا خيرَ في وصفِ النساء فاعفني عما تكلفنيه من وصفيها
يا ربّ قافيةٍ على إمضائها لم يحل ممضاها إلى ممضيها
لا تطمعنّ النفس في إعطائها شيئاً فتطلب فوق ما تعطيها
حبّ النبي محمد ووصيّه مع حبّ فاطمة وحبّ بنيها
أهلُ الكساء الخمسة الغرر التي يبني العلا لعلاهُمُ بانيها
كم نعمةٍ أوليتَ يا مولاهمُ في حبّهم فالحمدُ للموليها
إنّ السفاه يُقلُّ مدحي فيهم فيحق لي أن أكون سفيها
هم صفوة الكرم الذي أصفيتهم ودّي وأصفيتُ الذي يصفيها
أرجو شفاعتهم فتلك شفاعةٌ يلتذُّ برد رجائها راجيها
صلوا على بنت النبي محمدٌ بعد الصلاة على النبيّ أبيها
وابكوا دماءً لو تشاهد سفكها في كربلاء لما ونت تبكيها
يا هولها بين العمائم واللحى تجري وأسياف العدا تجريها
تلك الدماءُ لو أنها تفدي إذاً كنا بنا وبغيرنا نفديها
لو أن منها قطرةً توفى إذاً كانت دماء العالمين تقيها
إنّ الذين بغوا إراقتها بغوا مشؤومة العقبى على باغيها
قتل ابن مَن أوصى غليه خيرُ مَن أوصى الوصايا قط أو يوصيها
رفع النبيُّ يمينه بيمينه ليرى ارتفاع يمينه رائيها
في موضعٍ أضحى عليها منبّهاً فيه وفيه يبدعُ التشبيها
آخاه في خمٍّ ونوّه باسمهِ لم يألُ في خبر به تنويها
هو قال: أفضلكم عليٌّ إنّه أمضى مسنته التي يمضيها

هو لي كهارونٍ لموسى حبّذا تشبيهُ هارون به تشبيها[١]

والصنوبري يرسم لنا في قصيدة ثانية صورة مروّعة لواقعة كربلا حيث يتعالى صراخ نساء الحسين، وقد منعوا الحسين وأهل بيته من شرب ماء الفرات وهو الماء الزلال، فالحسين هو ابن بنت رسول الله وأهل البيت هم عترة النبي وهم خير الخلق. ويأتي بعد ذلك الشاعر على ذكر الغدير حيث إن الحسين هو ابن من آزر النبي وولاه وصافاه وآخاه وهو ابن من حاربَ من أجل الدين الإسلامي ورفع رايته. ويقول في قصيدته التي مطلعها:

هل أُضاخ كما عهدنا أضاخا؟ حبّذا ذلك المناخ مناخا

يقول فيها:

ذكر الحسين بالطّفِ أودى بصماخي فلم يدع لي صماخا
متبعات نساؤه النوح نوحاً رافعات أثر الصراخ صراخا
منعوه ماء الفرات وظلوا يتعاطونه زلالاً نقاخا
بأبي عترة النبيِّ وأميّ سدّ عنهم معاندٌ أصماخا
خير ذا الخلق صبيةً وشباباً وكهولاً وخيرهم أشياخا
أخذوا صدر مفخر العزّ مذ كانوا وخلّوا للعالمين المخاخا
النقيّون حيث كانوا جيوباً حيث لا تأمن الجيوبُ اتساخا
يألفون الطوى إذا ألف النا سَ اشتواءً من فيئهم واطباخا
خُلقوا أسخياء لا متساخيـ ـنَ وليس السخيُّ من يتساخى
أهل فضل تناسخوا الفضل شيخاً وشباباً أكرم بذاك اتساخا
بهواهم يزهو ويشمخ من قد كان في الناس زاهياً شمّاخا
يابن بنت النبي أكرم به ابناً وبأسناخ جدّه أسناخا

(١) ديوان الصنوبري: الدكتور حسان عباس، ص ٥٠٩. الأميني: الغدير، ج٣، ص ٣٦٧.

وابــنُ مَــنْ وازرَ الــنــبــيَّ ووالا ... هُ وصـافـاهُ فـي (الـغـديـرِ) وواخـى
وابـنُ مـنْ كـان لـلـكـريـهـةِ ركّـا ... بـاً وفـي وجـه هـولـهـا رَسـاخـا
للظلى تحت قسطل الحرب ضرّا ... بـاً ولِـلـهـام فـي الـوغـى شـدّاخـا
ذو الـدِّمـاء الـتـي يـطـيـل مـوالـيـ ... ـهِ اختـضـابـاً بـطـيـبـهـا والـتـطـاخـا
مـا عـلـيـكـم أنـاخ كـلـكـلـه الـدهـ ... ـرُ ولـكـن عـلـى الأنـام أسـاخـا[1]

أمّا الأمير أبو فراس الحمداني فإنّه يرثي أهل البيت رثاءً يلهب المشاعر فيستهل قصيدته الشافية بذكر حق أهل البيت المغتصب وما آل إليه الدين على يدي بني أمية وتبيان حال الناس بعد رسول الله ويتألم الشاعر لحال أهل البيت ويعجب لعدم وجود رجال ينتصرون للحق وينتقمون من أعداء أهل البيت الذين أصبحوا معزولين غرباء في حين يكون السلطان بيد النساء والخدم. ويشرح الشاعر حال المسلمين في ذلك العهد حيث قلبت كل الموازين حيث الظالم هو صاحب الأمر والنهي والسلطان والمظلوم يتحمل الظلم والشدة والمذلة. ثم يجري الشاعر مقارنة بين بني أمية وبني هاشم حيث لا يمكن التشابه بينهم.. فرسول الله أكّد لأهل البيت حقهمّ في خلافته فقد قام رسول الله في يوم الغدير بوصية عليٍّ لأن يكون خليفة ووصيّاً بعده، ثم يشير الشاعر إلى أن الخلافة قد أصبحت في غير عليٍّ فأخذ القوم يتنازعون حولها، ويعجب الشاعر من القوم الذين أرجعوا الخلافة شورى وهم يعلمون ويعرفون حقيقة الأمر، ثم يشير الشاعر إلى ما قام به بنو أمية وبني العباس من أعمال بحقّ أهل البيت قائلاً:

الـحـقُّ مـهـتـضـمٌ والـديـنُ مـخـتـرمٌ ... وفـي آل رسـول الله مـقـتـسـمُ
والـنـاسُ عـنـدك لا نـاسٌ فـيـحـفـظـهـم ... سـوم الـرعـاة ولا شـاءٌ ولا نـعـمُ
إنّـي أبـيـتُ قـلـيـل الـنـومِ أرّقـنـي ... قـلـبٌ تـصـارع فـيـه الـهـمُّ والـهـمـمُ

(١) الأميني: الغدير، ج٣، ص ٣٦٧.

وعزمةٌ لا ينامُ الليلَ صاحبها ... إلاّ على ظفر في طيّه كرمُ
يُصانُ مُهري لا أبوحُ بهِ ... والدرعُ والرمحُ والصمصامة الخذمُ
وكلُّ مائرةِ الضبعين مسرحها ... رمث الجزيرة والخذراف والعنمُ
وفتيةٌ قلبهم قلبٌ إذا ركبوا ... وليس رأيهمُ رأياً إذا عزموا
يا للرجال أما لله منتصرٌ ... من الطغاة؟ أما لله منتقمُ
بنو عليٍّ رعايا في ديارهمُ ... والأمر تملكه النسوان والخدمُ
محلؤون فاصفى شربهم وشلٌ ... عند الورودِ وأوفى ودَّهم لممُ
فالأرضُ إلا على ملاكها سعةٌ ... والمالُ إلا على أربابه ديمُ
فما السعيدُ بها إلا الذي ظلموا ... وما الشقيُّ بها إلا الذي ظلموا
للمتقين من الدنيا عواقبها ... وإن تعجّلَ منها الظالمُ الأثِمُ
أتفخرون عليهم لا أباً لكمُ ... حتّى كأنّ رسول الله جدُّكمُ
ولا توازن فيما بينكم شرفٌ ... ولا تساوت لكم في موطنٍ قدمُ
ولا لكم مثلهم في المجد متصلٌ ... ولا لجدّكمُ معشار جدِّهمُ
ولا لعرقكم من عرقهم شبهٌ ... ولا نثيلتكم من أمِّهم أُممُ
قام النبيُّ بها (يوم الغدير) لهم ... واللهُ يشهدُ والأملاك والأممُ
حتّى إذا أصبحت في غير صاحبها ... باتت تنازعها الذؤبان والرخمُ
وصيّروا أمرهم شورى كأنّهمُ ... لا يعرفون ولاة الحقّ أيُّهمُ
تالله ما جهل الأقوام موضعها ... لكنّهم ستروا وجه الذي علموا
ثم ادّعاها بنو العباس ملكهم ... ولا لهُمْ قدمٌ فيها ولا قِدمُ
لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا ... ولا يحكم في أمر لهم حكمُ
ولا رآهم أبو بكر وصاحبه ... أهلاً لما طلبوا منها ولا زعموا
فهل همُ مدّعوها غير واجبةٍ؟ ... أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا؟
أمّا عليٌّ فأدنى من قرابتكم ... عند الولاية إن لم تكفر النعمُ

أينكر الحبر عبد الله نعمته؟ أبوكمُ أم عُبيد الله أم قثمُ
بئس الجزاء جزيتم في بني حسنٍ أباهم العلمُ الهادي وأُمهُمُ
لا بيعة ردعتكم عن دمائهمُ ولا يمين ولا قربى ولا ذِممُ
هلاّ صفحتم عن الأسرى بلا سببٍ للصافحين ببدرٍ عن أسيركمُ
هلاّ كففتم عن الديباج سوطكم وعن بنات رسول الله شتمكمُ
ما نزّهت لرسول الله مهجته من السياط فهَلاّ نزّه الحرمُ
ما نالَ منهم بنو حرب وإن عظمت تلك الجرائر إلا دون نيلكمُ
كم غدرةٍ لكم في الدين واضحةٌ وكم دمٍ لرسول الله عندكمُ
أنتم له شيعةٌ فيما ترون وفي أظفاركم من بنيهِ الطاهرين دمُ
هيهات لا قرّبت قربى ولا رحمٌ يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيمُ[1]

وأبو فراس في هائيته التالية يرثي الحسين بن علي، ويتألم لما أصابه من ظلم وجورٍ على يد بني أميّة ويشير إلى ما فعله بنو أمية حيث قطعوا عليه ماء الفرات وعوضوه بدل الماء القنا، واجتزّوا رأسه الذي طالما كان في حجر رسول الله، ففي يوم عاشوراء حيث قتل الحسين تغيرت الشمس وبكت عليه السماء دماً لعظم المصاب، ثم يهجو الشاعر القوم الذين تابعوا ظلمهم لأهل البيت ويرى أنّهم سينالون جزاء أعمالهم يوم القيامة ويعجب كيف أن هؤلاء القوم فعلوا ما فعلوه بالحسين وأهل بيته وقد قال رسول الله يوم غدير خم أمام الملأ لعلي بن أبي طالب: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. والشاعر يخاطب أولئك الذين ينفون وصية الرسول لعلي ويقول لهم: إن وصية الرسول لخير دليل على إمامة علي فافهموا هذا ولا تقولوا بأن رسول الله لم يوصِ لعليٍّ يقول الشاعر في قصيدته التي مطلعها:

يومٌ بسفحِ الدار لا أنساهُ أدعى له دهري الذي أولاهُ

(١) الأميني: الغدير، ج٣، ص ٣٩٩.

ويقول:

فحرمت قرب الوصل منه مثل ما ... حُرِمَ الحسين الماء وهو يراهُ
إذ قالَ: اسقوني، فعُوض بالقنا ... من شرب عذب الماء ما أرواهُ
فاحتزَّ رأساً طالما في حجرهِ ... أدنته كفها جدِّه ويداهُ
يومٌ بعين اللهِ كان وإنّما ... يُملي لظلم الظالمينَ اللهُ
وكذاك لو أردى عُداة نبيّهِ ... ذو العرش ما عرف النبيّ عَداهُ
يومٌ عليه تغيّرت شمس الضحى ... وبكت دماً ممّا رأته سماهُ
لا عذر فيه لمهجةٍ لم تنفطر ... أو ذي بُكاء لم تفض عيناهُ
تبّاً لقومٍ تابعوا أهواءهم ... فيما يسوءوهُمُ غداً عقباهُ
أتراهُمُ لم يسمعوا ما خصّهُ ... منه النبيُّ من المقالِ أباهُ
إذ قال يوم (غدير خم) معلناً ... : من كنت مولاه فهذا مولاهُ
هذا وصيته إليه فافهموا ... يا مَن يقول بأن ما أوصاهُ[1]

وقال أبو محمد الصوري يرثي أهل البيت ويذكر وصية الرسول لعلي يوم غدير خم:

نكرتُ معرفتي لما حَكَم ... حاكم الحبّ عليها لي بدمْ
فبدت من ناظريها نظرةٌ ... أدخلتها في دمي تحت التُّهمْ
وتمكنت فأضنيتُ ضنًى ... كان بي منها وأسقمتُ سقمْ
وصبتُ بعد اجتناب صفوةٍ ... بدّلت من قولها: لا بنعمْ
وفقدت الوجد فيها والأسى ... فتألمت لفقدان الألمْ
ما لعيني وفؤادي كلّما ... كتمت باحَ؟ وإن باحت كتمْ
طال بي خُلفهما فاتفقت ... لي همومٌ في الرزايا وهَمَمْ

(١) الأميني: الغدير، ج٣، ص ٣٩٩. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٥٣٢.

ورزايا المصطفى في أهلهِ فاتحاتٌ للرزايا وختمْ
يا بني الزهراء ماذا اكتسحتْ فيكم الأيامَ من عتب وذمْ
يا طوافاً طاف طوفان به وحطيماً بقنا الخطّ حطمْ
أيُّ عهْدٍ يُرتجى الحفظ لهُ بعد عهد الله فيكم والذممْ
لا تسليت وأنوارٌ لكم غشيتها من بني حرب ظلمْ
ركبوا بحر ضلالٍ سلموا فيه والإسلام فيهم ما سلمْ
ثم صارت سُنةً جاريةً كلُّ من أمكنه الظلم ظلمْ
وعجيبٌ إنّ حقاً بكمُ قام في الناس وفيكم لم يُقمْ
والولا فهو لمن كان على قول عبد المحسن الصوري قسمْ
وأبيكم والذي وصى به لأبيكُمْ جدُّكم في يوم خمْ
لقد احتجَّ على أمّته بالذي نالكُمُ باقي الأممْ[1]

يتألم الشاعر للمصائب التي حلّت بآل المصطفى والرزايا التي المّت بأبناء الزهراء الذين ظُلموا في كل العهود وصار ظلمهم سنةً جاريةً لكل من كان له القدرة على الظلم. ويشير الشاعر بعد ذلك إلى وصية الرسول لعلي يوم غدير خم ويروى أن الرسول قد احتجّ على أُمته بهذا اليوم.

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٢٢٢.

المبحث الرابع:

الفخر

تناول بعض شعراء الشيعة وصاية رسول الله لعلي يوم غدير خم في معرض فخرهم بأنفسهم وآبائهم، منهم الشريف المرتضى الذي يفتخر بنفسه وآبائِهِ ويرى بأن يوم غدير خم قد زاد من شرف أهل البيت وأصبحوا أمراء على الناس وارتقوا إلى منزلة لم يصل إليها غيرهم ويقول في قصيدته البائية:

على مثل هذا اليوم تُحنى الرواجبُ ... وتطوى بفضلٍ خيز فيه الحقائبُ
حبينا وأمرّنا به فبيوتُنا ... لذُن قيل ما قد قيل فيه الأهاضبُ
وطارت بما نلناه أجنحة الورى ... وسارت به في الخافقين الركائبُ
وقال أناسٌ هالهم ما رأوا لنا: ... ألا هكذا تأتي الرجال المواهبُ!
ظفرتمُ بما لم نحظ منه بنهلةٍ ... ولذّت لكم دون الأنام المشاربُ
وبوّأكمُ الشعبَ الذي هو ساكنٌ ... رسول له أمرٌ على الخلق واجبُ
فلمّا مضى من كان أمرّنا لكُمْ ... أتتنا كما شاء العقوق العجائبُ
فقُل لأُناسٍ فاخرونا ضلالةً ... وهم غرباءٌ من فخارٍ أجانبُ
متى كنتمُ أمثالنا ومتى استوتْ ... بنا وبكم في يوم فخرٍ مراتبُ؟
فلا تذكروا قربى الرسول لتدفعوا ... مُنازعكم يوماً فنحن الأقاربُ
لنا دونكم (عبّاسنا) و(عليّنا) ... ومن هو نجم في الدُّجُنّةِ ثاقبُ
ولو أننا لم نُنْهِ عنكم أتتكُمُ ... سراعاً بنا مقانبٌ وكتائبُ
وقومٌ يخوضونَ الرّدى وأكفهم ... تناط ببيضٍ لم تخنها المضاربُ
إذا طُلبوا لم يرهبوا من بسالةٍ ... ومن طلبوا ضاقت عليه المذاهبُ
فما بيننا سِلمٌ ومن كان دَهْرَهُ ... يكتّمُ ضغناً في حشاه محاربُ

وقيل لنا للحقِّ وقتٌ معيّنٌ يفوزُ به باغٍ وينجحُ طالبُ
فلا تطلبوا ما لم يَجِنْ بعدُ حينهُ فطالبُ ما لم يقضهِ الله خائبُ
فإنْ دُولٌ منكم مشين تبختراً زماناً فقد تمشى الطِّلاحُ اللواغبُ
وإن تركبوا أثباج كلِّ منيفةٍ فكم حُطَّ من فوقِ العليّةِ راكبُ
فلا تأمنوا من نامَ عنكُم ضرورةً فمُقْعٍ إلى أن يُمكن الوثبَ واثبُ
كأنيّ بهنّ كالدّبا هبّتْ الصبا به في الفلا طوراً وأخرى الجنائبُ
يحكّونَ أطراف القنا بنحورهم كما حكّت الجذل القلاصُ الأجاربُ
أبيّون ما جلّوا الوهاد عن الرُّبا وما لهمُ إلا الذُّرا والغواربُ
وكم منهمُ في غمرةِ الحرب سالبٌ وكم فيهم في حومةِ الجدب واهبُ
وإنّي لأرجو أن أعيش إلى التي تحدّثنا عنها الظنون الصوائبُ
فتُقضى ديونٌ قدْ مطَلنَ وتنجلي دياجرُ عن أبصارنا وغياهبُ
وتجري مياهٌ كنّ بالأمس نُضباً وتهمى كما شئنا علينا السحائبُ
وتُدرك ثارات وتُقضى لُبُانةٌ وتنجحُ آمالٌ وتؤتى مآربُ[1]

(١) ديوان الشريف الرضي: تحقيق رشيد الصفّار المحامي، ج١، ص ٣٥.

المبحث الخامس:

الغدير وشعر الرجز

لم يخلُ شعر الغدير من الرجز في هذا العصر، فهناك قصيدة رجز للقاضي النعمان خصصها للدفاع عن إمامة علي بن أبي طالب، وردّ فيها على الذين أخّروا علياً وقدموا عليه غيره، ويذكر الشاعر دلائل وبراهين دامغة لإثبات أحقية علي وأولويته في خلافة رسول الله ﷺ ويورد الشاعر أيضاً جملة من فضائل علي ويشير إلى مكانته وقرابته من الرسول، ويذكر واقعة غدير خم، يقول القاضي النعمان:

قد مرّ فيما مرَّ بابٌ مشبعُ حكيتُ فيه قولهم وما ادّعوا
على نبيهم من الإشارة نحو عتيق منه بالإمارة
حكيتُ دعواهم على كمالها وجئتُ بالحجةِ في أبطالها
ثم أردتُ ذكرَ ما قد احتووا عليه مما عرفوا وما رووا

ويشير الشاعر إلى ما قاله رسول الله لعلي وما أشار إليه بقوله:

وما أتاهمُ عن النبيِّ من الإشارات إلى عليِّ
من ذاك أنه ما سُمعا أولُ من كان إلى الدين دُعا
وأول الناس له بسرِّه باحَ وأفضى بجميع أمرِهِ
وكان في القديم قد ربّاه سأل في احتضانِه أباهُ
وكان عندهُ بحالةِ الولد لم يكِ في مقامهِ له أحدْ[1]

يذكر الشاعر بأن علياً كان أول من آمن بدعوةِ الرسول وأول من أفضى له الرسول بسرّه وجميع أمورهِ وقد ربّاه النبي منذ نعومة أظفاره فكان له

(١) القاضي النعمان: الأرجوزة المختارة، ص ١٠٥ - ١٠٧.

بمنزلة الولد حيث لم يكن أحد يدانيه هذه المنزلة.

ثم يسترسل الشاعر بذكر يوم الإنذار حينما أُنزلت الآية الكريمة على رسول الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فاستجاب النبي لأمر ربه فدعا عشيرته إلى دار عمه - أبي طالب - وهم يومئذٍ أربعون رجلاً وامرأتان يزيدون رجلاً أو ينقصون، وفيهم أعمامه: أبو طالب والحمزة والعباس وأبو لهب، فصنع لهم طعاماً، وكان الرجل منهم يأكل الجرعة ويشرب الفرق من الشراب، فأكلت الجماعة كلهم من ذلك اليسير من الطعام حتى شبعوا فبهرهم ذلك وتبين أنه صادق في نبوته، فقال: «يا بني عبد المطلب، إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأُمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه، يكون أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي؟». فقال علي وكان أصغر القوم سناً: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه. فأخذ الرسول برقبة علي وقال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يتضاحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطع[1].

يقول الشاعر في هذا المعنى:

حتّى إذا أُرسل فيهم وانتُخب ... دعا بني أبيه عبد المطلب
من بعد أن هيّأ لهم طعاما ... برجلِ شاةٍ ودعا الأقواما
فأكلوا حتّى انتهوا للوَسقِ ... ثم سقاهم لبناً في فرقِ

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٦٢. وأبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص ١٤.

فشربوا منه على ما قد حكوْا ... في علَلٍ ونهَلٍ حتى ارتووا
وكان فيمن قد أتاه تِسعَهْ ... كلُّ امرىءٍ يأكلُ منهم خدعَهْ
ويشربُ الفرقَ، فقالوا: باصرُ ... فقال، من منكم يكونُ الناصرُ؟
اجعلهُ ما عِشتُ لي وزيرا ... وبعد موتي فيكمُ أميرا
فكذّبوا مقالهُ وقالوا: ... جميعُ ما تقوله ضلالُ
قال عليٌّ: أنا خيرَ الورى ... انصُر في الله على ما قد ترى
وكان من أحدثهم حداثه ... وأظهر القوم معاً رثاثِهْ
فقال: أنت سيد الجماعة ... والمستحقُّ بعد موتي الطاعهْ
فانصرفوا يهزون من مقالهِ ... ويعجبون منه في أحوالِهْ
وأقبلوا بالمزحِ في ناديهم ... على أبي طالب وَهْوَ فيهمْ
كلٌّ يقول لم تؤدِّ شيئا ... إن لم تُطع من بعد ذا عليّا

ويستمر الشاعر فيذكر ما قام به علي من التضحية والفداء في سبيل رسول الله والدفاع عنه، عندما أراد المشركون قتله في بيته، فنام علي في فراش الرسول بعدما أمره الله بالهجرة والتوجه إلى غار ثور فراراً من مكرهم. فكان علي خليفته في أهله وولده وأهل بلده عند غيابه قائلاً:

حتّى إذا ما همَّ بالفرارِ ... من كيدهم وسار نحو الغار
وأذنَ اللهُ له بالهجرةِ ... أقامَهُ مقامهُ للإثرةِ
خليفةً في أهلِهِ وَوَلَدهْ ... وكلِّ من خلفهُ في بَلدهْ
حتّى إذا قرّبه قرارُهْ ... وأمِنتْ من بعد خوفٍ دارُهْ
جاء بهم إليه في تلطّفِ ... يخفيهمُ مخافةً ويختفي

ويشير الشاعر إلى يوم بدر في شعره، حيث كان علي في مقدمة المجاهدين، فقتل من الأعداء أشرافهم وانهزم الباقون، ويضيف الشاعر

بأن عليّاً كان حامل راية رسول الله يقتل الأقران والأقارب ويهزم الجيوش والكتائب وكان دائماً في مقدمة المحاربين ولم يتقدم عليه أحد.

حتّى إذا ما كان يوم بدرٍ قدّمهُ في الحربِ رأس الأمرِ
فقتل اللهُ به أشرافهُمْ وانهزموا وأمكنوا أكتافهمْ
ولم يزل له على كفايتهْ صاحب أمر حربه ورايتهْ
ويقتلُ الأقران والأقاربا ويهزمُ الجيوش والكتائبا
مُقدَّماً في كل ما يليه لم يكُ من مَقدّمٍ عليهِ
وكلُّ أصحاب النبي أمّرا عليهم النبيُّ منهم أُمرا
خلا عليٍّ قيل في البرايا في حالةِ البعوثِ والسَّرايا
فإنّه لم يكُ كان أمّرا عليه منهم قطُّ قالوا بشرا

ثم يأتي الشاعر إلى ذكر غدير خم وكيف أن رسول الله دعا المسلمين بغدير خم ليسمي لهم وليّ أمرهم من بعده. فاجتمعوا بعد إنتهائهم من حجة الوداع فوقف فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لهم: «إني أوشكُ أن أُدعى فأُجيبُ»، ثم قال: «عليٌّ مني بمنزلة هارون من موسى، فاسمعوا وعوا قولي» ثم دعا علياً وقال وهو رافع يديه: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، وأمر المسلمين أن يبّلغ حاضرهم الغائب.

ثم يذكر الشاعر قول رسول الله لعلي - كما ورد في الأخبار - أنت قسيم النار، فإن النار ستكون لكل من ترك أمرك.

وإنّه قال على الإجماعِ للناسِ بعد حجّةِ الوداعِ
وقد دعاهُمْ بغديرِ خمٍّ فاجتمعوا إليه كي يسمّي
لهم وليَّ أمرهم من بعدهِ فحمد اللهَ بحق حمْدِهِ
وقال، إني أُزمعُ الذّهابا فليبلغِ الشاهدُ من قد غابا
أنّ علياً حلَّ مني، فافهموا محلّ هارونَ على ما يعلمُ

من صاحب التوراةِ موسى، فاسمعوا ما قُلتهُ وما أقولهُ وَعُوا
ثمَّ دعاهُ بينهم اليهِ وقالَ، وهو رافعٌ يديهِ
يا ربِّ والِ اليومَ من والاهُ وعادِ يا ذا العرش من عاداهُ
وقالَ فيما جاءَ في الأخبارِ عنه له: أنت قسيمُ النارِ
لها من العبادِ كلٌّ من تركْ أمرَكَ، والمطيعُ منهم فهو لكْ

ويشير الشاعر إلى غدير خم ويرد على الذين أوّلوا رسول الله ﷺ من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه وفسروا لفظة المولى إلى معانٍ متعددة، ويناقش الشاعر آراء هؤلاء ويقدم لهم الحجج الدامغة والأدّلة الواضحة ويستعمل الجدال والإقناع في سبيل تقرير حقّ علي في خلافة رسول الله. والشاعر يدفع حجج الخصوم ويثبت مكانها حججاً قوية ويخلص إلى القول بأن كل ذلك يؤكد إمامة علي بعد رسول الله:

لما أتى عن النبي ما ذُكر للناسِ في يوم الغدير واشتهرْ
ذاك لهم وصححوا إسناده تعلّلوا ليوُجبوا إفساده
فاعترضوا جَهْلاً على النبيِّ فيما دعا فيه إلى الوصيِّ
فقال بعضُ القوم، قد يُسميّ على لُغاتِ العرب ابن العمِّ
مَوْلًى فكان مخبراً عن حكمهِ بانّهُ ابنُ العمِّ لابن عمِّهِ
قلنا فهلْ في ذاك في المقالِ عند جميع الناس من إشكالِ؟
إنّ بني العمّ على المقاربَهْ كذاك يُدعونَ على المناسبهْ
حتّى يُنادى فيهمُ ويجمعوا ليسمعوا القول الذي لم يسمعوا
كأنكم للدفعِ والمكايَدَهْ جعلتمُ مقاله لا فائِدة
فيهِ، لأنَّ كلَّ من كان معهْ قد كانَ ذا عِلْمٍ بما قد سَمِعَه
وقال قومٌ: كان من أسامة إليه قولٌ وحكوا كلامهْ
بأنّه قد قال يوماً قولا إنّ عليّاً ليس لي بمولى

فبلّغَ القولُ إلى النبيِّ ... فقالَ ما قد قال في عليِّ
قلنا: فإنّ ما ادعيتم قد فسد ... لأنَّ من أعتقَ من قد انفردْ
بعَتْقِهِ فهوَ لوجهِ الحقِّ ... مولاهُ من بين جميع الخلقِ
فإن زعمتم أنه كان كني ... في قولهِ ولم يكن كان عني
بأنّه مولاهُ في حياتهِ ... لكنّهُ بعد انقضا وفاتهِ
يكونُ مولاهُ، فانتم كذَبَهْ ... لأنّ من خلّفَهُ مِنْ عصبهْ
فهُمْ مواليهِ على الكُليّهْ ... ليس لواحدٍ على القضيّهْ
من بينهم فيما حُكي أن ينفردْ ... في حالة الولا به دونَ أحدْ
ولو أراد ذلكم ما خصّا ... به عليّاً دونهم إذ نصّا
وكان قد يقول فيما قد ذكره ... لو كان ما ادّعيتم وَجْهَ الخبرْ
من كنتُ مولاه فأهلُ بيتي ... وعترتي من بعد حين موتي
همُ مواليهِ، ولكنْ قالا ... ما لم يَدع لقائلٍ مقالا
أليسَ مولاي الذي قد أمسى ... في ملكهِ أحقَّ بي من نفسي
ذلكُمُ اللهُ وأنني بكم ... أحقُّ بالجملةِ من أنفسكُمْ
وأنني مولاكمُ فأولى ... بكم من الأنفسِ، قالوا، أهلا
لذلك أنت، فابتدا المقالا ... فقال فيه لهمُ أقوالا
تدُلُّ عنه أنّه الإمامُ ... من بعدِهِ، عليهما السلامُ
إذ خصّهُ بموجباتِ فضلِهِ ... منفرداً دون جمع أهلهِ
وأكدَّ الحجةَ في ولايتِهْ ... وحذّر العباد مَن عداوَتهْ
وأمرَ الناسَ معاً بنُصرتِهْ ... من دونِ أهل بيتهِ وعترتهْ
ثمَّ نهاهمُ بعدُ عن خذلانِهِ ... تأكدّا في أمرهِ وشانِهِ
بمثلِ ما توكّد الإمامَهْ ... لمّا أقامَهُ لهم مقامَهْ[1]

(١) القاضي النعمان: الأرجوزة المختارة، ص ١١٣.

المبحث السادس:

عيد الغدير في شعر العصر العباسي

ذكرنا في فصل سابق، أن الشيعة اتخذوا يوم الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام وهو يوم غدير خم عيداً، لأنَّ رسول الله أوصى في هذا اليوم لعلي بن أبي طالب بالخلافة.

كما ذكرنا أيضاً أنهم يقيمون في هذا اليوم الاحتفالات والمهرجانات ويتكلم الخطباء عن فضائل علي وفضائل يوم غدير خم وينظم الشعراء قصائد في مدح علي وبيان مناقبه ويظهرون كذلك الزينة في شوارع وأسواق المدن الإسلامية الشيعية خاصة في إيران والعراق، أُسوة بالأعياد الإسلامية الأخرى ويتوافدون لزيارة مشهد الإمام علي في النجف الأشرف والأماكن المقدسة الأخرى ويتجمعون حول ضراح الإمام علي يلقون في زيارته خطاباً مأثوراً عن بعض أئمة أهل البيت يشتمل على الشهادة لأمير المؤمنين عليه السلام بمواقفه وسوابقه وعنائه في تأسيس الدين الإسلامي وخدمة رسول الله وإلى ما له من الفضائل والمناقب.

لكننا في هذا البحث نبيّن ما هو أثر عيد الغدير في شعر العصر العباسي وما خلف لنا شعراء الشيعة من شعر في هذا الصدد.

إذا ما بحثنا في كتب الأدب عن الشعر الذي قيل في هذا الموضوع لم نجد سوى مقطوعات عديدة وردت في بعض هذه الكتب.

وأول ما نجده أبياتاً عديدة منسوبة للبشنوي الكردي المتوفى سنة ٣٨٠هـ ففي هذه الأبيات يطلق الشاعر لفظة العيد على يوم الغدير ويروي خلال هذه الأبيات واقعة الغدير وما سمعه المسلمون من أقوال الرسول في علي بن أبي طالب. يقول البشنوي الكردي في هذا الصدد:

وقد شهدوا عيد (الغدير) وأسمعوا ... مقال رسول الله من غير كتمانِ
: ألست بكم أولى من الناس كلّهمْ؟ ... فقالوا: بلى يا أفضل الإنس والجانِ
فقام خطيباً بين أعواد منبر ... ونادى بأعلى الصوتِ جهراً بإعلانِ
بحيدرةٍ والقوم خرس أذلةٌ ... قلوبُهم ما بين خلف وعينانِ
فلبَّ مجيباً ثم أسرع مقبلاً ... بوجه كمثل البدر في غصن البانِ
فلاقاه بالترحيب ثم ارتقى بهِ ... إليهِ وصار الظّهر للمصطفى ثانِ
وشال بعضديهِ وقال وقد صغى ... إلى القولِ أقصى القوم تالله والدانِ
عليٌّ أخي لا فرق بيني وبينه ... كهارون من موسى الكليم ابن عمرانِ
ووارث علمي والخليفة في غدٍ ... على أُمّتي بعدي إذا زرت جثماني
فيا ربِّ مَنْ والى عليّاً فوالهِ ... وعاد الذي عاداه واغضب على الثاني[1]

فأنت لا ترى في هذه الأبيات عن عيد الغدير سوى تسمية يوم الغدير بعيد الغدير. ويورد الشاعر قول رسول الله: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فأجابوه: بلى، عند ذلك رفع النبي عضدي علي وقال: علي مني كهارون من موسى وهو ارث علمي والخليفة على أمتي بعدي ودعا له فقال: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فهناك أبيات أُخرى للشاعر لا تختلف في معناها عن الأبيات السابقة. فالشاعر يقول بأن يوم الغدير هو عيد لكل مُوالٍ ومحبٍّ لعلي وفضل هذا اليوم محمود عند الذين يناصبون علياً لأن في هذا اليوم عُهد إلى علي بالخلافة بعد رسول الله.

يقول الشاعر:

يوم (الغدير) لذي الولاية عيدُ ... ولذي النواصبِ فضله مجحودُ
يوم يوسَّمُ في السماء بأنّه ... العهد فيه وذلك المعهودُ

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٣٤. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٦.

والأرض بالميراث أضحَت وسمه لو طاع موطودٌ وكفّ حسودُ[١]

وكرر الشاعر المعاني السابقة بقوله:

يوم الغدير سوى العيدين لي عيدُ يومٌ يُسرُّ به السادات والصيدُ
نالَ الإمامة فيه المرتضى ولهُ فيه من اللهِ تشريفٌ وتمجيدُ[٢]

فيوم الغدير عند الشاعر هو عيدٌ إضافةً إلى العيدين الآخرين وهذا اليوم يوم فرح وسرور، لأنّ المرتضى علي قد نال الإمامة وهو شرفٌ وفخرٌ له.

وابن حمّاد العبدي يعتبر يوم الغدير يوم عيد ويوم فرح وسرور ويدعو هذا العيد أن يعود بالهناء والسرور لأن في هذا اليوم أصبح عليٌّ أمير المؤمنين عندما أنزل جبريل آية التبليغ على رسول الله، وأمره أن ينزل بقرب غدير خم ويبلغ المسلمين أمر الله، عند ذلك امتثل الرسول لأمر ربه وأنزل المسلمين في غدير خم وقام فيهم خطيباً وبلغهم أمر الله بإقامة علي خليفة بعده، فلما نصبه أميراً عليهم بايعوه مبايعة منقطعة النظير. بعد ذلك يعدد الشاعر مناقب علي وفضائله ويروي كيف أن الذين بايعوا علياً بالخلافة كانوا يضمرون خلاف ما أبدوه من طاعة.

يا عيد يوم الغدير عُده بالهنا والسرورِ
ففيك أضحى عليٌّ أمير كلِّ أميرِ
غداة جبريل وافى من السميع البصيرِ
وقال: يا أحمد انزل بجنب هذا الغديرِ
بلّغ وإلاّ فما كنت قائماً بالأمورِ
فأنزل الجمعُ كُلاً ثم اعتلى فوق كورِ

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ٣٤. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٤٣.
(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب. ج٢، ص ٢٤٣.

وقـــالَ: قـــد جـــاء أمـــرٌ مـــن الـــلـــطـــيـــف الـــخـــبـــيـــرِ
بـــأن أقـــيـــم عـــلـــيـــاً خـــلـــيـــفـــة فـــي مـــســـيـــري
فـــبـــايـــعـــوه فـــمـــا فـــي الـــو رى لـــه مـــن نـــظـــيـــرِ
إمـــــامُ كـــــلِّ إمـــــامٍ مـــولـــى لـــكـــلّ كـــبـــيـــرِ
بـــابٌ إلـــى كـــلِّ رُشـــدٍ نـــورٌ عـــلا كـــلَّ نـــورِ
وحـــجـــة الله بـــعـــدي عـــلـــى الـــجـــهـــودِ الـــكـــفـــورِ
وبـــعـــده الـــغـــرّ مـــنـــه فـــهُـــمْ كـــعـــدِّ الـــشـــهـــورِ
أســـمـــاؤهـــم فـــي الـــمـــثـــانـــي مـــكـــتـــوبـــةٌ والـــزبـــورِ
فـي صـحـف مـوسـى وعـيـسـى مـكـتـوبـةٌ والـزبـور
مـا زال فـي الـلـوح سـطـراً يـلـوح بـيـن الـسُـطـورِ
تـــزور أمـــلاك ربـــيّ مـــنـــه لـــخـــيـــر مـــزورِ
وأشـــهـــد الله فـــيـــمـــا أبـــدي وكـــلَّ الـــحـــضـــورِ
مـــقـــامَ مـــن حـــلَّ خـــمّـــاً مـــن بـــيـــن جـــمٍّ غـــفـــيـــرِ
وبـــايـــعـــوه بـــأيـــدٍ مـــخـــالـــفـــات الـــضـــمـــيـــرِ
والله يـــعـــلـــم مـــاذا أخـــفـــوا بـــذات الـــصـــدور[1]

وأبو النجيب الطاهر يطلق على يوم الغدير (عيد الغدير) ويرى بأن المسلم يتخذ هذا اليوم عيداً وينكر المجرم هذا العيد، ويندد بالذين ينكرون يوم الغدير وما قاله رسول الله في ذلك اليوم، ويشير الشاعر إلى الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ويقول:

عـيّـدَ فـي يـوم (الـغـديـر) الـمـسـلـمُ وأنـكـرَ الـعـيـد عـلـيـه الـمـجـرمُ

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٤٦ - ١٤٧.

يا جاحدي الموضع واليوم ما فاه به المختار تباً لكمُ
فأنزل الله تعالى جدّهُ : اليوم أكملت لكم دينكم
واليوم أتممت عليكم نعمتي وإنّ من نصب الإمام النعمُ[1]

وهناك أبيات للشريف الرضي يعتبر يوم الغدير يوم فرح وسرور وبهجة وحبور، ففي هذا اليوم تلقبّ عليٌّ - وصي رسول الله - بأمير المؤمنين، وحلّ في هذا اليوم الفرح محل الهموم وتبدلت أيام الحزن الطويلة إلى أيام سرور وحبور يقول الشريف الرضي:

غدر السرور بنا وكان وفاؤه يوم الغديرِ
يومٌ أطاف به الوصيُّ وقد تلقّب بالأميرِ
فسّلَ فيه وردّ عار يةِ الغرام إلى المعيرِ
وابتزّ أعمار الهموم بطول أعمار السرورِ[2]

كتب الشاعر مهيار الديلمي الأبيات التالية في عيد الغدير إلى الأستاذ أبي طالب بن أيوب:

على رؤوس الأعياد حليتها وهي ملوك الأيام - تيجانُ
ما فاتها (النحر) بالزيارة (فالغديرُ) وقت لها وأيّانُ
فاحظ بها واكسُهُ الجمال بها فكلُّ يوم فاتته عريانُ[3]

(١) الأميني: الغدير، ج٤، ص ١٧٧. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٢٧.
(٢) ديوان الشريف الرضي: المجلد الأول، ص ٤٢٧.
(٣) ديوان مهيار الديلمي: الجزء السابع، ص ١٩٠.

المبحث السابع:

خصائص شعر الغدير في العصر العباسي

عند استعراضنا لشعر الغدير في العصر العباسي، وجدنا في هذا الشعر خصائص تميزه عن شعر الغدير في العصرين الإسلامي والأموي، فمن أهم هذه الخصائص:

١ - غزارة شعر الغدير وكثرة القصائد في هذا الموضوع. والسبب في ذلك وجود عدد كبير من الشعراء الشيعة وموقف خلفاء بني العباس المتساهل من هؤلاء الشعراء، وإضافة إلى ذلك تكرار المعنى الواحد في قصائد متعددة. فالسيد الحميري قد قال قصائد كثيرة حول حديث الغدير، حتى أن الشيخ الأميني ذكر له ثلاثاً وعشرون قصيدة تدور جميعها حول واقعة الغدير وحدها[١]. ونشاهد هذا التكرار أيضاً في قصائد عديدة لشعراء شيعة آخرين منهم دعبل الخزاعي والعبدي الكوفي والصاحب بن عباد والصنوبري وأبو القاسم الزاهي[٢].

٢ - السهولة هي الطابع المميز لشعر الغدير في أكثر القصائد، فهذه السهولة مقصودة ومتعمدة، والهدف منها أن تكون قريبة من القلوب يلذه من يسمعه ويفهمه عامة الناس لا طبقة خاصة منهم.

٣ - استعمل معظم شعراء الغدير وخاصة السيد الحميري أوزاناً خفيفة لتسهيل حفظ ا لشعر وذيوعه وانتشاره بين الناس. إذ كلّما كانت الأوزان خفيفة كان ذلك الشعر أسرع انتشاراً وأعظم ذيوعاً.

٤ - كان شعر الغدير شعراً عقائدياً مذهبياً وسياسياً، ويعد لوناً من

---

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٣ - ٢٣١.

(٢) راجع الفصل الثالث من الباب الثاني (شعر الغدير في العصر العباسي).

الكفاح السياسي عند الشيعة يستند على أساس أحقية الإمام علي بالخلافة، فيمدح آل البيت ويشيد بدولتهم ويهاجم أعداءهم الذين غصبوا الخلافة منهم ويفحش أحياناً في الهجاء ويرثي قتلى الشيعة في كل عصر وزمان، ويحمل على الذين أراقوا دماء الشهداء.

٥ - لقي شعر الغدير في هذا العصر اهتمام وعناية الشيعة، لأنه يحفظ الحق لعلي بن أبي طالب في الخلافة، ويخلد ذكر أهل البيت، فقد تناقلته كتب الأدب والتاريخ وحفظ في صدور الشيعة.

٦ - يتميّز شعر هذا العصر بالأسلوب القصصي الذي حرص بعض شعراء الشيعة على نظم واقعة الغدير وكيف أن رسول الله أخذ بيد علي ورفعها وقال للمسلمين: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. وما لهذا النوع من الاسلوب القصصي من سهولة في حفظه وانتشاره بين موالي أهل البيت وشيعة علي بن أبي طالب.

٧ - الخاصة الأخرى لهذا الشعر هي العاطفة الجيّاشة في حبّ علي وآل بيته والحماس الصادق في إظهار حق علي في الخلافة وما عليه مخالفيه من ضلال. ولم يكن هذا الحب نحو علي وأهل بيته ابتغاء لكسب ولا طمعاً في مغنم. فقد كان معظم أئمة الشيعة فقراء وكان هؤلاء الشعراء يرفضون قبول ما يقدمه هؤلاء من مال ويرون في مدح علي وآل البيت تقرباً إلى الله.

وكان شعراء الغدير صادقين في كراهيتهم وبغضهم لأعداء علي وآل البيت فكانوا يندفعون في هجائهم وثلبهم، وكان هؤلاء الشعراء يتعرضون إلى ألوان الأذى والعذاب والطرد والتشرد واندفع بعض الشعراء إلى الغلو والتعرض للصحابة والخلفاء الراشدين الثلاثة وبالغوا في هجائهم.

٨ - برز في هذا الشعر الناحية التعليمية بروزاً كبيراً حيث عني بعض الشعراء بهذه الناحية تنشئة الشيعة على حب الإمام علي وآل البيت ومن

هؤلاء الشعراء السيد الحميري ودعبل الخزاعي[١].

٩ - يظهر شعر الغدير في فنون شتى، فهو مديح وثناء لعلي بن أبي طالب وأهل بيت رسول الله وبيان فضائلهم ومناقبهم وهجاء أعدائهم وتنديد بخصومهم ورثاء لأهل البيت والتفجع لما أصابهم من قتل وتعذيب وسجن وتشريد وتنكيل على يد بني أمية وبني العباس وتصوير النكبات والمحن والظلم والاضطهاد الذي حلّ بهم ومحاولة الشعراء إثارة النقمة والسخط على أعداء أهل البيت عليهم السلام وذلك بذكر فاجعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي بتلك الصورة الشنيعة التي تلهب المشاعر وتثير الأحاسيس وتطلق الألسن وتترك في النفوس أثراً باكياً حزيناً.

١٠ - يبدو أسلوب شعر الغدير في العصر العباسي مرة هادئاً رزيناً عندما يمدح ويعدد فضائل علي بن أبي طالب وأهل بيت رسول الله، ومرة ثائر قوياً حين يغضب على أعداء علي وخصوم أهل البيت ويكون رقيقاً عندما يبكي أهل البيت ويبين المحن والنكبات التي حلت بهم ويصوّر واقعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي وأصحابه يوم الطف.

١١ - إن شعراء الغدير في العصر العباسي بما قالوه من شعر في غدير خم ونظموا القصائد المتعددة حول هذه الواقعة وبما حملوا خصومهم على مناهضتهم والردّ عليهم، أفادوا الأدب العربي إفادة كبيرة لا يمكن بأي حال من الأحوال صرف النظر عنه أو نسيانه.

١٢ - وشعراء الغدير في هذا العصر مجددون في فنهم الشعري، لا يتشبثون بنظام القصيدة القديم ولا يتكسبون بشعر الغدير، بل انهم يمدحون عليّاً وأهل البيت حبّاً بهم والتقرب إلى الله ومعاني هذا الشعر تصدر عن الواقع الذي يرونه في غدير خم ووصاية الله في علي بالخلافة بعده.

---

(١) الدكتور محمد مصطفى هدّاره: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص ٣٤٤.

١٣ - إن شعراء الغدير يستندون في أشعارهم إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وذلك عندما يؤكدون إمامة علي بن أبي طالب بعد رسول الله. فمن الآيات القرآنية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] و﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ومن الأحاديث النبوية قول رسول الله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، «علي مني بمنزلة هارون من موسى»، «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

ملحق رقم ١

القصائد الغديرية

نظم بعض شعراء الشيعة في العصر العباسي أكثر من قصيدة في وصاية رسول الله لعلي بن أبي طالب بالخلافة يوم غدير خم، وفي تصوير واقعة الغدير تصويراً حيّاً وسرد تفاصيلها من خطبة النبي ووصيته لعلي وبيعة المسلمين لأمير المؤمنين.

والسيد الحميري كان من أبرز هؤلاء الشعراء الذين خصصوا قصائد عديدة في واقعة الغدير، فنظم هذه الواقعة بشكل منفردٍ لا يصل إلى مرتبته أحد، وقد تميزت قصائده هذه بسهولة الألفاظ، ووضوح المعاني والابتعاد عن التعقيد وتجنب الغريب.

وتعميماً للفائدة رأينا نقل هذه القصائد في ذيل الفصل السابق لنعطي صورة كاملة عن أدب الغدير في هذا العصر.

وكما ذكرت بأن هذه القصائد سهلة الألفاظ وواضحة المعاني، لذا لم أجد ضرورة التعليق على أبياتها أو توضيح معانيها، وسأدرجها كما هي تكملة للبحث.

قد أطلتم في العذل والتنقيد ... بهوى السيِّد الإمام السديدِ
يوم قام النبيُّ في ظلِّ دوحٍ ... والورى في وديقةٍ صيخودِ
رافعاً كفّه بيمنى يديه ... بايحاً باسمه بصوت مديدِ
: أيّها المسلمون هذا خليلي ... ووزيري ووارثي وعقيدي
وابن عميِّ ألا فمن كنت مولاه ... فهذا مولاه فارعوا عهودي
وعليٌّ مني بمنزلةِ هارون ... بن عمران من أخيه الودودِ[1]

(١) ديوان السيد الحميري: تحقيق شاكر هادي شكر، ص ١٧٦. راجع أيضاً، الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٥ - ٢١٦. ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٤.

أجدّ بآل فاطمة البكورُ فدمع العين منهلٌ غزيرُ
لقد سمعوا مقالته بِخُمٍّ غداة يضمّهم وهو الغديرُ
: فمن أولى بكم منكم فقالوا مقالة واحدٍ وهم الكثيرُ
جميعاً: أنت مولانا وأولى بنا منّا وأنت لنا نذيرُ
: فإنّ وليّكمُ بعدي عليٌّ ومولاكم هو الهادي الوزيرُ
وزيري في الحياة وعند موتي ومن بعدي الخليفة والأميرُ
فوافِ الله من والاه منكم وقابله لدى الموت السرورُ
وعادى الله من عاداه منكم وحلّ به لدى الموت النشورُ[1]

* * *

الا الحمد للهِ حمداً كثيرا ولـيِّ المحامد ربّاً غفورا
هداني إليه فوحدتُه وأخلصت توحيده المستنيرا

ويقول فيها:

لذلك ما اختاره ربّه لخير الأنام وصيّاً ظهيرا
فقام بِخُمٍّ بحيثِ (الغدير) وحط الرحال وعاف المسيرا
وقمَّ له الدوح ثمّ ارتقى على منبر كان رحلاً وكورا
ونادى ضحًى باجتماع الحجيج فجاؤو إليه صغيراً كبيرا
فقال وفي كفّهِ حيدرٌ يليحُ إليه مبيناً مشيرا
: الا إنَّ من أنا مولى له فمولاه هذا قضاً لن يجورا
فهل أنا بلغت؟ قالوا: نعمِ فقالوا: اشهدوا غيباً أو حضورا

(١) ديوان السيد الحميري: تحقيق شاكر هادي شكر، ص ١٩٧. وراجع أيضاً، الأميني: الغدير: ج٢، ص ٢١٦. الأصفهاني: الأغاني، المجلد السابع، ص ٢٣٩. ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٥.

يبلغ حاضركم غائباً وأُشهد ربي السميع البصيرا
فقوموا بأمر مليك السما يبايعه كلٌّ عليه أميرا
فقاموا: لبيعته صافقين أكفّاً فأوجس منهم نكيرا
فقال: إلهي وال الوليّ وعاد العدوّ له والكفورا
وكن خاذلاً للأولى يخذلون وكن للأولى ينصرون نصيرا
فكيف ترى دعوة المصطفى مجاباً بها أو هباءً نثيرا؟!
أحبك يا ثاني المصطفى ومن أشهد الناس فيه الغديرا
وأشهد أن النبي الأمين بلّغ فيك نداءً جهيرا
وإنّ الذين تعادوا عليك يصلون ناراً وساءت نصيرا[1]

* * *

قف بالديار وحيّهنَ ديارا واسق الرسوم المدمع المدرارا
كانت تحلُّ بها النوا وزينب فرعى إلهي زينبا ونوارا
قل للذي عادى وصيَّ محمد وأبان لي عن لفظهِ إنكارا

ويقول فيها:

مَن خاصف نعل النبي محمدّ يُرضى بذاك الواحد الغفّارا
فيقول فيه معلناً خير الورى جهراً وما ناجى به إسرارا
: هذا وصييِّ فيكم وخليفتي لا تجهلوه فترجعوا كفّارا
وله بيوم (الدوح) أعظم خطبة أدّى بها وحي الإله جهارا[2]

---

(١) ديوان السيد الحميري: تحقيق شاكر هادي شكر، ص ٢١٠. وراجع أيضاً، الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٦ - ٢١٧.
(٢) ديوان السيد الحميري: تحقيق شاكر هادي شكر، ص ٢١٣. وراجع أيضاً، الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢١٧.

هبَّ عليَّ بالملامِ والعذلْ ... وقال: كم تذكر بالشعر الأوَلْ؟
كفّ عن الشرّ فقلت: لا تقلْ ... ولا تخل اكفُّ عن خير العمل
إنيّ أحبُّ حيدراً مناصحاً ... لمن قفا مُوائباً لمن نكل
أحبُّ من آمن بالله ولم ... يشرك به طرفة عين في الأزل
ومن غدا نفس الرسول المصطفى ... صلّى عليه الله عند المبتهلْ
وثاني النبي في يوم الكسا ... إذ طهَّر اللهُ به من اشتملْ
وقال: خلفت لكم كتابه ... وعترتي وكلُّ هذين ثقلْ
فليتَ شعري كيف تخلفونني ... في ذا وذا إذا أردت المرتحلْ؟
وجاء من مكة والحجيج قد ... صاحبه من كلّ سهل وجبلْ
حتّى إذا صار بخمٍّ جاءه ... جبريلُ بالتبليغ فيهم فنزلْ
وقُمَّ ذاك الدوح فاستوى على ... زحلٍ ونادى بعليٍّ فارتحلْ
وقال: هذا فيكمُ خليفتي ... ومن عليه في الأمور المتّكلْ
نحن كهاتين وأوما بإصبع ... من كفّه عن اصبع لم تنفصل
لا تبتغوا بالطهر عنه بدلا ... فليس فيكم لعليٍّ من بدلْ
ثم أدار كفّه لكفّه ... يرفعها منه إلى أعلا محلْ
فقال: بايعوا له وسلموا الأ ... مرَ إليه واسلموا من الزّللْ
ألستُ مولاكم؟ فذا مولى لكم ... والله شاهدٌ بذا عزّ وجلْ
يا ربّ وال من يوالي حيدراً ... وعاد من عاداه واخذل من خذل
يا شاهدي بلّغت ما أنزله ... إليَّ جبريل وعنه لم أجلْ
فبايعوا وهنئوا وبخبخوا ... والصدر مطويٌّ له على دغلْ
فقل لمن ينقم عنه: ما رأى؟! ... وقل لمن يعدل عنه: لِم عدلْ؟[1]

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٢٥. وراجع أيضاً: ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٣.

أعلماني أيّ برهان جليّ ... فتقولان بتفضيل عليٍّ؟
بعدما قام خطيباً معلناً ... يوم (خم) باجتماع المحفلِ
أحمد الخير ونادى جاهراً ... بمقالٍ منه لم يفتعلِ
قال: إن الله قد أخبرني ... في معاريض الكتاب المنزلِ
: إنّه أكمل ديناً فتيّماً ... بعليٍّ بعد أن لم يكملِ
وهو مولاكم فويلٌ للذي ... يتولّى غير مولاه الوليِّ
وهو سيفي ولساني ويدي ... ونصيري أبداً لم يزلِ
وهو صنوي وصفيٌّ والذي ... حبُّه في الحشرِ خيرُ العملِ
نورُه نوري ونوري نورهُ ... وهو بي متصلٌّ لم يفصلِ
وهو فيكم من مقامي بدلٌ ... ويل من بدّلَ عهد البدلِ
قوله قولي فمن يأمرهُ ... فليطعه فيه وليمتثلِ
إنّما مولاكمُ بعدي إذا ... حانَ موتي ودنا مُرتحليِ
ابنُ عمّي ووصيّي وأخيْ ... ومجيبي في الرّعيلِ الأولِ
وهو بابٌ لعلومي فسقوا ... ماء صبر بنقيع الحنظلِ
قطبوا في وجهه وائتمروا ... بينهم فيه بأمرٍ مُعضلِ[1]

* * *

قام النبيُّ يوم خمٍّ خاطباً ... بجانبِ الدوحاتِ أو حيالها
فقال: من كنت له مولى فذا ... مولاه ربّي أشهد مراراً قالها
قالوا: سمعنا وأطعنا كلّنا ... وأسرعوا بالألسن اشتغالها
وجاءهم مشيخةٌ يقدمهم ... شيخٌ يهنيّ حيدراً مثالها

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٢٦. وراجع ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٣.

قال له: بخٍ بخٍ من مثلكا أصبحت مولى المؤمنين يا لها
يا عجباً وللزمان عجبٌ تلقى ذوو الفكر به ضلالها
إنّ رجالاً بايعته إنّما بايعت الله، فما بدا لها؟!
وكيف لم تشهد رجالٌ عندما استشهد في خطبته رجالها؟!
وناشد الشيخ فقال: إنني كبرت حتى لم أجد أمثالها
فقال: والكاذبُ يُرمى بالتي ليس توارى عمة تنالها[1]

* * *

لمن طلل كالوشم لم يتكلم ونؤي وآثار كرَقيش معجمِ
ألا أيها العاني الذي ليس في الأذى ولا اللوم عندي في علي بمحجمِ
ستأتيك مني في علي مقالة تسوءك فاستأخر لها أو تقدمِ
علي له عندي على من يعيبهُ من الناس نضرٌ باليدين وبالفمِ
متى ما يروا عندي معاديه عيبه يجد ناصراً من دونه غير مفحمِ
عليّ أحب الناس إلا محمداً إليَّ فدعني من ملامك أو لمِ
عليّ وصي المصطفى وابن عمه وأول من صلّى ووحد فاعلمِ
عليّ هو الهادي الإمام الذي به أنار لنا من ديننا كل مظلمِ
عليّ ولي الحوض والذائد الذي يذبب عن أرجائه كل مجرمِ
عليّ قسيم النار من قوله لها ذري ذا وهذا فاشربي منه واطعمي
خذي بالشوى ممن يصيبك منهم ولا تقربي من كان حربي فتظلمي
عليٌّ غدا يُدعا فيكسوه ربّه ويدنيه حقاً من رفيقٍ مكرّمِ
فإن كنت منه يوم يدنيه راغماً وتبدي الرضا عنه من الآن فارغمِ
فإنك تلقاه لدى الحوض قائماً مع المصطفى الهادي النبيّ المعظمِ

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٢٧. وابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٣٧.

يجيزان من والاهما في حياتهِ إلى الروح والظلّ الظليل المكممِ
عليٌّ أمير المؤمنين وحقّهُ من الله مفروض على كلّ مسلمِ
لأن رسول الله أوصى بحقّه وأشركهُ في كل فيءٍ ومغنمِ
وزوجته صديقة لم يكن لها مقارنة غير البتولةِ مريمِ
وكان كهارون بن عمران عنده من المصطفى موسى النجيب المكلمِ
وأوجب يوماً بالغدير ولاءه على كلّ برّ من فصيح وأعجمِ
لدى دوح خمّ آخذاً بيمينه ينادي مبيناً باسمه لم يجمجمِ
أما والذي يهوي إلى ركن بيته بشعث النواصي كل وجناء عيهمِ
يوافين بالركبان من كل بلدةٍ لقد ضلّ يوم الدوح من لم يسلمِ
وأوصى إليه يوم ولّى بأمره وميراث علم من عرى الدين محكمِ
فما زال يقضي دينه وعداته ويدعو إليها مسمعاً كل موسمِ
يقولُ لأهل الدين أهلاً ومرحباً مقاله لا منّ ولا متجهمِ
وينشدها حتى يخلص ذمّة ببذل عطايا ذي ندى متقسمِ
فمه لا تلمني في علي فإنّهُ جرى حبّه ما بين جلدي وأعظمي
ولم تكن أعمى به وبفضله عذرت ولكن أنت عن فضله عمي
أليس بسلع قنع المسرف الذي طغى وبغى بالسيف فوق المعممِ
وبدرٍ وأُحد فيهما من بلائهِ بلاء بحمد الله غير مذممِ
ولله جل الله في فتح خيبر عليه ومنه نعمة بعد أنعمِ
مشى بين جبريل وميكال حوله ملائكة شبه الهزبر المصممِ[1]
ألا إن الوصية دون شك لخير الخلق من سام وحامِ

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٢٧ - ٢٢٨. والسيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج٢، ص ١٠٨.

وقال محمد بغدير خمٍّ عن الرّحمن ينطق باعتزامِ
يصيح وقد أشار إليه فيكم إشارة غير مُضغٍ للكلامِ
: ألا من كنت مولاه فهذا أخي مولاه فاستمعوا كلامي
فقال الشيخ يقدمهم إليه وقد حصدت يداه من الزحامِ
ينادي: أنت مولاي ومولى الـ أنامِ فلم عصى مولى الأنام
وقد ورث النبيُّ رداه يوماً وبُردته ولائكة اللجامِ[1]

* * *

نفسي فداء رسول الله يوم أتى جبريل يأمرُ بالتبليغ إعلانا
: إن لم تُبّلغ فما بلغت فانتصب النبيُّ ممتثلاً أمراً لمن دانا
وقال للناس: مَن مولاكمُ قبلاً يوم الغدير؟ فقالوا: أنت مولانا
أنت الرسول ونحن الشاهدون على أن قد نصحت وقد بينت تبيانا
: هذا أبرُّكُمُ براً وأكثركم علماً وأوّلكم بالله إيمانا
هذا له قربةٌ مني ومنزلةٌ كانت لهارون من موسى بن عمرانا[2]

* * *

أتى جبرئيلُ والنبيُّ بضحوةٍ فقال: أقم والناس في الوخد تمحنُ
وبلّغ وإلاّ لم تبلّغ رسالةً فحطّ وحطّ الناس ثمَّ ووطنوا
على شجرات في الغدير تقادمت فقام على رحل ينادي ويعلنُ
وقال: ألا من كنت مولاه منكمُ فمولاه من بعدي عليٌّ فاذعنوا
فقال شقيٌّ منهم لقرينه وكم من شقيٍّ يستزلُّ ويفتنُ
: يمدُّ بضبعيه عليّاً وإنّهُ لِما بالذي لم يؤتهِ لمزيّنُ

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٢٩.
(٢) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٣٠. وابن شهرآشوب: المناقب، ج٢، ص ٢٣٥.

كأن لم يكن في قلبه ثقةٌ به فيا عجباً أنّى ومن أين يؤمنُ؟![1]

* * *

منحت الهوى المحض منيّ الوصيّا ولا أمنح الودّ إلا عليّا
دعاني النبيُّ عليه السلام إلى حبّه فأحببتُ النبيّا
فعاديتُ فيه ووالَيته وكنت لمولاه فيه وليّا
أقام بِخُمٍّ بحيث الغدير فقال فاسمع صوتاً نديّا
: ألا ذا إذا متُّ مولاكمُ فافهمه العُربُ والأعجميّا

* * *

به وصّى النبيُّ غداة (خمّ) جميع الناس لو حفظوا النبيّا
وناداهم: ألستُ لكم بمولى؟ عباد الله فاستمعوا إليّا
فقالوا: أنت مولانا وأولى بنا منّا فضمّ له عليّا
وقال لهم بصوت جهوريٍّ واسمع صوته من كان حيّا
: فمن أنا كنت مولاه فإنيّ جعلتُ له أبا حسن وليّا
فعاد الله من عاداه منكم وكان بمن تولاّه حفيّا[2]

* * *

ألم يسمعوا يوم الغدير مقالهُ تأمر خير الناس عوداً ومعتصرْ
يقول ألا هذا ابن عمّي ووارثي وأول من صلّى وأول من نصرْ
وليكم بعدي فوالوا وليّه وكونوا لمن عادى عدواً لمن كفرْ[3]

---

(١) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٣٠. وابن شهرآشوب: المناقب، ج٢، ص ٢٣٨.
(٢) الأميني: الغدير، ج٢، ص ٢٣١. وابن شهرآشوب: المناقب، ج٢، ص ٢٣٤.
(٣) ابن شهرآشوب: المناقب، ج٢، ص ٢٣٣.

يوم الغدير وكل القوم قد حضروا من كنت مولاه في سر وإجهار
هذا أخي ووصيّي في الأمور ومن يقوم فيكم مقامي عند تذكار
يا رب عاد الذي عاداه من بشر واركسه في درك للخزي والعار[1]

* * *

قد قام يوم الدوح خير الورى بوجهه للناس مستقبلُ
لكن تواصوا بعليّ الهدى أن لا يوالوه وأن يخذلوه[2]

* * *

فقلت أخذت عهدكم على ذا فكونوا للوصيّ مساعدينا
لقد أصبحت مولانا جميعا ولست عن ولائك راغبينا[3]

* * *

وقام محمد بغدير خم فنادى معلناً صوتاً نديّا
ألا من كنت مولاه فهذا له مولى وكان به حفيّا
الهي عاد من عادى عليّا وكن لوليّه مولى وليّا
فقال مخالف منهم عُتُلٌّ لا ولاهم به قولاً خفيّا
لعمر أبيك لو يسطيع هذا لصيّر بعده هذا نبيّا
فنحن بسوء رأيهما نعادي بني فعل ولا نهوى عديّا
وصيّ محمد وأبا بنيه ووارثه وفارسه الوفيّا
وقد أوتي الهدى والحكم طفلاً كيحيى يوم أوتيه صبيّا

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٥.
(٢) ابن شهرآشوب: المناقب، ج٢، ص ٢٤١.
(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٧.

ألم يؤت الهدى والناس حيرى فوحّد ربه الأحد العليّا
وصلّى ثانياً في حال خوفٍ سنين تحرّمت سبعاً أسيّا
له شهد الكتاب فلا تخرّوا على آياته صمّاً عميّا
بتطهير أميط الرجس عنه وسمى مؤمناً فيه زكيّا[1]

(١) الأمين: أعيان الشيعة، ج١٢، ص ١٦٤. وابن شهرآشوب: المناقب، ج٢، ص ٢٣٥ و٢٣٩.

الخاتمة

(١)

لما قضى رسول الله ﷺ مناسك الحج وانصرف راجعاً إلى المدينة، وصل إلى مكان يقال له غدير خم وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر للهجرة، وكان أوائل القوم قريبين من الجحفة فأمر رسول الله أن يرد من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم، وفي ذلك المكان صلّى بالناس صلاة الظهر، ولمّا انصرف من صلاته قام خطيباً وسط القوم فحمد الله وأثنى عليه ووعظهم فأبلغ في الموعظة ونعى إلى الأمة نفسه وقال: «إني أوشك أن أُدعى فأجيب فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». ثم أخذ بيد علي فرفعها وقال: «إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله».

وقد ذكرت المصادر الشيعية بأن آية التبليغ نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]. لكن أهل السنة لا يرون هذا القول صحيحاً.

بعد انتهاء رسول الله من خطبته وقبل انصراف المسلمين نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر!! على إكمال

الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي». ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين. وممن هنأه في مقدم الصحابة أبو بكر وعمر وكلٌّ يقول: «بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنة». هذا ما قاله مفسرو الشيعة، ولكن مفسري أهل السنة يعتقدون بأن هذه الآية لم تنزل بعد انصراف رسول الله من غدير خم.

انتشر المسلمون في أرجاء البلاد الإسلامية، بعد أداء فريضة الحج مع رسول الله ﷺ وشاع إثر رجوعهم خبر غدير خم في البلاد والأمصار. فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فقدم المدينة، فدخل والنبي ﷺ جالسٌ وحوله أصحابه، فجاء حتى وقف بين يديه ثم قال: يا محمد! إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنّكَ رسول الله فقبلنا ذلك منك، وإنّكَ أمرتنا أن نصلّي في اليوم أو الليلة خمس صلوات، ونصوم شهر رمضان ونزكي أموالنا، ونحج البيت، فقبلنا ذلك منك. ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء من الله أو منكَ؟ فاحمرّت عينا رسول الله ﷺ وقال: «والله الذي لا إله إلا هو، إنّه من الله وليس منّي». قالها ثلاثاً: فقال الحارث وهو يقول: اللهم، إن كان هذا هو الحق من عندك، وفي رواية، اللهم إن كان ما يقول محمداً حقّاً، فارسل علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه فخرج من دبره فمات فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ [المعارج: ١-٣].

ناشد علي بن أبي طالب الناس في الرحبة (رحبة الكوفة) وذلك أثناء خلافته، وقال: أُشهد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهده يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم إلا من رآه فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره

واخذل من خذله، فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته.

انقسم المسلمون حول واقعة غدير خم إلى فريقين، شيعة وسُنَّة. أما الشيعة فيرون في حديث غدير خم دليلاً قاطعاً على خلافة علي بن أبي طالب وإمامته بعد رسول الله. ولم يكن لأهل السُّنة موقف محددٌ من واقعة الغدير. بل لديهم في ذلك ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الأول: وهو أشدّها تطرفاً نلتمسه عند الظاهرية وأهل السلف وبعض أئمة الحديث وعلماء الكلام فهم ينكرون تماماً كل ما وقع في هذا اليوم. الاتجاه الثاني: يسلم بحديث النبي يوم الغدير مع اختلاف في نص الحديث من ناحية وفي تفسير معناه من ناحية أخرى لا سيما في المقصود من لفظ المولى. ويبدو أن الاتجاه السنيّ المعتدل يميل إلى هذا الرأي. الاتجاه الثالث: يجد فريق من أهل السنة أن لا مناص من التسليم بقول النبي يوم الغدير، إلا أنه منعاً لصرف الإمامة عن الخلفاء الثلاثة يتمسكون بالقول إن الحديث لا يفيد وجوب إمامته بعد وفاة النبي مباشرة وقالوا سلمنا أنه أولى بالإمامة، ولكن المراد المآل وليس الحال وإلا كان إماماً في حياة النبي، ولما لم يتعرض الحديث لوقت المآل سلمنا بإمامته الحق بعد الخلفاء الثلاثة.

اتخّذ الشيعة يوم الثامن عشر من ذي الحجة في كل عام عيداً يفزعون فيه إلى مساجدهم للصلاة وتلاوة القرآن والدعاء لله شكراً على إكمال الدين وإتمام النعمة بإمامة أمير المؤمنين ثم يتزاورون ويتواصلون فرحين مبتهجين متقربين إلى الله بالبرّ والإحسان وإدخال السرور على الأرحام والجيران.

ويعتقد الشيعة بأن رسول الله كان يعتبر هذا اليوم أحد الأعياد الإسلامية وكان يفضله على الأعياد الأخرى ويطلب من المسلمين أن يهنئوه بهذا اليوم لأنه اليوم الذي خُصّ به عليّاً بالخلافة.

ويرى الشيعة أيضاً بأن علياً اقتفى أثر الرسول فاتّخذ يوم غدير خم عيداً فكان أن صادف الغدير يوم الجمعة، فخطب في المسلمين منوّهاً إلى أن الله

قد جمع في يوم الغدير عيدين، عيد يوم الجمعة وعيد الغدير، فبيّن منزلة يوم الجمعة بين سائر أيام الأسبوع، وذكر فضل عيد الغدير.

وقد سار الأئمة من أبناء علي على نهج جدّهم الرسول في الاهتمام بهذا اليوم واعتبروه أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة.

والمقريزي يرجع تاريخ احداث عيد الغدير إلى أيام الفاطميين في العراق ويعتقد بأن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً ولا عمله أحد من سالف المقتدى بهم. ويوافقه الرأي كلٌّ من النويري وابن الأثير والحلبي والقلقشندي.

وفي العراق، احتفل الشيعة أيام معز الدولة الفاطمي بعيد الغدير، وشارك الخلفاء الفاطميون الشعب بالاحتفال رسمياً بهذا العيد.

وفي مصر، اهتم الفاطميون شعباً وحكومة اهتماماً بالغاً بعيد الغدير، وكان لهم فيه رسوماً وتقاليد خاصة، لم يسبقهم إليه غيرهم.

وعيد الغدير في العصر الحاضر لا يقل أهمية منه في الأزمنة الغابرة، وبهذه المناسبة يظهر الشيعة الزينة في شوارع وأسواق الدول الإسلامية الشيعية وخاصة في إيران والعراق وتقام الاحتفالات والمهرجانات بهذه المناسبة.

* * *

(٢)

روت لنا كتب التاريخ والأدب قصائد ومقطوعات وأبياتاً شعرية غزيرة من مختلف العصور وذلك في تخليد هذه الواقعة التي كان لها الأثر الكبير في حياة المسلمين. لم نبحث في دراستنا هذه حول هذا الشعر كله نظراً لغزارته ووفوره، إنما اكتفينا بدراسة الأشعار التي وصلتنا من العصور الثلاثة التالية: الإسلامي والأموي والعباسي.

ففي العصر الإسلامي (عصر صدر الإسلام) نقل لنا المؤرخون أبياتاً عديدة لحسان بن ثابت في وصف يوم غدير خم، وقد كان هذا الشعر أقدم ما وصلنا من عصر صدر الإسلام ولم تذكر مصادر أهل السنة هذه الأبيات ولم نجدها في ديوان حسان، بل نقلتها المصادر الشيعية. وللمؤرخين والأدباء قديماً وحديثاً آراء متباينة حول هذه الأبيات والشعر الذي قاله حسان في علي ابن أبي طالب.

وتروى أيضاً أبيات لعلي بن أبي طالب يرد فيها على معاوية بن أبي سفيان يشير فيها إلى مكانته ومنزلته من رسول الله ويذكر واقعة غدير خم وكيف نصبه النبي خليفة بعده على المسلمين. وهناك أبياتٌ أخرى لعلي يذكر فيها مناقبه وفضائله ويشير أيضاً إلى غدير خم ويرى بأن رسول الله اختاره خليفة بعده لهذه المناقب والفضائل. وللمؤرخين والأدباء القدامى والمحدثين آراء متعددة حول هذه الأبيات وكذلك للمستشرقين آراء مختلفة في ذلك. وللإمام علي ديوان شعر وقد طبع عدة طبعات وللمؤرخين آراء في هذا الديوان.

وذكرت لنا كتب التاريخ والأدب أبياتاً لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وهو من صحابة رسول الله ومن شيعة علي. في هذه الأبيات يمدح قيس علياً ويشيد بفضائله ومناقبه ويورد واقعة غدير خم في شعره.

على هذا، من الممكن بيان خصائص شعر الغدير في عصر صدر الإسلام على الوجه التالي: لم يكن هدف حسان وعلي وقيس هدفاً سياسياً كما فعل بعض شعراء الشيعة في العصرين الأموي والعباسي والعصور التي تلتها، ولم تكن الفكرة الشيعية قد تطورت وأخذت وجهة سياسية. وقد حفل شعر الغدير في هذا العصر بمصطلحات مثل: الإمام، الولي، المولى والولاية كذلك نجد في بعض هذه الأبيات الإشارة إلى قول الرسول «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، وتتميز المقطوعات الشعرية في هذا العصر

بسهولة الألفاظ ووضوح المعاني والابتعاد عن التعقيد وتجنب الألفاظ الغريبة.

وفي العصر الاموي، حيث كانت السلطة بيد الأمويين وكان الخلفاء الأمويون قد اتخذوا موقفاً معادياً من شيعة علي وأهل بيت رسول الله. وقد بدأ معاوية وولاته بسبِّ علي على المنابر وقد أثار ذلك حنق الشيعة، فلم تخمد ثورة للشيعة إلا واندلعت ثورة أخرى هناك وكانت ثورة الحسين والفاجعة الأليمة في كربلاء خير مثال على ذلك إذ بعثت الأسى وأثارت اللوعة والحزن في نفوس شيعة علي وأنصاره.

بإزاء حركات الشيعة وثوراتهم المتعددة في العصر الأموي والدماء التي سفكت على يد بني أمية والمصائب التي حلّت بأهل بيت رسول الله، ظهر أدب شيعيٌ يصوّر كل ما حلّ بأهل البيت من قتل وتعذيب وتنكيل وكان الكميت بن زيد الأسدي في مقدمة الشعراء في هذا العصر، فقد عاش للشيعة، وفي الشيعة، وقضى دهره يهتف بحبّ آل البيت، ويتغنى بمدائحهم ويشرح قضيتهم، ويتعرض للأذى في سبيلهم.

ففي قصيدته العينية، أشار الكميت إلى يوم الغدير حيث إن رسول الله قد نصبَ علي بن أبي طالب خليفة بعده على المسلمين. وحمل الكميت في هذه القصيدة على الصحابة لأنهم خالفوا أمر رسول الله وغصبوا من علي الخلافة، وهاجم الأمويين بعنف وجاهر بلعنهم دون تقية ودون خوف من سلطانهم.

وروت كتب التاريخ والأدب أبياتاً أخرى للكميت في مدح علي وبيان فضائله ومناقبه. وتبع الكميت شاعر آخر وهو محمد الحميري فهاجم الذين أضمروا العداوة والبغضاء لعلي وتناسوا نصبه يوم الغدير.

لم يقتصر شعر الغدير في هذا العصر على أشعار الكميت ومحمد الحميري، بل إنّ عمرو بن العاص وهو الذي حضر يوم غدير خم وصف

واقعة الغدير في قصيدة بعث بها إلى معاوية عندما طلب منه خراج مصر. وذكر وصية رسول الله بخلافة علي بعده على المسلمين.

يمتاز شعر الغدير في العصر الأموي، باشتمال القصيدة الواحدة على فنون أدبية شتّى، من احتجاج وجدال ومدح ورثاء وهجاء، وتغير الأسلوب في كل قصيدة، فمرة هادىء ومرة ثائر ويكون حيناً حزيناً باكياً. ويختلف شعر الغدير في هذا العصر عن شعر الغدير في العصر الإسلامي ويعد أدباً جديداً في موضوعاته ومعانيه وأساليبه، فهو سياسي مذهبي، وأساليبه جزلة لا صنعة فيها تعتمد على القرآن وأقوال الرسول. وشعراء الغدير في هذا العصر أفادوا الأدب بما حملوا خصومهم على مناهضتهم باستمرار وأغنوا التراث الأدبي بقصائدهم.

والقصائد الغديرية لم تختص بذكر واقعة الغدير فقط كما هي الحال في عصر صدر الإسلام وإنما ألّفت أيضاً في رثاء الحسين وأهل البيت وشهداء الشيعة وهجاء الأمويين ومدح علي وذكر فضائله.

لقد تطوّر الشعر في العصر الأموي واختلف اختلافاً واضحاً في موضوعاته ومعانيه وأساليبه عن الشعر في العصر الإسلامي ويرجع ذلك إلى مدى ما أصاب التفكير الفني في هذا العصر من تغيير. فقد أخذ الشاعر يتناول حرفته تناولاً جديداً عماده البحث والدرس اللذان ألفهما في بيئات الفقهاء وأصحاب التفكير في العقيدة الدينية.

وفي العصر العباسي، لم يكن حال الشيعة أحسن من حالهم في العصر الأموي وذلك لاختلاف موقف الخلفاء العباسيين حيالهم فخلال حكم العباسيين تقلبت أحوال الشيعة بين اليسر والعسر حسب مواقف الخلفاء منهم، فقد كان المنصور شديداً معهم، وكان المهدي متسامحاً رؤوفاً بهم، وعندما جاء الرشيد اشتد في أمر الشيعة وأمر بإخراج الطالبين من بغداد. وعاش الشيعة أحسن سنواتهم وتنسموا عبير الحرية عندما تولى المأمون

الخلافة وأظهر التشيع وجعل من علي بن موسى الرضا وليّاً لعهده.

استخدمت الشيعة الشعر سلاحاً ضد خصومها ووسيلة من وسائل الدعاية والكفاح السياسي، وكان مدح علي وأبنائه وتقصّي مناقبهم وسردها من الموضوعات المشتركة التي تناولها شعراء الشيعة وحرصوا على القول بها. وكذلك كان رثاء الأئمة والتوجع لما أصابهم من قتل وأذى واضطهاد، وكان يتبع هذا الرثاء غالباً مهاجمة أعداء العلويين والقسوة في هجائهم ومحاولة إثارة الشعور بالنقمة والسخط عليهم.

كان المدح أحد أغراض شعر الغدير في العصر العباسي. فالشعراء مدحوا الإمام علياً وأشادوا بفضائله وسجاياه ومناقبه وذكروا قول الرسول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» و«علي مني بمنزلة هارون من موسى» في أشعارهم واستدلّوا بواقعة الغدير على إمامة علي بعد رسول الله. وشعراء الغدير يرون بأن وصية النبي لعلي جاءت من عند الله لا من عنده ودليلهم على ذلك الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقد نظم هؤلاء الشعراء هذا المعنى شعراً كل على طريقته وأسلوبه، كما وأن هؤلاء الشعراء قد عبروا عن حبهم وتفانيهم للإمام علي بأرق الأشعار وأجمل القصائد وأحلى المعاني وأجزل الألفاظ.

تناول شعراء الشيعة مسألة وصاية الرسول لعلي بالخلافة يوم غدير خم ونظموا واقعة الغدير في معرض مدحهم لآل البيت وذكر مناقبهم والإشادة بفضائلهم ووجوب موالاتهم ومحبتهم والصلاة عليهم وضرورة أن تكون الخلافة فيهم.

والهجاء من أغراض شعراء الغدير في هذا العصر. فالشعراء الشيعة أوردوا وصية الرسول لعلي يوم غدير خم في معرض هجائهم لأعداء علي وخصوم أهل البيت، كما أن بعض هؤلاء الشعراء هاجم الخلفاء الراشدين

الثلاثة وطعنوا ببيعتهم ورأوا أنهم خالفوا وصية رسول الله في علي واغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين.

كان بعض أهل السُّنة يوجه النقد للشيعة وبخاصة حول اعتقادهم بالإمامة، فكان الشعراء الشيعة يردون على هذا النقد ويفندون مزاعمهم ويعارضون آراءهم ويحتجون لأهل البيت على خصومهم.

والسيد الحميري الذي يعد أعظم شعراء الشيعة في العصر العباسي والذي لم يتورع عن هجاء خصوم الإمام علي وأهل بيت رسول الله من الحكام والقضاة والشعراء، قد هجا والديه اللذان كانا إباضيين يكرهان الإمام علياً ويسبانه، ودعاهما إلى التشيع وولاء علي ونهاهما عن سبّه.

والرثاء عنصر أصيل في الأدب الشيعي ويعد من أغراض شعر الغدير في العصر العباسي. فقد تناول شعراء الشيعة وصية رسول الله لعلي يوم الغدير في معرض رثائهم لأهل البيت والتفجع لما أصابهم من قتل وتعذيب وسجن وتشريد وتنكيل على يد بني أمية وبني العباس، وتصوير النكبات والمحن والظلم والاضطهاد الذي حلّ بهم، ومحاولة هؤلاء الشعراء إثارة النقمة والسخط على أعدائهم وذلك بذكر فاجعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي بتلك الصورة الشنيعة التي تلهب المشاعر وتثير الأحاسيس وتطلق الألسن وتترك في النفوس أثراً حزيناً باكياً. كما حرص شعراء الشيعة على المقارنة بين أهل البيت وما هم عليه من فقر وعوز وخوف وتشرد وما عليه أعداؤهم من غنى وترف ونفوذ وسلطان.

والفخر أحد أغراض شعر الغدير، فالشريف المرتضى افتخر بنفسه وآبائه، ورأى بأن يوم الغدير قد زاد من شرف أهل بيت رسول الله حيث أصبحوا أمراء للناس وارتقوا إلى منزلة لم يصل إليها غيرهم.

لم يخلُ شعر الغدير من الرجز فللقاضي النعمان قصيدة رجز خصصها للدفاع عن إمامة علي، وردّ فيها على الذين أخروا علياً وقدموا غيره عليه.

يذكر الشاعر دلائل وبراهين لإثبات أحقية علي وأولويته في خلافة رسول الله ﷺ ويذكر الشاعر أيضاً في هذه القصيدة جملة من فضائل علي ويشير إلى مكانته وقرابته من الرسول ويورد ذكر غدير خم.

يحتفل الشيعة بعيد الغدير وذلك في الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام ويقيمون المهرجانات بهذه المناسبة ويتكلم الخطباء عن فضائل علي ومناقبه ويذكرون وصية رسول الله لعلي يوم غدير خم، ويلقي الشعراء قصائد بهذه المناسبة يمدحون فيها أمير المؤمنين ويشيدون بفضائله وسجاياه الحميدة ويذكرون واقعة غدير خم.

لم تذكر كتب الأدب والتاريخ سوى مقطوعات عديدة يطلق فيها الشعراء لفظة العيد على يوم الغدير ويروون خلال هذه الأبيات واقعة الغدير وما سمعه المسلمون من أقوال رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب عليه السلام ويعتبرون هذا اليوم يوم فرح وسرور وبهجة وحبور.

نظم بعض شعراء الشيعة في العصر العباسي أكثر من قصيدة في وصية رسول الله لعلي بالخلافة يوم غدير خم. والسيد الحميري كان من أبرز هؤلاء الشعراء الذين خصصوا قصائد متعددة في الغدير. فالأميني في الغدير ذكر للحميري ثلاثاً وعشرين قصيدة تدور جميعها حول حديث الغدير وسمّاها بالغديريات.

يمتاز شعر الغدير في العصر العباسي بمميزات من أهمها: غزارة هذا الشعر وكثرة القصائد في هذا الموضوع والسهولة في أكثر القصائد. فهذه السهولة متعمدة ومقصودة، استعمل معظم الشعراء أوزاناً خفيفة لتسهيل حفظ الشعر وذيوعه وانتشاره بين الناس وكان شعر الغدير شعراً عقائدياً مذهبياً سياسياً ويعد لوناً من الكفاح السياسي. ولقي شعر الغدير اهتمام الشيعة لأنه يحفظ الحق لعلي في الخلافة ويخلد ذكر أهل البيت. والأسلوب القصصي كان من أهم مميزات هذا الشعر وقد حرص الشعراء

على نظم واقعة الغدير بأسلوب قصصي، والخاصة الأخرى هي العاطفة الجياشة في حب علي وآل بيته والحماس الصادق في إظهار حق علي في الخلافة وما عليه مخالفوه من ضلال. وقد برزت الناحية التعليمية بروزاً كبيراً في شعر الغدير حيث عمل الشعراء على تنشئة الشيعة علي حب على وآل بيت الرسول. وقد ظهر شعر الغدير في فنون شتّى منها المدح والرثاء والهجاء، واسلوب هذا الشعر مرة هادىء رزين ومرة ثائر قوي ومرة أخرى رقيق يثير اللوعة والحزن. فالشعراء بذكر الغدير في قصائدهم أفادوا الأدب العربي إفادة كبيرة. والشعراء في هذا العصر مجددون في فنهم الشعري لا يتشبثون بنظام القصيدة القديم ولا يتكسبون بشعر الغدير. وهؤلاء الشعراء يستندون في أشعارهم إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عند إشارتهم إلى غدير خم.

* * *

(٣)

إن من أهم دعائم الرسالة الناجحة - كما يقول الدكتور أحمد الشلبي - أن تتمخض الرسالة عن ابتكار وإضافة جديد إلى ما هو معروف من العلوم، فالباحث يبدأ حيث انتهى غيره من الباحثين؛ ليسير بالعلم خطوة أخرى ليسهم في النهضات العلمية بنصيب، وليس الابتكار المطلوب في الرسائل هو كشف الجديد فحسب. بل هناك أشياء أخرى غير الكشف يشملها لفظ الابتكار، وذلك مثل ترتيب المادّة المعروفة ترتيباً جديداً مفيداً، أو الاهتداء إلى أسباب جديدة لحقائق قديمة، أو تكوني موضوع منظم من مادة متناثرة أو نحو ذلك.

لكن هل تمخضت هذه الرسالة عن ابتكار وإضافة جديد إلى ما هو معروف؟ أجيب على هذا السؤال على الشكل التالي: لقد وجدت كتاب

الغدير للأميني من أشمل الكتب التي بحثت غدير خم وقد جمع مؤلفه مادة ضخمة لم يعد يقدر على جمعها باحث آخر لولا صبره وجلده الكبيرين. لكن المؤلف لم يدرس هذا الإنتاج الأدبي العظيم للشعراء الشيعة ولم يذكر خصائصه الفنية ومميزاته والتطورات التي طرأت على الشعر عبر الأزمان والعصور. ويخيل إلي أنني قد وفقت إلى ترتيب القصائد والأشعار ترتيباً جديداً، وهذا أمرٌ جديدٌ لم أسبق إليه. وقد قسمت هذه الأشعار إلى عصر صدر الإسلام، العصر الأموي والعصر العباسي ودرست كل عصر على حدة وأوردت قصائد وأبيات أهم شعراء الشيعة الذين ذكروا واقعة غدير خم، وبينت خصائص هذا الشعر في كل عصر ومميزاته والتطورات التي طرأت عليه وقارنت بين العصر والعصر الذي قبله والذي يليه. كذلك قسمت الأشعار إلى الأغراض التي قيلت فيها.

ومن مظاهر الجدة في هذه الرسالة، الاعتماد على مراجع كثيرة لم يتطرق إليها الكتاب الأوائل والمحدثون من قبل، منها كتب المستشرقين حيث دونت آراءهم ونظراتهم حول مختلف الموضوعات الإسلامية التي تتعلق بالغدير. وقد حاولت قدر الإمكان التعليق على هذه الآراء والإشارة إلى الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء.

كذلك أفردت بحثاً خاصاً في معنى كلمة غدير خم في اللغة والاصطلاح وأوردت معنى كل من غدير خم، وغدير خم في الاصطلاح وهذا لم أُسبق به من قبل.

وكانت دراسة عيد الغدير عبر التاريخ جانباً جديداً تفردت هذه الرسالة بكشفه. إذ وضحت معنى الغدير في اللغة وذكرت عيد الغدير في عهد الرسول وزمن علي والأئمة من أبناء علي كما بحثت عن عيد الغدير في العراق وفي مصر في العهد الفاطمي وأخيراً عيد الغدير في العصر الحاضر.

كما كانت دراسة شعر حسان بن ثابت في الغدير وفي علي بن أبي طالب والبحث حول ديوانه وأشعار الإمام علي أمراً جديداً في هذه الرسالة، كما قدمت من خلال هذه الرسالة قصيدة رجز للقاضي النعمان لم يلتفت إليها الباحثون من قبل.

ونظراً لعدم مساعدة الظروف وضيق الوقت وغزارة المادة، لم أجد بإمكاني دراسة شعر الغدير منذ القرن الأول الهجري حتى عصرنا الحاضر بل اكتفيت بدراسة هذا الشعر منذ عصر صدر الإسلام حتى أواخر العصر العباسي ورجحت أن أترك بقية المادة لفرصة أخرى أقدر على جمعها ودراستها دراسة تحقيق.

فالدارس لهذه الرسالة سيجد أنني قد درست شعر الغدير في عصر صدر الإسلام، العصر الأموي والعصر العباسي دراسة مسهبة بينت فيها خصائص هذا الشعر في كل عصر ومميزاته وتطوره، وسيرى الدارس أيضاً بأن هذا الشعر لم يقف في عصر ما عن التحرك بل تطور تطوراً كبيراً وذلك للظروف التي أحاطت كل عصر. فمن العصر الإسلامي لم تكن الفكرة الشيعية قد تطورت كما هي الحال في العصر الأموي وقد تطورت الفكرة الشيعية في العصر العباسي تطوراً لم تسبق إليها في العصر الأموي وهذا طبيعي يحدث في كل فترة من الزمان.

أعتقد بأن دراسة العصور التالية للعصر العباسي سيبرز للباحث نقاطاً جديدة تختلف كل الاختلاف عن العصور السابقة. وهذا ما أوصى به الدارسون في التعمق والتدقيق والاستمرار والبدء من النقطة التي انتهيت إليها.. أي دراسة شعر الغدير من القرن الرابع الهجري وما بعده.

وأخيراً هل يمكن أن تحقق هذه الرسالة هدفاً طالما سعى إليه علماء الشيعة ومؤرخوهم وكتابهم وذلك من أجل بيان حقيقة غدير خم وتبديد كل الأقوال التي حاولت الطعن بهذا الحديث وكل المحاولات التي بذلت من

أجل تشويه هذه الحقيقة الناصعة؟ إنّي آمل أن نضيف إلى الجهود المبذولة خطوة أخرى في هذا الطريق. وأرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، والله ولي التوفيق.

الفهرس

الموضوع — الصفحة

المقدمة ٥

الباب الأول: غدير خم في التاريخ

مدخل ١٣
الفصل الأول: غدير خم في اللغة والاصطلاح ١٥
المبحث الأول: الغدير لغة ١٥
خُم: لغة ١٦
غدير خم - اصطلاحاً ١٨
المبحث الثاني: واقعة الغدير ٢١
المبحث الثالث: خطبة الغدير ٢٥
مقدمة الخطبة ٢٥
نصّ خطبة الغدير ٢٦
أهم مصادر حديث غدير خم ٢٩
المبحث الرابع: نزول آية الكمال ٣١
المبحث الخامس: انتشار خبر غدير خم ٣٦
المبحث السادس: مناشدة علي يوم الرحبة ٣٧
المبحث السابع: آراء أهل السُّنة والشيعة حول واقعة غدير خم ٤١

الفصل الثاني: عيد الغدير عبر التاريخ ٥٣
المبحث الأول: عيد الغدير ٥٥
المبحث الثاني: عيد الغدير في عهد الرسول ٥٧
المبحث الثالث: عيد الغدير في عهد علي بن أبي طالب ٥٨
المبحث الرابع: عيد الغدير عند الأئمة من أبناء علي ٦٠
المبحث الخامس: عيد الغدير في العراق ٦٣
المبحث السادس: عيد الغدير في عهد الفاطميين بمصر ٦٥
المبحث السابع: عيد الغدير في العصر الحاضر ٦٧
عيد الغدير في إيران ٦٧
عيد الغدير في العراق ٦٩

الباب الثاني: غدير خم في الأدب

مدخل ٧٣
الفصل الأول: شعر الغدير في عصر صدر الإسلام ٧٥
تمهيد ٧٥
المبحث الأول: الوصف ٧٧
المبحث الثاني: من أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام - الفخر ٨٢
ديوان الإمام عليّ ٩٢
المبحث الثالث: من أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام - المدح ٩٦
المبحث الرابع: خصائص شعر العصر الإسلامي الفنية ٩٧
الفصل الثاني: شعر الغدير في العصر الأموي ٩٩
تمهيد ٩٩
موضوعاته ١٠٢
المبحث الأول: الرثاء ١٠٣

المبحث الثاني: المدح ١٠٧
المبحث الثالث: الوصف ١١٠
المبحث الرابع: خصائص شعر الغدير في العصر الأموي ١١٥
المبحث الخامس: تطور الشعر في العصر الأموي ١١٧
الفصل الثالث: شعر الغدير في العصر العباسي ١١٩
تمهيد ١١٩
شعر الغدير ١٢١
المبحث الأول: المدح ١٢٢
آية التبليغ ١٢٦
حديث المنزلة ١٣٠
حبُّ علي والإخلاص له ١٣٣
فضائل علي ومناقبه ١٣٧
مدح أهل البيت ١٥٣
المبحث الثاني: الهجاء ١٦٣
هجاء أعداء عليّ ١٧٥
الردّ على الشعراء المخالفين ١٨١
هجاء السيد الحميري لوالديه ١٩٣
المبحث الثالث: الرثاء ١٩٥
المبحث الرابع: الفخر ٢٠٥
المبحث الخامس: الغدير وشعر الرجز ٢٠٧
المبحث السادس: عيد الغدير في شعر العصر العباسي ٢١٣
المبحث السابع: خصائص شعر الغدير في العصر العباسي ٢١٨
ملحق رقم ١: القصائد الغديرية ٢٢٢
الفهرس ٢٤٧

الفصل الثاني: عيد الغدير عبر التاريخ ٥٣
المبحث الأول: عيد الغدير ٥٥
المبحث الثاني: عيد الغدير في عهد الرسول ٥٧
المبحث الثالث: عيد الغدير في عهد علي بن أبي طالب ٥٨
المبحث الرابع: عيد الغدير عند الأئمة من أبناء علي ٦٠
المبحث الخامس: عيد الغدير في العراق ٦٣
المبحث السادس: عيد الغدير في عهد الفاطميين بمصر ٦٥
المبحث السابع: عيد الغدير في العصر الحاضر ٦٧
عيد الغدير في إيران ٦٧
عيد الغدير في العراق ٦٩

الباب الثاني: غدير خم في الأدب

مدخل ٧٣
الفصل الأول: شعر الغدير في عصر صدر الإسلام ٧٥
تمهيد ٧٥
المبحث الأول: الوصف ٧٧
المبحث الثاني: من أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام - الفخر ٨٢
ديوان الإمام عليّ ٩٢
المبحث الثالث: من أغراض الشعر في عصر صدر الإسلام - المدح ٩٦
المبحث الرابع: خصائص شعر العصر الإسلامي الفنية ٩٧
الفصل الثاني: شعر الغدير في العصر الأموي ٩٩
تمهيد ٩٩
موضوعاته ١٠٢
المبحث الأول: الرثاء ١٠٣

المبحث الثاني: المدح ١٠٧
المبحث الثالث: الوصف ١١٠
المبحث الرابع: خصائص شعر الغدير في العصر الأموي ١١٥
المبحث الخامس: تطور الشعر في العصر الأموي ١١٧
الفصل الثالث: شعر الغدير في العصر العباسي ١١٩
تمهيد ١١٩
شعر الغدير ١٢١
المبحث الأول: المدح ١٢٢
آية التبليغ ١٢٦
حديث المنزلة ١٣٠
حبُّ علي والإخلاص له ١٣٣
فضائل علي ومناقبه ١٣٧
مدح أهل البيت ١٥٣
المبحث الثاني: الهجاء ١٦٣
هجاء أعداء عليّ ١٧٥
الردّ على الشعراء المخالفين ١٨١
هجاء السيد الحميري لوالديه ١٩٣
المبحث الثالث: الرثاء ١٩٥
المبحث الرابع: الفخر ٢٠٥
المبحث الخامس: الغدير وشعر الرجز ٢٠٧
المبحث السادس: عيد الغدير في شعر العصر العباسي ٢١٣
المبحث السابع: خصائص شعر الغدير في العصر العباسي ٢١٨
ملحق رقم ١: القصائد الغديرية ٢٢٢
الفهرس ٢٤٧

هذا الكتاب

واقعة غدير خم، حقيقة تاريخية، لا يختلف حول وقوعها المؤرخون، فكتب التاريخ تناولت هذه الواقعة بكل تفاصيلها، ولكن الاختلاف جاء حول الغرض من دعوة رسول الله (ص) للمسلمين بالتجمع في غدير خم.

ويشكك بعض المؤرخين والمفسرين بوجهة نظر الشيعة القائلة بأن الرسول (ص) نصب علي بن أبي طالب إماماً وخليفة للمسلمين بعده في غدير خم، هؤلاء يعتقدون بأن الرسول (ص) أراد من وراء ذلك أن يظهر دور ومنزلة علي ونصرته للإسلام والمسلمين وجهوده قبل وبعد الدعوة الإسلامية. ولكن الشيعة ترد على هذا القول بأن رسول الله (ص) لم يجمع آلاف المسلمين ليذكرهم بشخصية علي وقربه منه، بل أراد أن يبلغ المسلمين بأن علياً هو الإمام والخليفة بعده نظراً لما يتمتع به من صفات القيادة والإمامة والولاية.

يتناول الكتاب إضافة إلى دراسة البعد التاريخي للغدير، إبراز البعد الأدبي لهذه الواقعة وما جاءت به قرائح الشعراء في تخليد هذا اليوم.

المؤلف

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان